

رواية
امرأة من عالم الجن
ابواب العوالم السبع

محمود مصطفى الزواوي

رواية: امراة من عالم الجن

الجزء الأول: أبواب العوالم السبع

تأليف: محمود مصطفى عبد المجيد الزواوي

مقدمة

إلى من يظن أن كل شيء انتهى . أعرف هذا الإحساس، حين تتراكم التجارب فوق صدرك كأنها جدران، وتقول في داخلك ((انتهى كل شيء)) لكن صدقني، لم ينته شيء. الحياة لا تتوقف لأنك تعثرت، ولا تنهار لأن قلبك انكسر أو لأن الناس خذوك، الحياة تمضي... ونحن نحاول أن نلحق بها كلَّ بطريقته. أنا لا أكتب هذه الكلمات لأقدم لك درسًا، بل لأذكّر نفسي قبلك أن كل تجربة، حتى تلك التي نظنها النهاية، تحمل في داخلها شيئاً يُعيد ترتيبنا، الفشل ليس وصمة. هو فقط علامة تقول ما زال هناك طريق آخر لم نجربه بعد. نحن لسنا ما نخسره، ولا ما يُقال لنا في لحظات الضعف. نحن كيف نقف بعد السقوط، وكيف نُرمّم أنفسنا حين نشعر أننا لم نعد نصلح لشيء. الألم؟ نعم، مؤلم. لكنّه يعلمنا أن نميز بين الحقيقي والزائف، بين ما يؤذينا حقًا، وما كنّا نظنّه كذلك. أما النسيان؟ فهو ليس خيانة للماضي، بل فرصة للنجاة، لا أحد يخرج من هذه الحياة دون ندوب. لكن البعض يعرف كيف يصنع من ندوبه خرائط تقوده إلى أماكن أكثر صدقًا، لذلك لا تستعجل الحكم على نفسك.

ولا تُصدّق أن ما تمرّ به هو النهاية ربما يكون مجرد بداية، لا تُشبه ما خَطّطت له... لكنها البداية التي تحتاجها.

اهدي هذه الكلمات إليك:

"يامن تظن أن الفشل يسيطر عليك، أنا وانت لسنا

فأشلين"

البداية

مدّ يده نحو كوب القهوة وأخذه ببطء إلى شفتيه، ارتشف منه بعض الرشقات قبل أن يُعيده إلى موضعه. تشبّثت قدماه بالأرض بينما كان يُحرّك الكرسيّ الهزاز، يتمايل ذهابًا وإيابًا، وينظر من الشرفة متأملًا القمر في تمام بدره. وضع يده على صدره، وأخرج من جيبه ورقةً قديمةً تأكلت من أثر الزمن، ثم التفت إلى ابنه الصغير، وابتسم له ابتسامةً مليئةً بالأمل. أطلق لسانه بالكلمات التي تحمل في طياتها أعباءه_ لا تخف... ولا تُصدّق ما تسمعه من الآخرين. الناس يُبالغون في كل شيء، حتى في الكذب.

والآن وبعد مرور ثمانية عشر عامًا، وفي أعقاب وفاة والدي، قررت أن أشارككم قصتي. أنا وائل العدلي، في الخامسة والعشرين من عمري، خريج كلية الحقوق، وأعيش في قريةٍ ريفيةٍ تغمرها الخرافات والأساطير. لقد سئمت من الجهل، وضيق الأفق، وضجيج الماضي الذي يطارد الحاضر كأنه وصيٌّ عليه. أليس من الطبيعي أن نستخدم عقولنا ولو لبضع ثوانٍ، لنسأل: هل ما نفعله حقًا منطقي؟ لقد ترددنا طويلاً في مواجهة الأفكار البالية، ومع ذلك، ما زلنا نبادر إلى دعمها، حتى صارت جزءًا من ثقافتنا وهذا برغم من قبحها وضررها. نحن محاطون

بأساطير تثير التساؤلات أكثر مما تُقدم إجابات. نعيش بين خرافات وممارسات ومعتقدات تُثقل كالأثقال، دون فحص أو مساءلة. وحين نجرؤ على السؤال، يُقال لنا بنفس اليقين الذي توارده عبدة الأصنام "هكذا وجدنا آباءنا وأجدادنا" كأن العمى فضيلة، وكأن الشك رجس من عمل الشيطان.

أنا الآن في بلدي، أحاول جاهداً أن أسير على نهج والدي، لا لأقلد خطواته، بل لأفهم لماذا وقف، وماذا رأى. أسعى لمحاربة خرافة راسخة، لا تزال متجذرة في عقول القرويين البسطاء. أسطورة أُحييت بهالة مرعبة، حتى حوّلتهم إلى كائنات شبيهة بالنمل خلال الشتاء، لا يجرؤون على مغادرة منازلهم، خوفاً من الرعب الذي تسببه هذه الأسطورة التي تُعرف باسم "النداهة"، لقد أدخلت الذعر إلى القلوب، لأن فيها شيئاً خارقاً، بل لأننا اخترنا أن نصدق. ورغم أننا نعيش في القرن الحادي والعشرين، إلا أنه ما تزال عقولنا متشابكة بعقائد قديمة، وتمييز غير مبرر، وكان الزمن يدور في مكانه.

كما كنت أقول دومًا: من يظن في نفسه شيئاً، يتحقق له ذلك. ومن يصدق الأكاذيب طويلاً، سيؤمن بأن كل كذبة حقيقة، وأن كل حقيقة قد تكون كذبة، فيا صديقي يا من ستقرأ هذه الكلمات، لا تأخذ كل ما يُقال لك على محمل الجد. لا لأنهم كاذبون دائماً، بل لأنهم خائفون، و

دعوني أروي لكم القصة، من حيث بدأت... فلعلني أجد فيكم سبيلاً للخلاص.

الفصل الأول: البحث عن النجاة

في عام 1850، كانت "العاقير" بلدة صغيرة معزولة، ترقد كجسدٍ نائمٍ على كتف النيل.

بيوتها طينية من قوالب قَمِينٍ محترقة، صُنعت يدويًا من خليط التبن والطين، ثم سُيِّدت على عجل، وأسقفت بالقش وسعف النخل، فتكوّنت منها منازل متواضعة لا تردّ حرًا ولا تمنع بردًا، لكنها كانت تكفي لاحتواء الحكايات والقلوب.

الأزقة ضيقة، ترايبية، تتعرج كأنها شرايين في جسد القرية. يمرُّ الحمار مُحملاً بالخضرة، وصوت نعل الدواب يُكمل سيمفونية الصباح الباكر.

وفي قلب "العاقير"، كان المرفأ الصغير ينبض كقلبٍ خافت في الجسد. ممر مائي ضحل، بالكاد يتسع لقارب بردي، لكنه كان كافيًا لحمل ما تجود به الأرض إلى بلاد الشام، خاصةً محصولها المقدس.. الكتان.

في هذا المكان، عاشت البلدة في رخاءٍ هادئٍ. أرض خصبة وسماء تمطر بقدر، وأحلام القرويين ترتفع كزهور الكتان في موسمها، زرقاء رقيقة، لكنها شامخة.

كان الجميع يعرف الجميع، وأبواب البيوت مفتوحة كقلوب أصحابها. وعند الغروب، تشعل قناديل الزيت في العتمة، وتُحكى الحكايات على وقع السواقي البطيئة.

لكن... ذلك السلام لم يدم طويلاً بدأ الغموض يتسلل كالدخان، خفيفاً أولاً، ثم كثيفاً وكأن الأرض نفسها لم تعد مألوفاً فلقد انتشرت الأقاويل عن كيانٍ مرعب بدأ يطارد سكان العاقير. اسمه تُهمس به الشفاه المرتجفة... النداهة.

ومع مرور الأيام، انقلبت تلك البلدة من واحة سلامٍ إلى مسرحٍ للرعب. تلاشى ضجيج الزوار، وأطبق الصمت على الأزقة. حتى السواقي التي طالما دارت كأنها لا تعرف التوقف... بدأت تصدر أنيباً غريباً، كأنها تبكي على شيء لا يرى.

السكان، الذين كانوا يملؤون الحقول ويتبادلون التمر والحكايات، أصبحوا لا يغادرون منازلهم بعد الغروب.

البيوت التي كانت مأوى، تحولت إلى سجونٍ طينية، جدرانها تهتز كلما سُمع صوت همسة في العتمة.

في النهار، ترتجف الأيادي وهي تزرع الكتان. نظرات حذرة يتبعها خطوات متوجسة، وهمسات خافتة تتناقل عن كيان يسلب الطمأنينة قبل الأرواح.

لم تعد "النداهة" أسطورة تُحكى، بل كابوسًا حيًا. فكل غروب شمس كان بداية طقس من الرعب، جلسات الدعاء، إغلاق النوافذ، وتسمير الأبواب.

لكن السؤال ظل معلقًا :

هل هي وهمّ صنعه الأقاويل ؟ أم لعنة قديمة أيقظت من سباتها؟

سُمّيت "النداهة" بهذا الاسم لأنها تستدرج ضحاياها بنداءٍ خادع، يحمل صوت أحبائهم ، ما أن يسمعه، حتى يذهبوا خلفه ثم يُعثر عليهم قتلى في ظروفٍ غامضة، خلال يومٍ واحد فقط.

تمتلك النداهة قدرة مرعبة على تقليد الأصوات البشرية بدقة مذهلة، فتزرع الهواجس في نفوس ضحاياها. تأتي الهمسات ليلاً، تشبه نبيرة زوجة أو أم أو طفل صغير يظن الضحية أنه يسمع صوتًا يعرفه... فيخرج إلى العتمة ولا يعود. لأن ما ينتظرهم ليس دفاع اللقاء... بل موتٌ وحشي.

غالبًا ما يُعثر على الجثث إمّا فارغة الأحشاء أو مفصولة الرأس. لكن رعب "النداهة" لا يتوقف عند حدود الجسد. قيل إنها تخترق العقول قبل أن تمزق الأجساد، تزرع أوهاماً زائفة، تقتع ضحاياها بأنهم يتجهون نحو الخلاص، بينما هم في الحقيقة يركضون نحو حتفهم وهم يبتسمون.

كان "حامد" الناجي الوحيد من قبضتها أو هكذا ظنّ الناس. روى تجربته بصوتٍ مرتجفٍ.

قال إنها خرجت له من الظلام، كانت بشرتها سوداء كأنها امتدادٌ لليل نفسه، تختبئ فيه كما يختبئ الظل داخل ظله.

عينها تلمعان بلون أحمر دامٍ، أشبه بمحيط من الدماء تتلاطم أمواجه داخل المحجر.

ووصف ذراعها بأنها طويلتين، وقال أظافرها حادة حتى بدت أقرب إلى سكاكين ضخمة تقدر من خلالهم قطع الأشجار بسهولة.

أما قدمها... فقد كانتا ساقِي شاة هرمة ناهزت السابعة من عمرها، غليظتين، مشققتين... وشعرها؟ متجعد، داكن كسواد الفحم، ينسدل خلفها كذيلٍ طويل يتبعها حيث سارت خطواتها هادئة لكنها تحمل معنى الخطر.

بعد أن حكى لهم عنها ظنوا أنه بطل، فأنى لشخصٍ ان يهرب من وحشٍ بتلك الأوصاف، لتكون المفاجأة بعد أيام لقد وجدوا "حامد" مصلوباً على جذع نخلة، مقطوع الأطراف، مشوّه البطن، وقد فُقت عيناه، كأنّ الكيان أراد أن يُسكت آخر من تجرأ على رواية ما رأى.

منذ ذلك اليوم، لم يعد أحد ينطق اسمها. الأطفال أطلقوا عليها اسماً آخر "الموت" لأنهم ظنوا أن تسميتها بغير اسمها، ربما يُخفف من رعبها. لكنها لم تختفِ ، استمر القرويون في فقدان أحبائهم، واحداً تلو الآخر. ومع مرور الأيام... بلغ عدد القتلى خمسمئة وعشرين قتيلاً.

ومن بين أبشع الجرائم التي وُلدت تحت ظلها مقتل طفلة لم تتجاوز ثمان سنوات . كانت بثينة زهرة صغيرة تفتحت في بيتٍ بسيطٍ يقع في الجهة الجنوبية من البلدة ، حيث يقيم رجل يُدعى مصطفى، برفقة زوجته درية وابنتيه رعدة وبثينة. كان بيتهم متواضعاً، اقل حالاً عن باقي أهل القرية و لكنّه كان عامراً بالمحبة، تغمره سكينه من نوع نادر. من يمرّ بقربه يسمع ضحكات الصغيرتين، ويشم رائحة الخبز، ويشعر أنّ البيت رغم فقره، نابض بالحياة.

لكن تلك الحياة انقلبت رأساً على عقب، في ليلةٍ واحدة مرضت رعدة. وحين حلّ المساء، اشتدّ المرض عليها، وشحب وجهها الحمى كانت تمتصّ لونها قطرةً قطرة. أخذت درية ابنتها على عجل، وذهبت بها إلى بيت والدتها، علّها تجد علاجاً عشبياً أو وصفةً قديمة تخفف وطأة ما ألمّ بالصغيرة.

أما مصطفى، فبقي في البيت ينتظر، ومع مرور الوقت، بدأت الهواجس تنهش عقله. كانت عقارب الساعة قد بلغت منتصف الليل، والهدوء في البيت أصبح خانقاً.

الريح تعوي، وتجرّ أطراف القش عن السقف، وبثينة تجلس وحيدة، تضم دميته البالية، وتراقب ظلال المصباح وهي تتراقص على الجدران الطينية.

فجأة لم يعد قلب مصطفى يحتمل نهض من مكانه، وارتدى عباءته، ثم اقترب من طفلة وانحنى عليها ووضع كفه على رأسها برفق وقال:

_ لا تفتحي الباب لأي طارق مهما كان... وسأعود قريباً، ومع رعدة لتلعب معي.

رفعت بثينة عينيها إليه وقد تملكها القلق، ثم قالت بصوتٍ مرتجف:

– ولكن يا أبي ماذا لو جاءت الموت؟ ألن تلتهمني؟ أخشى البقاء وحدي...

ابتسم مصطفى ابتسامةً باهتة، ومسح دموعها بإبهامه، ثم نظر إليها بعينين تتوسدان الحب والحنان:

– بثينة، انظري إليّ جيداً، هل أخبرتك يوماً بشيء ولم أف به؟

فأجابته، وهي تحاول كبح دموعها:

– لا، لم تفعل يا أبي.

قال مبتسماً:

– فلماذا البكاء إذن؟ لقد وعدتك ولن تخلفني النداهة وعدي... كوني قوية، فأنت ابنتي الشجاعة.

ثم طبع قبلةً على جبينها وغادر، تاركًا خلفه صمتًا أثقل من الليل نفسه.

وهنا... بدأ كل شيء ينهار.

مرّت نصف ساعة، كانت بثينة خلالها جالسة على كرسيها الخشبي، تعانق دميّتها وتحذق في السقف، تتعقب بخيالها صوت والدها، وتُحصي الأنفاس التي تملأ قلبها خوفاً.

فجأة، دوى طرّق خفيف على الباب، ارتعشت والتصق جسدها بالكرسي نظرت نحو الباب، ثم تمت بصوتٍ مرتجف:

من الطارق؟ من هناك؟

لكن لا مجيب، عاد الصمت ليخيم من جديد، أكثر ثقلاً من قبل. جلست مكانها تحاول كبت رعشة أطرافها، تُقضم أطرافها وتشدّ على دميّتها الصغيرة كأنها آخر حصون الأمان.

وبعد دقائق، سُمِع الطرُق مجددًا، لكن هذه المرة كان واضحًا، حادًا، كأنه ينبض في قلبها مباشرة.

قفزت من مكانها، ارتعش صوتها وهي تصيح:

_من الطارق؟ أرجوك أجبني، أنت أبي؟ لماذا لا تتحدث؟ أنا خائفة

ومن خلف الباب، جاء صوت بدا مألوفًا، لكن مشوّهاً،

_أنا هنا، لا تخافي يا صغيرتي.

ترددت بثينة، ثم سألت بصوتٍ مرتاب:

_لماذا لم تُجبني منذ قليل؟ لماذا التزمت الصمت؟

ردّ الصوت بعد لحظة، بضحكة غريبة لا تشبه ضحكة أبيها:

_كنت أختبر شجاعتك، هيا، افتحي الباب.

اقتربت بثينة من الباب ببطء. يدها الصغيرة امتدت نحو المقبض، لكنها توقفت فجأة.

كلمات والدها طافت في رأسها:

_لا تفتحي الباب لأي طارق، مهما كان.

تراجعت خطوة إلى الوراء، لكن الصوت من الخارج لم يتوقف، بل أصبح أكثر إلحاحًا:

_ ألم تقولي إنك فتاة شجاعة؟ افتحي الباب، لن أؤذيك.

ترددت بثينة، قلبها يتراقص في صدرها كطائر مذعور، لكن شيئًا غامضًا دفعها للمضي قدمًا.

ربما كان الفضول، أو الشوق لصوت أبيها، أو ذاك الخوف الذي يتحوّل إلى هوس.

مدّت يدها نحو المقبض مجددًا، وهمست بصوت طفولي بريء:

_ تعلم يا أبي لوجاعت النداهة، لكنّ سألقنها درسًا لا ينسى. ثم... فتحت الباب. وفي اللحظة التي انفرج فيها الخشب العتيق، تجمّدت بثينة في مكانها.

أمامها وقفت النداهة، كأنها كابوس اقتلع من أحلك كهوف الخيال، بشعرها المتجدد الداكن الذي يلامس الأرض، وعينيها الحمراوين اللتين تتوهجان كنيران جهنم.

ابتسمت ابتسامة واسعة كشفت فيها عن أسنان حادة كالسكاكين، ثم قالت بسخرية تقطر من صوتها:

_ ها أنا هنا يا شجاعة... سمعت أنك تودين تلقيني درسًا.

نظرت بثينة إليها مذهولة، فاعرة الفم، عاجزة حتى عن التراجع. قدماها تجذرتا في الأرض، وجسدها الصغير بدأ يرتجف بعنف، حتى بللت ثيابها من شدة الخوف دون أن تدري.

_هل هذا حلم؟ هل هو الجاثوم؟ أين أبي؟ كيف أهرب؟.. كانت هذه الأسئلة تتلاطم في رأسها، فيما اقتربت النداهة بخطى ثابتة، تمشي وكأن الأرض تنحني تحت قدميها.

ثم قالت بصوت بارد :

_خافي أكثر... سأجعلك عبرة لكل من تجرأ على التلقظ باسمي.

قالت بثينة و صوتها بالكاد يخرج:

_لن تقدرني علي فعل شيء، فلقد وعدني ابي أنني لن أصاب بأذى، وهو لا يخلف وعده.

ردت بنبرة أكثر قسوة:

_والدك؟ أحقًا تظنين أن وعده له قيمة؟ وعده كان هواءً في هواء، وأنا هنا لأثبت لك ذلك.

ضحكت ضحكة مجنونة، ثم اقتربت أكثر، وعيناها تلمعان بشهوة القتل، وقالت وهي تقلد صوت والدها بسخرية:

_ لن تتمكن النداهة من الاقتراب منك؟... أنتِ ابنتي الشجاعة؟...
ثابري؟

ثم، فجأة ومن دون سابق إنذار، غرست أظافرها الطويلة في بطن بثينة شهقت الطفلة بصوتٍ مكتوم، بينما جسدها الصغير بدأ يتلوى من الألم. فتحت فمها لتصرخ، لكن صوتها لم يخرج، تابعت غرز أظافرها القاتلة في أحشائها، وهي تقول بسخرية يقطر منها السم:

_ ألم يقل والدك إنك شجاعة؟ هيا، أرني شجاعتك الآن.

كانت تشعر كأن الحياة تُسحب منها شبرًا شبرًا، كلما ضغطت أكثر. أنينها الصامت كان يعلو داخلها، روحها تتكسر، ونظراتها البرينة بدأت تنطفئ شيئًا فشيئًا، حتى تجمدت ملامح وجهها على هيئة وجع لا يُحتمل، وجزع لا يُنسى.

ثم، في لحظة مفاجئة، دفعت أظافرها الحادة لتخترق جسد الفتاة من الجهة الأخرى، كأنها سكين مزّقت قطعة حرير.

ترنّحت بثينة، جسدها الضعيف لم يحتمل ما جرى. لكن النداهة لم تشبع بعد.

كانت عيناها المتوهجتان تزددان لمعاناً تتلذذان بالرعب المتجسد أمامها. تقدّمت ثم أمسكت برأس الطفلة الصغير بكليتي يديها، وفي حركة وحشية، وبضربة واحدة قاسيه فصلته عن جسدها.

سقط الجسد النحيل أرضاً كدمية مكسورة، بينما الرأس تدحرج ببطء حتى ارتطم بأرجل النداهة، والدماء تغمر المكان كأنها لعنة أطلقت في فضاء المنزل.

التقطت الرأس ثم حملته كما تحمل ساحرةً مرآتها، ثم بدأت تدور وسط المنزل...

ترقص... ترقص بجنون طفولي مرعب، تُلَطِّخ الجدران بدماء بئينة، وتُدَوِّي بضحكاتها الهستيرية التي تداخلت مع صوت خطواتها، فكوّنت معاً لحناً جهنمياً لا يشبه أي شيء إلا صوت الخراب.

النداهة لم تقتل بئينة فحسب بل قتلت الأمان في تلك الدار. رقصتها المجنونة كانت إعلاناً صريحاً:

أن وعد الأب كان سراباً، وأن النداهة لو حضرت لن ترحل دون أن تروي ظمأها بالدم...

بعد فترة ليست بالطويلة، عاد الأب بصحبة زوجته وطفلته "رغدة". كان التعب بادياً على الوجوه، والقلق يخيم على خطواتهم. وفي

الطريق، لمَح الأب منزلهم من بعيد، فلاحظ أن الباب الأمامي مفتوح على مصراعيه. تسارعت نبضاته، وضاق صدره بشعور غامض لم يعرف له تفسيرًا.

دون أن ينبس بكلمة، انطلق ركضًا، متجاوزًا زوجته وابنته، يصعد درجات المنزل بخطوات متعثرة وكلما اقترب ازداد شعوره بالاختناق حتى تفاجأ بالكارثة التي تنتظره خلف ذلك الباب.

دلف إلى الداخل فتجمد في مكانه، توقف الزمن وانكسر الهواء من حوله. رأى ابنته مُلقاة على الأرض جسدها الصغير مفصول الرأس، مغمور في بركة من الدماء التي سالت بلون الألم، حتى لَطَّخت الأرض كأنها سجادة فُرشت.

تعثرت قدماه، وانهار على ركبتيه، صرخ صرخة مبجوحة شقت صمت السماء:

_بثينة... يا بُنيّتي... يا الله.

صرخته الموجوعة تسربت إلى الخارج، ووصلت إلى مسامع زوجته، التي أدركت من نبرة صوته أن شيئًا فظيئًا قد حدث.

توقفت في منتصف الطريق، وجمدت نظراتها، ثم انحنت تحت وطأة الخوف، وضمت "رعدة" إلى صدرها بقوة تريد أن تحميها من هذا الواقع القاسي.

أبعدتها عن الباب، ووجهها يفيض دموعًا وصمتًا موجوعًا. لم تشأ أن تشهد الطفلة على المأساة التي ابتلعت أختها الكبرى، ولا أن ترى هذا المشهد الذي يُطفئ في القلب آخر شرارة من الحياة.

مرّت السنوات...

أربع سنوات عجاف، لم تهدأ خلالها عاصفة الحزن في صدر الأب. لم يعرف للراحة طعمًا، فكل لحظة تمر كانت تعيد المشهد أمام عينيه، وكأن بثينة تموت من جديد، كل مساء. أفكار الانتقام صارت طيفًا ملازمًا له، يطارده في يقظته ومنامه.

كان يسأل نفسه مرارًا وتكرارًا كيف أقتصّ لمن خطفتها النداهة؟ كيف أواجه الكيان الذي سلّبني نور عيني؟ من يطفئ النار التي تستعر في قلبي منذ أن ضاعت بثينة؟ تخبّط بين الغضب والعجز، والذكريات تنهشه كأنياب الذئب. كان كل شيء من حوله يشيخ... إلا ألمه، فقد ظلّ شابًا، يركض في دمه، لا يهدأ.

"بكاء السواقي"

بعد تلك الحادثة ظلت الحوادث تتوالى، ولم تهدأ النداهة خلال تلك السنوات . في الليالي تفعل ما تفعله كأنها صارت أمراً مألوفاً، لا تثير دهشة، ولا تستدعي سؤالاً. لكن في ذلك النهار. كسر كل ما هو مألوف. في عزّ الظهر، حين خيم الصمت على البلدة الصغيرة وغرق أهلها في قيلولة هاربة من قيظ الشمس، كان هناك رجل واحد لا يستطيع النوم "صافي"

كان يتحرك في فناء منزله ذهاباً وإياباً، بينما ألم الجوع يعصر معدته، والهّم يثقل رأسه. لم تكن مشكلته في الغداء وحده، بل في شحّ الماء الذي بدأ يهدد محصوله.

فوق قطعة أرض لا تتجاوز نصف فدان، زرع صافي ما تيسر له فلفل، خيار، بادنجان كل ما قد يضمن له بعض الدخل في السوق. ولذلك كان الريّ بالنسبة له مسألة حياة.

خرج من بيته بعجلة، يسحب البقرة العجوز بجبل مربوط إلى رقبتها.....

كان يرتدي سديري ممزق الأطراف، يظهر من تحته كلسون طويل مطاطه مرتخٍ حتى أوشك على السقوط، وعلى رأسه طاقيّة قطنية باهتة، تنزلق منها خصلة مبللة من العرق.

ضرب البقرة بعصاه وهو يصرخ:

_ تحركي أيتها الكسولة، بطني تؤلمني، وأريد إنهاء السقاية قبل أن تجف التربة تمامًا!

تابع جرّها، ساخطًا، يلهث من الحرّ والغضب، وعيناه نحو الساقية التي لم تعد تسعفه كما في الماضي.

ثم فجأة انشقّ السكون بصوت أنثوي قادم من ناحية التربة: _ صافي... أنقذني يا أخي، الماء يسحبني!

توقف في مكانه، ورفع عصاه كمن يستعد لقتال.

_ من هناك؟ من يناديني؟

جاءه الرد سريعًا، بنبرة خافتة لكنها واضحة:

_ أنا فادية، شقيقتك أنقذني قبل أن أفقد أنفاسي.

شهق صافي ثم خلع سديريه بعصبية، عضّ عليه بأسنانه، ورمى عصاه على الأرض. لم ينتبه لكلسونه المترهل حين بدأ ينزل وهو يركض ولسانه يصرخ:

_ أختي أنا قادم لا تخافي.

ركض دون أن يشعر بقدميه، الطين يلتصق بعقبه، والهواء يكاد لا يدخل إلى رئتيه. استمر يعدو حتى بلغ حافة التربة، وهناك توقف. كانت مياه التربة ساكنة كأنها مرآة ميتة.

تطلع فيها فلم ير سوى وجهه المرتبك، نظر يمينًا... ثم يسارًا... لا شيء.

صاح بصوت مرتعش:

_ فادية؟ أين أنت؟ أجيبيني !!! قلبي يكاد ينخلع من الخوف عليك؟؟

مرت لحظة صمت ثقيل... ثم اخترق السكون صوت ضحكة ناعمة، خفيفة، لكن شيئاً فيها جعل قلبه ينكمش، تلاها صوت أنثوي، متحول، مشحون بما يشبه السخرية:

_ قلبي ينفطر مما سأفعله بك، يا صافي.

صافي تجمّد في مكانه، وعيناه اتسعتا كأنهما تريان شيئاً لا يُصدّق همس لنفسه، بالكاد يجد صوته:

_ ماذا فعلت؟ هل جئتُ لإنقاذ الندّاهة، لكنها لا تظهر في النهار..

تخبّطت الأفكار في رأس صافي، كأنها طيور مذعورة اصطدمت بجدران عقله، وراح يتلقّت بعينين زائغتين، يحاول أن يميّز ما إذا كان يحلم أم لا. قلبه ينبض بقوة وركبته ترتجفان حتى بالكاد تحملانه.

"أهرب؟" سأل نفسه، لكن قدميه كانتا كجذور مغروسة في الطين. أنفاسه تخرج قصيرة، باردة، كأنها آخر ما تبقى له من الحياة. وبينما يحاول بصعوبة أن يلتفت، ظهر أمامه... كابوس لم يتوقعه تجمد الدم في عروقه، حين رآها واقفة هناك.

كانت النداهة. تمزج بين السخرية والجحيم في هيئة واحدة. اقتربت بخطى بطيئة... وباردة. حتى صار أنفاسها تمسّ وجهه. أراد أن يُشيع بوجهه بعيداً، لكن يدها امتدت فجأة، وأمسكت وجنته بقوة باردة يملؤها الغضب، وأجبرته على النظر في عينيها.

ابتسمت. لكن ابتسامتها لم تحمل شيئاً من الطمأنينة. كانت عريضة على نحو مشوّه، حتى بدت وجنتاها مقلوبتين، ولسانها كأنما يتلوّى بين شفّتها كأفعى صغيرة.

همست بصوت خافت، تقطر منه الكراهية:

_ صافي... أما كنت تشّاق إلى أختك؟ لم أتوقع منك هذا الجفاء يا أخي.
تريد أن تهرب !!

ثم تابعت بنبرة باردة:

_ لا يهم، لأنني كنتُ حزينة ولكن بقتلك الآن سيفرح قلبي ...

ردّ صافي وهو يلهث، وعيناه لا تزالان تبحثان عن مخرج: - ولم يُسعدك موتي؟ هل يُسعدك أن تؤلمي الآخرين؟ أنتِ وحش .

قطعت حديثه بضحكة خافتة، تحمل مرارة الدنيا كلها، ثم قالت باحتقار: - أنا؟ أنا لست الوحش هنا، بل أنتم! أنتم الذين تظنون أن الأرض كُتبت بأسمائكم، أن كل شيء خلق لأجلكم. تستخدمون كل ما حولكم، حتى أقرب الناس إليكم، لتحقيق رغباتكم.

صمتت لحظة، ثم قالت بنبرة خافتة : - أنا فقط امراة ذاقت طعم الظلم. وما أفعله ليس إلا عدالة والعدالة، كما أراها، تبدأ من محو أمثالكم.

وفجأة، ارتفعت بجسدها كأنها لا تنتمي لقوانين هذا العالم. بدت ضخمة، أطول من الأشجار، أوسع من ظلها، حتى كادت تحجب السماء عن عينيه.

اقتربت منه بثقل، وقبل أن يصرخ، أمسكت قدميه بشدة، رفعت جسده، وألقته في وحل الترعة. لم يكن الوحل عادياً، بل بدا كأنه حفرة من العدم، يبتلعه بهدوء.

ضغطت رأسه في الطين، وهو يصرخ ويتخبط، لكن لا أحد يسمع وبعد لحظات هدأ كل شيء. توقفت حركته، وغاص جسده في السكون. رفعت جسده كأنها ترفع كيساً فارغاً، وألقت به بجانبها. جلست بقربه، ووضعت ظهرها على الأرض، تحدق في السماء بهدوء غريب.

همست لنفسها:

- لقد قتلتك لكني لا أشعر بالراحة بعد.

ثم مالت عليه، ومسحت وجهه من الطين بلطف لا يشبه قسوتها، كأنها تمسح وجه طفل نام دون أن يسمع حكاية ما قبل النوم. مررت أصابعها على صدره، تتحسسه ببطء، ثم فجأة، وبدون مقدمات، قبضت على رأسه وانتزعته.

حدقت فيه للحظة، بعينين لا تشي بالندم، ثم ألقته في التربة، وغابت كما ظهرت... كأنها لم تكن.

لم يعد أهالي القرية قادرين على الصمت بعد الحادثة المأساوية التي زلزلت أركانهم. فقد أصبحت "النداهة" ذلك الكائن الغامض الذي طالما ارتعدت له القلوب في اليالي تظهر الآن في وضوح النهار، متحدية نواميس الطبيعة وسلطان الخوف الذي طالما قيدها.

لم يعد للقلق أبواب المنازل أو التخبؤ خلف الجدران أي معنى. فالخطر بات يحيط بالجميع دون استثناء. ظلال الخوف ألقى بنقلها على القرية، فغدت القلوب مرتجفة والعيون لا تكل من الترقب... وكان الجميع ينتظر النهاية.

الأرض التي كانت تزهَر أضحت قاحلة، ومياه الترعة لم تعد تروي عطش الصغار. الموت لم يعد يُفترس بأنياب النداهة فحسب، بل بالجوع الذي بدأ يلتهمهم في بطءٍ زاحف.

"مجلس الشيوخ"

وفي إحدى الأمسيات المشبعة بالرهبة، اجتمع شيوخ البلدة في بيت الشيخ عديل، رجل عُرف بالحكمة ورجاحة العقل. كان البيت، المصنوع من الطين، تفوح منه رائحة الماضي، ممزوجة برائحة الخوف الحاضر. في غرفة واسعة بأرضية خشبية باهتة، جلس الشيوخ، رؤوسهم مثقلة بالهم، وأفكارهم تتقاذفها الحيرة.

كانوا يرتدون جلابيب ريفية، ولفت عمانهم البيضاء رؤوسهم، بينما ساد همس خافت بينهم، أشبه بلحنٍ متوجّس لا يجروُ أن يُسمع.

فجأة، انقطع الهمس بدخول الشيخ عديل. رجل مختلف، هيبَةٌ وسكونًا. وجهه أبيض صافٍ، عيناه مكحلتان بخطوط غامضة، وشعرُهُ الأبيض كأنه تاجٌ من الحكمة يكَلِّل ذقنه الطويلة. حين دخل، ساد صمت ثقيل.....

جلس على كرسي خشبي في صدر الغرفة، واستدار نحوهم، ثم قال بصوتٍ جهوريٍّ فيه ثقة:

_ أهلاً بكم يا شيوخ بلدة العاقير. اجتمعنا اليوم لنواجه الحقيقة كما هي، لا كما نريدها. النداهة لم تُعدْ حكاية تُروى، بل صارت آفةً تنهش وجودنا. أرضنا تذبل، أرواحنا تتآكل، وأطفالنا يُسلبون مستقبلهم أمام أعيننا. نحن اليوم لا نبحث عن شكاوى ولا نحيب، بل عن فعل. فهل أنتم مستعدّون للقتال من أجل حياتكم؟

تنهّد الشيخ سعد، وقال بصوت أثقلته الأحزان:

_ لكن كيف نقاتلها؟ ألم نحاول من قبل؟ خرجنا مراتٍ عديدة، نُطاردها مع رجال القرية، فلم نعد إلا بالمآتم. في أول مرة، عثرنا على جثث ثلاثة شباب في مقبل العمر... وفي الثانية، سقط خمسة... أما الثالثة، فكانت الطامة سبعة قتلى، بينهم ولدي نادر. يا عديل، كلّمنا حاولنا الانتقام، حصدنا الحزن. ما نرجوه الآن ليس النصر بل النجاة.

هزّ الشيخ عديل رأسه بحكمة، وقال بهدوءٍ أشد:

_ وهذا ما نرجوه جميعاً يا سعد. لا قتال دون خطة، ولا حركة بلا بصيرة. هذه المرة لن نتحرك إلا بيقين. سنعرف كيف نُخرجها من جحرها، ونقضي عليها.

هنا تقدّم الشيخ محمد، وقال بنبرة جادة:

عندي اقتراح...

سأل عدیل: وما هو؟؟؟

_ نرسل وفدًا إلى حاكم مصر. نُطلعه على ما يحدث. نحن جزءٌ من دولته، وقد خدمناه في عزٍّ أيماناً، وصدّرنا له الكتان والتجارة، وربطنا بلاد الشام بالحجاز. فمن باب أولى، أن يقف معنا الآن، كما وقفنا معه.

أوماً الشيخ عدیل موافقاً:

_ كلامك سديد، يا شيخ محمد لكن... من نُرسل في هذه المهمة الشاقة؟..

ساد الصمت لحظة، ثم قال محمد:

_ نحتاج رجلاً عاقلاً، شجاعاً، فصيح اللسان، لا يهاب الموت، ولا يخشى الطريق الطويل ولا النوم تحت السماء. هذا الرجل سيكون رسولنا، وصوت قرينتنا المذبوحة.

رفع الشيخ عدیل رأسه، وسأل بصوت مهيب:

_ يا شيوخ العقير الأفاضل، من تَراه يغدُ الصحاري، مصقع القول في بيانه، فرساً مغواراً في كيانه؟ من نأتمنه على حياتنا جميعاً؟

تقدّم الشيخ عبد الواحد وقال بثقة:

_ يا شيخنا الجليل بيننا من تتوفر فيه كل تلك الصفات. إنه زيدان العبسي، الرجل الذي لم يعرف الخوف يوماً، ولا خائته عزيمته. تفكر عديل، ثم قال:

لقد أحسنت، يا عبد الواحد. زيدان، فيه اجتمعت شجاعة السيف وحكمة العقل. ولا يُجمع ذلك إلا في الرجال العظام.

ثم التفت إلى الحضور، وقال: _ فليرفع مَنْ يُؤيد اختياره يده. فارتفعت الأيدي واحدة تلو الأخرى، في مشهدٍ يحمل اتفاقاً قلماً شهدته المجالس.

ثم سأل عبد الواحد:

لكننا نحتاج ثلاثة رجال آخرين، يُرافقونه، ويسندونه فمن ترون أن يكونوا؟

دار النقاش طويلاً، ثم استقر الرأي على أربعة:

زيدان العبسي: الفارس المغوار قائد الوفد.

حمزة بن غارم: العارف بدروب الصحراء، ومرشد القوافل.

لبيد بن عامر: التاجر الفصيح، والحكيم في المحافل.

ليث البطّاح: الصامت الحارس، والمقاتل إذا جدّ الجدّ.

نهض الشيخ عدیل بوقار، وختم الاجتماع قائلاً:

_ أرسلوا إلي من وقع عليهم الأختيار. لنعرض عليهم المهمة،.....

كان زيدان في ذلك الوقت يكذب في أرضه، يمسح جبينه المتصبب عرقاً، ويغرز فأسه في التراب بقوة وهمّة، يحرت الأرض كما فعل آبائه من قبل، فالمحاريث الحديثة لم تعرف طريقها إلى تلك البقعة بعد، وكان الاعتماد كله على الأيدي والسواعد.

كان وجهه مائلاً إلى الحمرة، كأنما صبغ بنار الشمس، يكسوه شيء من الوسامة الريفية الخشنة، وعيناه كحليتان كفرشتين من ظلام الليل تحت سماء مرصعة بالنجوم. جسده، من فرط ما اعتاده من جهدٍ وعرقٍ وتعب، بدا وكأنما خرج لتوه من صالة رياضية. يرتدي كلسوناً بنياً، وسروالاً ضيقاً أسود، وفانلة عليا مصفرة من العرق.

فجأة، سمع صوت أخته "نبيلة" تصرخ من جهة البيت. التفت إليها بسرعة وقد جحظت عيناه.

صرخ فيها، بصوتٍ ممتزج بالضيق والاستغراب: - ما بك يا بهيمة!؟

لكن صراخها ارتفع أكثر، تشقّ به سكون الحقول:

- رضيعي!.. طفلي!.. ابني!

اقترب منها مسرعًا، وقال وهو يزمجر:

– ما هذا الهُراء؟ قولي كلمة واحدة أعرف بها عمّ تتحدثين! استعجلي!
ما به الطفل؟ وإلا شققتُ رأسك بهذه الفأس!

تلعثمت، ثم نطقت وقد اختنق صوتها بالبكاء:

– لا أجده... أعطيته لحماتي، ثم ذهبت إليها لأسترجعه، فقالت إنها
أعادته إليّ... وأنا لا أتذكر شيئًا! بحثت عنه في كل مكان، والله لم أراه!

وقف زيدان في مكانه مذهولًا، وكأن الأرض ابتلعتة لحظة.

ثم رمى بالفأس من يده، وصرخ وقد تمآكه الغضب والخوف معًا: – هل
أضعتِ الطفل يا حمقاء؟! أقسم بالله إنني قلتُ لهم إنهم ظلموك حين
زوّجوك، مثلك لا تصلح حتى لتنظيف روث المواشي!

ثم انطلق يعدو، يبحث ويقلب في كل ركن وزاوية. ولحق به الفلاحون،
يفتشون معه، بين أعواد القصب، وتحت الأشجار، وخلف أكوام التبن.

في حين كانت "نبيلة" لا تزال تصرخ، وتبكي، وتضرب صدرها، وقد
غاب الوعي عن عينيها، وصوتها يعلو ويهوي مع كل ذرة تراب تُقلب
بحثًا عن الرضيع.

فجأة، قفز الجميع في الترعَة ظنًا منهم أن الطفل قد سقط فيها. خاضوا المياه بجنون، ينقبون في الطين ويشقّون الضباب بأعين مذعورة. ولكن لا أحد وجده.

خرج زيدان من الماء، يقلب الاحتمالات في رأسه، يحاول أن يعقل ما حدث. سار بخطى متسارعة نحو أخته، التي كانت تنتحب بصوت يمزق السكون، وقال لها بخشونة:

_ اصمتي واخبريني بهدوء ما الذي حدث؟ وأنتِ يا عمّتي كذلك...

قالت أخته من بين شهقاتها:

_ أعطيتُ ابني لحماتي حتى أنهى عمل المنزل. وحين فرغت، ذهبت لأحضره... قالت لي إنني أخذته منها بالفعل.

ردّت العمة بثبات مُنْهَك:

_ نعم، لقد أخذته مني، ثم عادت بعد قليل تسأل عنه، ولما أخبرتها أنها أخذته، صرخت في وجهي تُتكر وتتهمني.

ثم أضافت، وهي تضرب صدرها غضبًا:

_ إن أصاب حفيدي مكروه بسبب فعلتها، لن أسامحها أبدًا، ولن أَرْضَى إلا بطلاقها من ولدي.

وضع زيدان يده على ذقنه، وقد غمره صمت ثقيل. دخل إلى المنزل بخطى مبللة، وفتح باب الغرفة بعينين يقظتين. راح يبحث، يتنقل بين أركان الغرفة، حتى مدّ يده ورفع الناموسية عن السرير... فوجد الطفل نائمًا في هدوء، كأن شيئًا لم يكن.

حمله بين ذراعيه، وخرج به من المنزل، وأمارات الحزن المرهق تملأ وجهه.

وما إن رآته أخته، حتى صاحت بفرح هستيري:

ابني حبيبي أين وجدته يا أخي؟!

خطفته من بين يديه، وضمتّه إلى صدرها، تقبلته وتبكي كأنها عادت للحياة.

قال زيدان بنبرة حادة خالية من العطف:

وجدته في موضعه... على السرير. ألم يخطر ببالك أن تبحثي في الغرفة قبل أن تجعلي عاليها سافلها؟

نظرت إليه، ودموعها تهطل على خديها، وهمست:

أنا... أنا من وضعه هناك... بيدي ونسيت، أقسم أنني نسيت.

نظر زيدان إليها بسخرية مريرة وقال:

_الم أقل إنهم ظلموك حين زوجوك؟ ثم أضاف بنبرة أكثر جفافاً: ما لك تبكين الآن؟ لا تحزني، فأهل البلدة اعتادوا على أفعالك.

ثم أشار بيده وقال:

_ احضري لي شيئاً أجفف به نفسي.

ناولته الطفل فمدّ يده يداعبه برفق، ثم اقترب منه وهمس في أذنه:

_ أعانك الله، وصبرك على ما ابتليت به، يا بني...

سمعتة أخته، وسألته بدهشة:

_ ماذا تقول له؟

أخذ منها قماشة بيضاء ثم ناولها الطفل مجدداً وأجاب، وهو يستدير مبتعداً:

_ لا شيء... أوصيه ببرّ الوالدين.

لمح زيدان من بعيد شخصاً يقترب نحوه، وهو يلوح بيده، حتى اقترب وقال:

_ كيف حالك يا زيدان؟

أجاب وهو يمسح العرق عن جبينه:

_ بخير يا سعد... ما الأمر؟

قال سعد، وهو يلتقط أنفاسه:

_ الشيخ عديل يطلب حضورك إلى مجلس الشيوخ حالاً.

سأله بقلق:

_ هل حدث شيء؟

ردّ وهو يخفض صوته:

_ غير مسموح لي أن أقول. تعالّ معي وستعرف كل شيء.

قال زيدان وهو ينظر إلى ملبسه المبللة بالعرق والطين:

_ دعني أبدل ثيابي أولاً، ألا ترى ما أنا فيه؟

فقال سعد بجدية:

_ إذن أسرع... الأمر لا يحتمل التأخير.

"ركوب المصير"

غاب زيدان دقائق قليلة، ثم خرج مسرعاً ولحق بسعد. وما إن وصلا إلى بيت الشيخ عديل، حتى فوجئ بجميع الرجال المختارين جالسين هناك، وأمامهم مجلس الشيوخ بكامل هيئته ووقاره.

رحب الشيخ عديل بالحاضرين بحرارة، ثم نهض وقال بصوت جهوري:

_ يا رجال العاقير، اجتمع شيوخ البلدة ليلة البارحة، وتشاورو مطوّلًا،
ثم استقر الرأي على اختياركم أنتم الأربعة لحمل رسالة إلى حاكم مصر.

ساد صمت مشحون، وراح الشيخ عديل يتنقل بنظره بين الوجوه،
يقيس وقع كلماته على ملامحهم، ثم تابع:

_ هذه ليست مجرد مهمة... إنها أمانة، وربما الفرصة الأخيرة لإنقاذ
قريتنا من لعنة النداهة. فأنتم أملنا في النجاة، وكلنا ثقة في رجولتكم.
ومن يرغب في تحمّل هذه المسؤولية فليعلنها الآن، ومن لا يرغب،
فليكن شجاعًا ويصرّح برأيه، فلن نلومه.

نظر الرجال الأربعة إلى بعضهم، وكان بينهم اتفاق صامت. ثم كان
زيدان العبسي أول من نطق، وقال بصوت ثابت:

_ يا شيخ أتشرف بذلك فالتضحية في سبيل نجاة قريتنا لا يُقارن. وإن
متّ في الطريق، فذلك أشرف من أن أحيأ وأرى أرضنا تُبتلع تحت ظلال
الرب.

تلاه حمزة بن غارم، وقال بابتسامة هادئة ونظرة عازمة:

_ الطريق محفوف بالمخاطر، لكنني وُلدت لذلك و سأذهب، ولن أعود إلا
ومعي خلاص هذه البلدة.

أما لبيد بن عامر، فوقف بنبرة واثقة، وقال:

_ لست مقاتلاً كرفاقي، لكنني أجيد الحديث، والحكمة سلاح. سأتكلم،
وسأقنع، وسأفعل ما بوسعي لنصل إلى مبتغانا.

ثم قال ليث البطاح بهدوء يشبه الليل قبل العاصفة:

_ قاتلتُ إلى جوار إخوتي في أحلك الليالي، ولن أتركهم الآن. أنا معهم،
حيًا أو محمولًا على الأكف.

ابتسم الشيخ عديل، ورفع يديه إلى السماء، ثم قال بخشوع:

_ الحمد لله الذي رزقنا أمثالكم. قراركم شرف لنا، وموافقكم دليل
إخلاصكم. لقد أثبتتم أن رجال العاقير لا يخافون الموت، إذا تعلق الأمر
بالأرض والعرض والكرامة.

ثم أضاف بحزم:

_ نبدأ من الآن التحضير للمهمة. أمامكم أيام قليلة لتجهزوا أنفسكم، فقد
يكون الطريق طويلاً ومخيفاً، لكنه لا يخيف من يحمل في قلبه العزيمة.

وفي لحظة مهيبه، رفع الشيوخ أيديهم بالدعاء، وانطلقت أصواتهم في
المجلس:

_ اللهم احفظهم في طريقهم، وسدّد خطاهم، واجعل النصر حليفهم.

وبهذا، بدأت الرحلة، لا على الأقدام فقط، بل في أعماق المجهول... إلى قلب مصير غامض، لا يعرف أحد كيف سينتهي.

وبعد ثلاثة أيام اجتمع أهل البلدة في الساحة يتابعون المصير الغامض الذي ينتظر أبناءهم المختارين. كانت الشمس مشرقة، والسماء صافية، لكن القلوب مثقلة بالقلق. أربعة رجال وقفوا في صمت، يرافقهم أربعة خيول سوداء ضخمة، تتنفس بثقل، وكأنها تدرك المهمة التي تنتظرها.

وقف الشيخ عديل، بهيبته المعهودة، على منصة مرتفعة تخترقها أشعة الشمس، ورفع يده يخاطب الحاضرين:

يا أبنائي، هذه الخيول ليست مجرد وسيلة تنقلكم عبر الصحارى الشاسعة، بل هي رفقاء دربكم. احرصوا عليها كما تحرصون على حياتكم، فهي رمز قوتكم، وحليفكم في هذه الرحلة. سرّوا بحذر... وعودوا بسلام."

وما إن سكنت كلماته حتى اندفع رجل من الجهة الجنوبية، يركض بصعوبة، وملامح الإصرار تملأ وجهه المُعْبِر. كان مصطفى نفسه .

رجل أربعيني، في ذقنه بعض شعر أبيض، وعيناه بلون أخضر مائل للزُرْقَة، تشتعلان بالحياة والغضب معاً. جسده متوسط البنية، لا هو بالنحيل ولا الممتلئ، يرتدي جلباباً مهترئاً مرقعاً عند الكتفين والركبة،

وقد لطفه الغبار. وقف يلهث، والعرق يتصبب من جبينه، بينما تتعلّق به أنظار الجمع.

سأله الشيخ عديل بنبرة تعلوها الدهشة:

_ ما الذي أتى بك يا مصطفى؟ هذا ليس مكانك.

رفع مصطفى رأسه، وصوته يحمل من الألم بقدر ما يحمل من التصميم:

_ جئت لأرحل مع المختارين إلى مصر.

ازدرد الشيخ عديل غضبه وهو يرد بحزم:

_ مصطفى، مجلس الشيوخ لم يخترك لهذه المهمة. قرارات المجلس لا تُناقش، ولا يُعترض عليها.

لكن مصطفى لم يهتز، بل ارتفع صوته مملوءًا بالمرارة والغضب:

_ عن أي حق تتحدث يا شيخ؟ هل عانيت ما عانيت عندما قُتلت ابنتي؟ أنتم تتحدثون عن الحق وتتركون الأحق. وعدي لابنتي بثينة أن أثار لروحها المهدورة يمنحني كل الحق. سأذهب إلى مصر، ولن يمنعي أحد، حتى أنت.

سكن الجمع للحظة، والأنظار معلقة بالشيخ عديل، الذي ابتسم بهدوء قاتل، وقال:

_ مصطفى... هل تدرك ما يعنيه التمرد على قرارات مجلس الشيوخ؟
العقاب معروف.

رد مصطفى دون تردد:

_ أعلمه جيداً. رأيته مراراً. ولن أراجع حتى لو كانت حياتي الثمن.

رفع الشيخ عديل حاجبه قليلاً، ثم التفت إلى أحد الرجال خلفه:

_ يا زعر... أحضر مارق.

لم تمض دقائق حتى عاد زعر، يقود فرساً أبيض ذا عيون زرقاء متوهجة، فروه الكثيف يتطاير مع كل خطوة، وحجمه الضخم يجعله يبدو أسطورياً وسط الخيول السوداء. ما إن اقترب حتى توقفت الأنفاس.

اقترب الشيخ عديل من مصطفى، وقال:

_ خذ مارق. هذه فرصتك الأخيرة لتثبت أنك تستحق هذا الدور. أخيب ظني... وستعود إلى العقير أسيراً، إن عدت.

مد مصطفى يده نحو لجام الفرس، ولمعت عيناه بالامتنان والغضب معاً. ثم التفت إليه الشيخ مرة أخرى، ولوح بيده نحو صندوق خشبي صغير وضع إلى جوار المنصة، قائلاً:

وخذ من هذا الصندوق به زيك الجديد، مثل رفاقك.

اتجه مصطفى ببطء نحو الصندوق، فتحه أمام أعين المنات، وخلع جلبابه المهترئ دون خجل، ليبقى بملابسه التحتية الفضفاضة، كشخص ولد من جديد، ثم اختار من الصندوق ثوباً عتيق الطراز، كان من بقايا مقايضة قديمة مع أهل الشام عندما كانت البلدة تصدر الكتان. قميص من نسيج كحلي، بأزرار نحاسية، وسروال قصير يصل لما تحت الركبة، وصدريّة قماشية داكنة مطرزة بخيوط دقيقة، مع وشاح أبيض يلف به خصره.

ارتدى الثياب بخفة ووقار، وسط نظرات صامتة تحمل الاحترام والرهبة، ثم صعد على ظهر مارق كأنما وُلد ليركبه. استقام بجسده، واستدار نحو الشيخ قائلاً:

ثقتك في محلها... وستعلم ذلك قريباً.

على وقع الدعوات والأمل، انطلق المختارون الخمسة، ومعهم مصطفى، في رحلة لا يعلم أحد مداها، لكنهم جميعاً حملوا أعباء قرية بأكملها، وآمالاً معلقة على أكتاف الخيول والقلوب.

((الفصل الثاني: نعمة ام نعمة))

خرج الرجال من "العاقير" يتقدمهم مصطفى على الفرس "مارق". وبينما كانوا يركضون عبر الأراضي القاحلة، تعالي نعيق الغربان في السماء الرمادية، تبادلوا النظرات، وقد ارتسمت على وجوههم ملامح الانكسار، كأنها نذير شؤمٍ سيلاحقهم.

قال مصطفى:

_ قلبي معكم... لمَ هذا العبوس نحن لم نتحرك سوى خطوات، فكيف ستكون وجوهكم إذا اقتربنا من مصر؟

رد ليبد بسخرية:

_ مصر؟ وهل سنصل إليها أصلاً؟

أجابه مصطفى بحزم:

_ وإن لم نصل، أليس من الرجولة أن نحاول؟ لن نعود خالي الوفاض، وإن عدنا، فعودتنا تعني فقط أن الموت أجل موعده.

ثم رفع صوته نحو مارق: _ هيا يا مارق، أسرع أريد أن أصل قبل أن تومض عيني.

وقف "مارق" على قائمته الخلفيتين، ولوح بحوافره الأمامية في الهواء، ثم انطلق بسرعة خاطفة انفجر الرجال بالضحك، فقال حمزة:

_أسرعوا خلفه، وإلا وصل إلى مصر وتركنا في منتصف الطريق.

وبعد ساعات من السير، حلّ الظلام.

أشار ليث: _نسترح هنا الليلة.

أوما مصطفى: _أوافقك الرأي.

ترجّل الرجال، وانطلق زيدان حاملاً فأسه بين الأشجار باحثاً عن حطب يابس. وبعد وقت، عثر على شجرة متآكلة فقطع منها بعض الأغصان، وربطها في حزمة على كتفه. لكنه حين استدار للعودة، لم يجد أحداً.

سكون ثقيل خيم على المكان، لا صوت سوى حفيف الشجر... حتى سمع صوتاً خافتاً يناديه، صوتاً قريباً مفعماً بالحنين والرغبة:

_يا زيدان... تعال إلى جدتك... ألم تشتق لعناقها؟

تجمّد زيدان في مكانه، وقد شحب وجهه، عيناه تسمرتا في الظل الذي بدأ يتراقص حوله بسرعة غريبة.

_جدتي تُرين؟! أين أنتِ؟ وكيف وصلتِ إلى هنا. قالها مذهولاً. وبعدها ألقى الأخشاب على الأرض، وقبض على فأسه بحذر. تطلّع حوله يتتبع مصدر الصوت، الذي عاد مجدداً، لكنه أقرب هذه المرة، وهمس في أذنه:

_ ألا تود معانقة جدتك التي تحبك أكثر من نفسها؟

كان قلب زيدان يخفق بشدة، لكنه تمتم ببرود متوتر:

_ كانت ستنظلي عليّ الخدعة .. لو لم أكن قد دفنت جدتي بيدي قبل
يومين!

عندها، دوى ضحك ساخر من قلب الظلال، تبعه الصوت نفسه وهو
يهمس مهدداً:

_ دفنتها قبل يومين... وسأدفنك اليوم.

صاح زيدان وهو يرمي فأسه نحو مصدر الصوت بكل ما أوتي من قوة،
ثم ركض بجنون، حتى ارتطم بجسد مصطفى.

سأله مصطفى بقلق:

_ ما بك يا زيدان؟

أجابه وهو يلهث، وقد انعقد الذعر في وجهه: _إنها هنا...

تغيرت ملامح مصطفى: _ أتهازأ بي؟ كيف ذلك؟

_ لا أعلم... لكن يجب أن نهرب!

نظر مصطفى حوله، ثم صاح بصوت حاد:

_ هيا يا رجال! اجمعوا متاعكم، بسرعة...

...تسارع الرجال في جمع أغراضهم، وكل منهم امتطى جواده في سرعة، ثم انطلقوا في عجلة عبر الظلام.

قال حمزة وهو يلتفت إلى زيدان:

_ لقد كانت الخيول تركض منذ الصباح، كيف استطاعت النداهة أن تلحق بنا؟

رد زيدان بصوت متسارع، وكأنما يحاول أن يهرب من أفكاره:

_ لا أعرف... لكنها نادت باسمي. نادتني بصوت جدتي. ستقتلني إن توقفت.

حاول مصطفى تهدئة الموقف، قائلاً:

_ لا تخف، نحن معك.

لكن زيدان رد بنبرة متوترة، بينما عرقه يلعب على جبينه:

_ وماذا ستفعلون؟ لن أترك فرسي حتى أصل مصر.

اقترب مصطفى منه، محاولاً إخفاء قلقه:

_ لا تكن مثل الأطفال. قلت لك لا داعي للخوف.

رفع زيدان رأسه ونظر إلى الأرض، ثم قال بمرارة:

_ ما أسعدك... فأنت لم تُناد فلا تعرف كيف هو صوتها. النداهة لا تناديك لتخيفك فقط، بل لتُمسك بروحك... تقول لي لا تخف اليست هذه هي الكلمات التي قلتها لبثينة... (لا تخافي، لا تخافي).

وفي لحظة خاطفة، لم يكتفِ مصطفى بالكلمات. قفز من فوق فرسه "مارق" واندفع نحو زيدان، وأسقطه أرضاً، وبدأ يُوجّه إليه اللكمات، وعيناه تقدحان بالغضب المكتوم.

نزل حمزة ولييد سريعاً، وجذبا مصطفى بعيداً بكل قوة. صرخ مصطفى، بنبرة يحفها الألم أكثر من الغضب:

_ دعوني أقتله، دعوني!

رد حمزة بحسم:

_ وماذا بعد قتله؟ وماذا بعد أن نفقد أرواحنا جميعاً؟ هل ستعود العاقير؟ نحن خرجنا من أجلهم، فهل نبدأ بتحطيم أنفسنا منذ الليلة الأولى؟

ثم أشار نحو زيدان وقال:

_ احرص على ألا يزداد خوفك، وكن حذراً، حتى لا ينعكس هذا الخوف على الجميع. مصطفى كان يحاول مساعدتك، لكنك أسأت إليه بذكر ابنته الراحلة، وهذا لا يليق.

ثم أكمل بصوت أقل حدة، وهو ينظر إلى زيدان مباشرة:

نحن نعلم من هو زيدان... نعلم أنك قوي، وأشدنا بأسًا، لكن ما رأيناه الليلة ليس زيدان الذي نعرفه. فهذا ما تفعله النداهة... لا تأخذ الجسد، بل العقل فاستيقظ، وارجع الينا كما عهدناك..

نظر زيدان إلى حمزة بعيون مليئة بالندم، ثم مسح الدم عن فمه بظهر يده، وقال بصوت مكسور، وكأنما يعود إلى ذاته:

_سامحني يا أخي... لقد أخذ صوتها عقلي فلم أدري ما قلت. أعدك سنأخذ بثأر بثينة، وكل من قتلوا معها. ثم احتضن زيدان مصطفى بقوةٍ أما مصطفى، فقد ترك ذراعيه تتدليان بجانبه، متبسين كأنما فقدت فيهما الحياة، وانزلقت دمعةً يتيمةً من عينه، دمعة رجلٍ جلدته المصائب، لا يبكي إلا حين يفيض الكيل. كان قويًا في صمته، صلبًا في حزنه، لكن النداهة، ذلك الشر الكامن، لم تترك قلبه إلا مشروخًا، وعقله إلا متأرجحًا بين الصحو والهديان.

وبعد لحظاتٍ، رفع يده ليرد العناق بصمتٍ ثقيل، وقد علا وجهه شحوبُ الحزن، وانكمش قلبه كأن يداً خفيةً تعصره من الداخل.

. لم ينم أحدٌ تلك الليلة فأجسادهم كانت جاثمةً، وعيونهم ساهرة، وعقولهم مشدودة إلى ظلال ما رأوه وسمعوه.

أربعة أيامٍ طويلةٍ مرّت عليهم كالدهر، دون نومٍ ولا راحة. كانوا يقطعون الصحارى الممتدة تحت شمسٍ حارقة، يتعشرون في الرمال، ويشدّون الحبال على ظهور الدواب حتى لا تنهار، تتبدل وجوههم بالغبار، وتتقشّر أقدامهم من شدة السير. جلسوا مرارًا على الرمال الملتهبة، يلقون بأنفسهم جوار صخورٍ باردة، يتقاسمون ما تبقى من ماءٍ عكر وطعامٍ يابس. لم يكن في الحديث متسع، ولم تكن المزاحمة على الراحة خيارًا، فالكلّ متعب، والكلّ مشغول بما رأى وما ينتظره.

ومع كل هذا، كانوا في حيرةٍ وغرابة، إذ لم يظهر لهم شيء. لا نداءً غامض في الليل، ولا ظلّ غريب في الرمال، لم تخرج لهم النداهة مرة أخرى، ولم تقاطع طريقهم الوحوش التي حدّتهم منها شيوخ قريتهم.

تلفتوا أكثر من مرة، تساءلوا همسًا:

_ لماذا لم تلحق بنا؟

_ أم أنّ في مصر شيئًا يمنعها؟

لكنهم لم يتوقفوا، بل ضمّوا خوفهم في صدورهم، وظلّوا يذكرّون الله بين أنفاسهم، ويدعون بصوتٍ مرتجف:

_ اللهم سلّم... اللهم سلّم.

حين وطئت أقدامهم أرض مصر ، أدهشهم اتساع الشوارع وكثرة البشر. القاهرة كانت تعج بالحركة، لكنها ليست صاخبة كما تخيلها القادمون من العاقير. الطرق مرصوفة بالأحجار، والدكاكين على جانبي الشوارع، تفوح منها روائح التوابل والقهوة والدخان. العربات تجرّها الخيول، والباعة يصرخون بمسميات بضائعهم. والمباني كانت عالية على غير ما اعتادوه، بعضها مطلي بالجير الأبيض، والبعض الآخر بأحجار رمادية. والرجال يرتدون الطرابيش والعباءات الواسعة، والنساء يغطين وجوههنّ بالنقاب.

توقفوا أمام قهوة شعبية - لم تكن مقهى بالمعنى الحديث، بل مكاناً أشبه بالركن، يضع فيه صاحبه بضع كراسٍ خشبية وموقدًا صغيرًا للنارجيلة، ويقدم الشاي في أكواب زجاجية صغيرة. جلسوا ليستريحوا قليلاً، وهناك اقترب مصطفى من رجل مسنّ، لحيته بيضاء كثيفة، يجلس يدخن الشيشة وعيناه نصف مغمضتين. سأله مصطفى:

_يا عم، أين يمكننا العثور على قصر إبراهيم باشا؟

نظر الشيخ إليه بدهشة، وقال وهو ينفث دخان النارجيلة: أي إبراهيم؟
أوضح حمزة وقد علا صوته بالدهشة:

_إبراهيم باشا... حاكم مصر. ضحك الرجل ضحكة مغموسة بالأسى وقال: إبراهيم باشا ثوفي يا ولدي من سنين... كان ذلك في 1848. الآن الحاكم هو عباس حلمي، ابن أخيه.

سأله مصطفى بسرعة ولهفة: وأين نجده الآن؟

أجاب الرجل وهو يبتسم ابتسامة مريرة: قُتِلَ البارحة، في قصره بينها...

سقط الخبر عليهم كالصاعقة. صمتوا كأن الهواء اختفى من المكان. لبيد قال ساخرًا وهو يحاول أن يضحك من الألم: كلما اقتربنا من الحل... نجد أن الإجابة قد حذفت.

رد زيدان بنفاد صبر: اصمت ودعنا نذهب إلى البشوات، لعلهم يستمعون.

لكنهم اصطدموا بالواقع. حاولوا الوصول إلى كبار المسؤولين، طرّقوا أبواب البكوات والولادة، لكن كل محاولاتهم باءت بالفشل. بعضهم طردهم من عتبات القصور، وبعضهم اتهمهم بالجنون: "النداهة؟ أهي لعبة جديدة لاستدرار الأموال؟

مرّ شهر كامل وهم يواجهون التهكم والرفض والبرد والجوع، حتى تلك الآمال الصغيرة التي حملوها من العاقير بدأت تذبل.

في إحدى الليالي، كانوا يصلّون في مسجد صغير بحي الجمالية، ارادوا النوم بعد انتهاء صلاة العشاء لكن إمام المسجد طردهم قائلاً: المكان ليس للنوم! إن كنتم فقراء فاذهبوا إلى الخان.

استأجروا غرفة ضيقة من خشب في حوش شعبي، ليومين فقط، بنصف المال الذي بقي معهم. كان الهواء لا يدخل الغرفة إلا عبر نافذة صغيرة مكسورة، والفرش من قش يابس، لكنهم شعروا بالأمان المؤقت.

قال زيدان وهو ينظر إلى السقف: _البقاء هنا لم يعد له فائدة. يجب أن نعود.

رد ليث: والعودة الآن ايضاً بلا فائدة.

قال مصطفى بحزم: زيدان معه حق الحل في العودة، لا في البقاء. فالعاquir تحتاج كل فرد من شبابها..

"ضياء"

مع أول شعاع للضياء، صرخ الديك من مكان بعيد كأنه يطلق أمراً بالرحيل. استيقظ الخمسة دفعةً واحدة، نهضوا بسرعة خفيفة، وجمعوا أمتعتهم بصمت، وكأنهم يسرقون الزمن. لم يتبادلوا الكثير من الكلام، كانت الوجوه متعبة، والقلوب متأرجحة بين المرارة والإحباط، خرجوا من الغرفة المستأجرة، وأغلقوا الباب بهدوء، وتركوا خلفهم مصر

تخيم عليهم مثل ظلٍ ثقيل، وهم يدركون تمامًا أن العودة لن تغيّر شيئاً، لكنهم قرروا أن يعودوا رغم كل شيء.

ركبوا خيولهم المتعبة، ومضوا خارج حدود المدينة. كانت الشوارع خالية إلا من عجوز يكنس أمام حانوته، ورائحة الخبز تتسلل من فرنٍ صغير. على الرصيف، جلس صبيّ يبيع التين المجفف في صينية نحاس، يرقبهم بنعاسٍ متراكم.

واصلوا المسير بصمت، والريح تعصف بملابسهم، تدفعها للخلف وكأنها تمناع هذا الرحيل.

مرّت الساعات ببطءٍ خائق، لا يسمع فيها إلا صوت حوافر الخيل وهي تضرب الرمل اليابس. فجأة، كسر الصمت صوت لبيد، وقد همس بتعب:

_ أين نحن ؟

نظر حمزة حوله وهو يضغط على جبهته، وقال بضياح:

لا أعلم... كنا نسير في نفس الطريق، لكن الآن... لا شيء هنا يُشبه أي مكان.

ضحك زيدان فجأة، ضحكة ساخرة ومجنونة، وقال وهو يمد يديه في الهواء كالممثلين:

_ لا تقولي إننا أضعنا الطريق، آه، انتظروا، دعوني، سأبكي... إهي، إهي، إهو.

نظر إليه ليث بنظرة حادة، وقال بجمود:

_ هل تظن الوقت مناسباً للمزاح؟

لكن زيدان لم يتوقف، بل تمادى في الضحك، وأضاف بصوتٍ مختلط بالمرارة:

_ ولم لا أضحك؟ إذا لم أضحك الآن، فمتى؟ أمي ماتت، وفقدت عائلتي ولم يتبقى الا اختي ولن استطيع الرجوع اليها ، لا شيء أمامي إلا الموت. إهي، إهي، إهو...
 اقترب منه ليث، وقال ببرودٍ مضغوط:

_ كفى عبثاً. سنتجه شرقاً، لعنا نجد طريقاً أو مأوى.

رفع زيدان يديه كمن يستسلم، وقال وهو يبتسم ابتساماً باهتة:

_ كما تشاء، يا سيدي... إهي، إهو...

تنهد مصطفى بقوة، ثم قال للجميع:

_ فلنواصل السير ولنتحلى بالصبر، فقط الصبر....

استمر السير عبر الصحراء لخمسة أيام. الشمس تصبّ عليهم نارها بلا رحمة، والرمال تلسع أجسادهم العارية من الأمل. نفذ الطعام والماء، ولم يبقَ معهم إلا أحلام خافتة. الخيول تساقطت واحداً تلو الآخر، ولم ينبجُ إلا مارق، الذي كان يجر نفسه كأنه يموت مع كل خطوة.

كانوا كأشباح تمشي تحت سماءٍ لا تذكرهم، في زمنٍ نسي أن يمنحهم حتى نقطة ماء.

قال حمزة بصوت خافت، لكنه مشبع بالعزم:

_ لن نموت دون قتال. وسنستمر حتى النهاية.

رد مصطفى، وهو يفتح فمه بصعوبة:

_ يا رب، أخرجنا من هذا... أخرجنا.

لبيد، وقد بدأ صوته يتكسر، قال:

_ تركت ابواي في العقير، أنا وحيدهم و إن مت الآن من سير عاهم..

نظر ليث إلى وجهه، وقال بثباتٍ رغم الجوع والعطش:

_ الله لن يتركنا.

ألقى زيدان نفسه على الرمال بينما يتنفس بثقل ويشدّ من شفّتيه القاحلتين، ثم قال بصوت خافت وهو يلهث:

_ أحتاج إلى الماء... جفّت شفّتي... إهي... إهي... أهو.....

لم يتمالك ليث نفسه، رغم التعب الذي نخر جسده، فاتفجر ضاحكًا
بضحكة جافة، وزحف إلى زيدان وهو يضحك، ثم ضربه بخفة على
مؤخرة رأسه وقال مازحًا:

_ لو لم أرك تتنفس، لظننتك فردة حذاء مرمية في الصحراء.

لكن زيدان لم يردّ، فقط ثبت نظره على الأفق، ثم همس فجأة بنبرة
متوترة: _ لحظة... هناك... أرى شيئًا...

رفع ليث عينيه وأجاب بعد لحظة من التركيز:

_ إنه كوخ... هناك كوخ!!!

رد حمزة بتعب ونفاد صبر:

_ توقفوا عن الهديان، أنتم تهلوسون من الجوع والعطش.

لكن زيدان أصرّ وهو ينهض فجأة، يلوح بذراعيه ويشير نحو بقعة
داكنة بعيدة:

_ أقسم لكم أنني أراه...

تبادل مصطفى وليبيد النظرات، ثم قال مصطفى وهو يحدّق في الاتجاه
ذاته:

_ هو على حق... يبدو أنه كوخ فعلاً.

انطلقت صيحة فرح من ليث، وقفز ليعانق زيدان، كأنهم وجدوا الخلاص أخيراً.

ركض الأربعة بكل ما تبقى لهم من طاقة، تتقاذفهم الرمال والآمال، بينما تبعهم مصطفى بخطى أثقل، يسحب جواده مارق الذي بدا منهكاً، وهمس له بهدوء:

_ اصمد قليلاً يا مارق.

وصلوا إلى الكوخ، كان بسيطاً، مصنوعاً من أعواد خشبية مربوطة ببعضها، وسقفه مغطى بالقش.

تقدّم ليث، يطرق الباب بلهفة، وصوته المرتجف يشقّ الصمت:

_ هل من أحد؟ نحن على وشك الموت!

لحظات مرت كأنها دهر، قبل أن يُفتح الباب ببضع، وتطلّ منه فتاة في أوائل العشرينات.

كانت جمالاً نادراً وسط القحط، وجهها يشعّ نقاءً، عيناها واسعتان كقمرين، وشعرها الطويل ينسدل من تحت وشاح أبيض يعكس نور الشمس بلطف، وبشرتها ناصعة كاللبن، تنطق الحياة من ملامحها، وفي عينيها لمعة غامضة يصعب تفسيرها.

تأملتهم لحظة بصمت، ثم ابتسمت ابتسامة خفيفة وقالت بصوت دافئ:

_مر وقتٌ طويل منذ أن زارني أحد .

ثم أضافت بنبرة مطمئنة:

_ما الذي تحتاجونه؟

أجاب ليث بصوت متقطع، يكاد ينهار:

_نحتاج الماء... نفدت مؤونتنا، وحيولنا ماتت من العطش ولم يتبقي الا

هذا ... ونحن الآن مثلها نموت.

هزّت رأسها بتفهم وقالت بهدوء:

_تفضلوا بالدخول.

دخلوا الكوخ، كان بسيطاً لكنه دافئ، أرضه مفروشة بسجاد مزخرف

بدوائر دقيقة، تبعث منه لمسة حنان وسط الصحراء القاسية.

أحضرت لهم الفتاة دلواً من الماء، ووضعت في إناء خشبي واسع،

فندافعوا نحوه يشربون بنهم، كأنهم لم يعرفوا طعم الماء من سنين.

قالت وهي تراقبهم تبتسم:

_لا تقلقوا فالماء هنا لا ينفد.

نظر إليها مصطفى بتعب وهو يمسح فمه:

_ اعذرينا فمئذ يومين لم نذق الماء...

نادت الفتاة بصوت واضح:

_ طيدا!

خرجت امرأة في الثلاثينات من عمرها، وجهها هادئ، وملاحظها وقورة.

قالت بخضوع:

_ نعم، سيدتي.

قالت الفتاة:

_ اكرمي ضيوفنا، واعتني بالجواد الذي بالخارج أيضاً.

أجابت طيدا:

_ أمرك، سيدتي.

همس لبيد وهو يراقبها:

_ من تكون طيدا؟

أجابت الفتاة ببساطة:

_إنها خادمتي.

نظر إليها زيدان وقال وقد بدا عليه بعض التردد:

_ ما اسمك؟

ابتسمت، وقالت بهدوء:

_ اسمي هاتور.

_ هاتور... أرجو ألا أزعجك، لكن ما الذي أتى بك وخادمتك إلى هذا

المكان النائي؟

_ أنا أعشق الصيد وأحب الأنعزال من حين لآخر. فبنيت هذا الكوخ
بنفسي، لي أقضي فيه يومين كل شهر بعيداً عن ضوضاء البشر.

أحضرت طيذاً طعاماً بسيطاً لكنه شهيّ، محمولاً على حاملٍ دائري ضخم
من الخشب المطعم بالنحاس، وضعته في وسط الدائرة التي التفوا فيها.
كان الخبز لا يزال دافئاً، وإلى جانبه لحمٌ مشويٌّ تفوح منه نكهة التوابل
المحمّصة.

هاتور جلست بهدوء إلى جوارهم، ثم قالت بابتسامة رقيقة وهي تشير
إلى الطعام:

_ تفضلوا، كلوا حتى تشبعوا، فلا حديث مع جائع.

لم ينتظروا دعوة ثانية. كأنّ الجوع الذي قاسوه في الأيام الماضية انقضّ عليهم دفعة واحدة. تناولوا الطعام بشراهة، والعيون تبرق، والقلوب تلهج بالشكر. كان اللحم ناعماً، يذوب بين الأسنان، بطعمه الذي لم يسبق لأحدهم أن ذاق مثله.

مسح حمزة فمه بظرف كُمّه، ونظر إلى هاتور متعجباً:

_ ما نوع هذا اللحم؟ لم أدق أطيّب منه في حياتي.

أجابته بابتسامة هادئة:

_ لحم غزال، ولقد تم اصطياده اليوم مع شروق الشمس.

ظَلّت هاتور تراقبهم بعينها المتسائلتين، وحين هدأت أيديهم عن الأكل، وألقى كلّ منهم تنهيدة الشبع، سألتهم بهدوء:

_ من أنتم؟ وكيف وصلتكم إلى هنا؟

نظر مصطفى إلى وجهها، وقال بنبرة أنهكها التعب:

_ اسمي مصطفى وهؤلاء أصحابي لبيد، وحمزة، وليث، وزيدان. خرجنا من قرينتنا لنقابل حاكم مصر لكن في طريق العودة، ضلنا الطريق... وانتهى بنا الحال هنا.

ظَلّت هاتور صامتة للحظة، ثم سألت بنبرة مستكبرة بعض الشيء:

- لماذا أردتم مقابلته ..

أخض مصطفى رأسه، وأجاب بصوتٍ كأنه يأتي من بئر بعيدة:

_قرينتا العاقير تعاني من بلاءٍ غامض. مخلوقٌ لا يُرى، ولا يُهزم، يخرج ليلاً ويغتال البشر، نسميه النداهة جربنا كل شيء لقتلة ولم نستطع ان نوقفه، الى أن قرر شيوخ القرية إرسالنا إلى الحاكم، لندرجو نجده... لكننا عدنا صفر اليدين.

ضمّ مصطفى يديه بعصبية، وقال:

- لم يبقَ لدينا خيار وإن لم نجد حلاً، ستباد قرينتا.

- أعرّف طريقة لمساعدتكم.

انتبه إليها ليث، وقال بلهفة:

- كيف؟ أخبرينا!

نهضت واقفة، وعيناها تلمعان في ضوء النار:

- سأخبركم في الطريق...

قال مصطفى بسرعة، وكأن الأمر أكبر مما يتخيله:

_ترافقينا؟ أنت فتاة، صحيح أنك شجاعة، لكنك مازلتِ فتاة

رفعت رأسها بثقة، وقالت دون تردد:

— ربما أكون فتاة، لكني أعرف الصحراء، وأعرف من أين نبدأ. بلدتكم لا تحتمل تأخيرًا أكثر، فإمّا أن تتحركوا الآن، أو تحكموا عليها بالموت...

تبادل الأصدقاء النظرات فيما بينهم، ثم قال مصطفى:

_ لا نملك رفاهية الرفض فالحاجة تبيح المحظور ونحن في حاجة.

وبعد أن نالت أجسادهم قسطاً من الراحة، وامتلات بطونهم ، دعتهم هاتور للخروج من الكوخ

— لن ننتظر أكثر، الوقت ليس في صالحنا... سأركب فرسي ديلا، وأنتم تناوبوا على الفرس الذي معكم ولا تخافوا، فأنا أعرف طريقاً مختصراً يمكننا قطعه سيراً على الأقدام.

كانت الشمس قد بدأت تميل عن كبد السماء، وسُحب العصر تكسو الأفق بلونٍ باهتٍ من ذهبٍ مشوبٍ بالرماد. استنشقت هاتور الهواء، تطلعت نحو السماء قليلاً، ثم كبحت لجام ديلا، وقالت:

— من هنا.

سارت الفرس ، وتبعها الرجال على أقدامهم.

مارق كان يسير إلى جانبهم، وحين يُنهك أحدهم، يتبادل معه الراكب الآخر دون تدمر. أما زيدان فكان يتقدم أحياناً، ثم يتأخر ليظمن على من خلفه. كان الوقت يمر ببطء، لا يُقاس بالساعات بل بالأنفاس المحترقة داخل صدورهم.

ومع دخول وقت المغرب، بدأ الصمت يُثقل على أكتافهم. وكلما عبروا تلاً رملياً أو مروا بجذع نخلة يابسة، كان أحدهم يلتفت حوله، يبحث عن شيء لا يعلم ما هو، أو يخشى أن يراه.

وحين بدأت الشمس تنزلق تماماً خلف الأفق، وسقط الظلام تدريجياً كستارٍ من الحبر، توقفت هاتور فجأة، ترجّلت من على ظهر ديلا، وقالت:

- سنبيت هنا.

حينها أشعل زيدان النار، وانتشر دفؤها في الهواء البارد، بينما نُصبت خيمة لهاتور على بُعد خطوات قليلة من اللهب بحيث تكون بعيدة عن الرجال لُتمنح خصوصيتها، وقريبه منهم في ذات الوقت حتي لا تبقي بمفردها. لو كُنت معهم ونظرت إلى السماء ستجدها صافية، تزينها النجوم كأنها نُثرت عمداً فوق رؤوسهم، أما القمر فكان مكتملاً، ينشر نوره الفضي على الأرض.

جلس الرفاق الستة حول النار، يتهامسون ويتبادلون القصص والضحكات الصغيرة، يطاردون ببعض الكلمات سكون الليل. النيران كانت تتصاعد فأعطت المكان طمأنينة مؤقتة.

لكن فجأة، قطع لبيد حديثهم:

_ اصبح الطعام ساخنًا.

قدّم لكل منهم رغيف خبز وقطعة لحم مما أحضرته هاتور، وبدؤوا في تناول وجبتهم على مهل. غير أن اللحظة، التي بدت مثالية قبل لحظات، سرعان ما انقلبت إلى توتر غير مفهوم.

بدأ صوت الذئاب.

كان الصوت أولاً خافتًا، كأن الريح تحمل أنينه من بعيد... لكنه ما لبث أن ارتفع وتكاثر، وتحول من مجرد عواء إلى معزوفة رعب. لم يكن ذنبًا واحدًا، بل بدا كأن قطيعًا كاملًا يتحرك في الظلام، يقترب ببطء لكن بإصرار.

توقفت الأيدي عن الطعام. انتشرت بينهم نظرات القلق وتبدلت ملامحهم إلى الذعر. وضعت الأرغفة جانبًا، وبدأ البعض يتحسس خنجره، وآخرون أمسكوا بسيوفهم بإحكام. لقد أصبح الجو كثيفًا،

خانقًا، حتى أن ألسنة النار بدأت تهتز في مهب الريح كأنها بدورها خانقة.

ثم بدأ القطيع يقترب.

لم تكن خطواتهم تُسمع، لكن إحساسًا زاحفًا بالأقدام القادمة تسلل إلى صدورهم. كان القمر يفضح كل شيء، وجوه المذعورة ورجفة اجسادهم وحدقات العيون المتسعة.

القطيع اقترب، وكان واضحًا أنهم لا يبحثون عن الرحمة. كانت حركتهم منسقة، يتبعون قائدهم بخطوات متزامنة، كأنهم قد قرروا الافتراس. غلقت أصواتهم بحقد غريب، وحشرجاتهم تقطر منها الغل.

وفجأة... وقفت هاتور.

لم تقل شيئًا. فقط أغمضت عينيها، كمن يغوص في أعماق نفسه. ثم تنفست ببطء... بعمق، حتى بدا كأنها تستدعي شيئًا من مكان بعيد، من عالم آخر. ولما فتحت عينيها، لم تكن كما كانت.

عيناها تحولتا.

صارتا بيضاء بالكامل، بياضاً يشعّ بوهج غريب، كأنما انعكس فيهما ضوء السماوات كلها. حدّقت في الذئاب... لا بنظرة خوف، بل بنظرة سيادة.

بدت كما لو أن في كل عين منها ألف عين، ترصد القطيع كله دفعة واحدة. كان فيها قوة لا تُفسّر، ولا تُحتمل.

ثم قالت بصوت هادئ... لكنه أقوى من العواء:

_ من كان متعلقاً بهذه الحياة، ويريد نفساً آخر... فليبتعد.

كان وقع كلماتها أشبه بالضربة القاضية. القطيع الذي بدا منذ لحظات على وشك الهجوم، بدأ يتقهقر، ويتراجع واحداً تلو الآخر، وكأنهم رأوا فيها شيئاً أعظم منهم شيئاً يُرهبهم.

فجأة ولت الذئاب ببطاء، ثم بسرعة حتى اختفوا وسط الظلام،

نظر مصطفى إلى رفاقه بدهشة، ثم إلى هاتور، التي كانت ما تزال واقفة في مكانها، كأن ما حدث لا يعينها.

وسأل نفسه بصمت:

_ من تكون هذه؟ لو لم تكن بهذا الجمال، لقلت إنها... النداهة.

بدت هاتور وكأنها سمعت أفكاره، أو ربما شعرت بها. نظرت إليه مباشرة، وتلاقى نظرهما للحظة أطول من أن تُفسّر. ثم قالت بنبرة منخفضة، لكنها حادة

_ عمّ تفكر؟

ردّ بتلعثم:

_ لا شيء... لا شيء...

ثم سألتها أخيراً:

_ من أنت؟

أجابت بصوت مقتضب:

_ أنا هاتور... هل نسيت؟

لكنه تمسك بسؤاله، هذه المرة بإصرار لا يخلو من الاضطراب:

_ لا، لم أنس... لكن من أنتِ حقاً؟

قالت بصوت خافت:

_ سيأتي الوقت الذي أخبرك فيه بكل شيء... لكن ليس الآن.

ثم استدارت، وسارت إلى خيمتها بخطوات هادئة...

قال ليبيد وهو يحدّق في ظهرها بنبرة منخفضة، فيها من التردد بقدر ما فيها من الرهبة:

_ هل هي النداهة؟

لكن ليث قاطعه بسرعة:

_ أيها الأحمق! كيف تجرؤ على قول ذلك؟ لو كانت النداهة، ألم يكن من الأولى أن تقتلنا بدل أن تطعننا؟ كما أنّ النداهة قبيحة... أما هذه، فجمالها لا يُوصف.

أما زيدان، فكان كأنما تاه في تأملاته، غارقاً في سحر اللحظة وصمتها العميق. تتمم وكأنه يحدث قلبه لا رفاقه:

_ إنك محق... إنها ساحرة. كل شيء فيها يأسرني نظرائها، خطواتها، حتى صمتها يشبه العزف أقول لك، إن قلبي لم يعرف مثل هذا الانجذاب من قبل.

رفع عينيه إلى السماء ثم وضع يده على صدره وقال بصوت شجي:

((ياراوي الفؤاد من الظمأ.....إرحم قلباً يابساً

كُلُّ القلوب أُسقيت..... إلا قلبي قاحلاً

وذهبتُ أبحث عن شربةٍ..... من يدِ الجميلةِ أشربُ

لو أن قلبي قد سُقي..... ما ظلَّ فؤادي مُتعباً))

مصطفى كان يتأمل زيدان بدهشة، وقال:

_ أتعجب منك! لم نرها سوى من ساعات قليلة، وتقول فيها شعراً؟ نحن

لا نعلم من تكون ولا ما تخفي!

رد زيدان بهدوء فيه عمق:

_ وهل يحتاج الحب إلى موعد أو إذن؟ هو شعور يتسلل دون إنذار،

ويستوطن قلبك قبل أن تدركه.

ابتسم مصطفى بسخرية خفيفة:

_ حسناً، اذهب إليها وادعها إلى العشاء. لمست الطعام لكنها لم

تأكل.....

قال بلا تردد:

_ سأذهب كالبرق

ركض في عجلة ولما وصل إلى خيمتها، شعر بشيء غير مريح يتسلل

إلى قلبه. فتراجع قليلاً، ونظر من خلال شق صغير في الخيمة. تفاجأ

عندما رأى هاتور جالسة، قدماها ملتفتان حول بعضهما، وتطوف في الهواء كأنها جزء منه..

ايضاً كان هناك وميض خافت من النور يحيط بها، وكأنها متصلة بشيء غير مرئي.

استمع إلى صوتها الذي كان عميق ورصين، يحمل في نبراته عوالم أخرى، وكأنها لا تخاطب أحداً من هذا العالم.

_ هارن... يجب أن أرى والدي. أختي تحوّلت إلى وحش، لا تحتوي في أحشائها إلا الظلم.

يجب أن تستفيق، وإن لم يكن هناك أمل في النصح... فلا مفر من إنهاء حياتها. الشرف في هذا العالم يشبه سلاسل ثقيلة، تلتف حول رقاب الأبرياء. إن لم نحررهم من تلك القيود، فما جدوى بقائنا؟ لقد أصبح الباطل حقاً... ولن أقف مكتوفة اليدين أراقب شذور وهي تواصل ارتكاب الفواحش.

ثم جاء الصوت الآخر، كأنه ينبثق من جدار الخيمة:

_ أنت تعلمين يا سمو الأميرة... أن الملك تهان قد حرم عليك لقائي، ومنعك من دخول مملكة الجن وإن علم أنني رأيتك، فلن يتردد في إحراقني. فكيف سأوصل الرسالة إليه دون أن أخسر حياتي؟

الفصل الثالث: كشف الحجاب

مرة واحدة شعرت هاتور بثقل نظرات زيدان تتسلل من خلف الستار ، فتوقفت عن همساتها الغامضة، واستدارت ببطء.

وحين التقت أعينهما، انكش الزمن لحظة لكنها لحظة أخرجت زيدان من جسده، وعلقته في العدم.

اختنق صدره، ثم ترنح وهوى على ظهره، كأن الأرض تخأت عن واجبها في حمله. نهض كالمذعور، لا ينظر خلفه، لا يعرف إلى أين يتجه. كل ما فيه كان يركض.

كان مصطفى يتأمل النجوم، حين تنهى إليه صوت الأقدام المرتجفة. التفت، فوجد زيدان يتصّبب عرقاً.

أمسكه من ذراعه، وثبته:

_ ما الذي أصابك؟ كأنك رأيت شيئاً؟

حاول زيدان أن يبتسم، لكن الشفاه المرتجفة لا تعرف الابتسامة. تلعث ثم قال بصوت مختنق:

لقد... لقد رأيتي... نظرت في عيني مباشرةً و... والأخرى...

توقف فجأة ثم همس لنفسه:

_ نادتني...

رفع مصطفى حاجبيه بدهشة :

_ زيدان... ما الذي تقصده بالأخرى؟ هل تتحدث عن هاتور و أين هي؟....

ابتسم ابتسامة مشوهة تحمل السخرية ثم قال:

_ لا تقلق فقط تتحدث مع صديقها العفريت.

شعر مصطفى بقشعريرة تسري في عموده الفقري، لكنه أخفى توتره، ورد بنبرة جادة:

_ هل ضربت رأسك؟ قل لي الحقيقة، ربما يمكننا مساعدتك قبل أن تسوء حالتك .

_ أظنني مجنوناً؟ لقد رأيتها تتحدث مع عفريت... قالت إن لديها شقيقة قاتلة... تنشر الموت حيثما ذهبت....

صمت لحظة، ثم أكمل بصوت خفيض:

_ هاتور ليست مثلنا هي جنيه، وايضاً... أشعر... أشعر أنها شقيقة النداهة.

_ هاتور؟ ما الذي... ما الذي تقوله؟

_ أنا لا أهذي لو أخبرنا الباقين... ربما نستطيع الهروب قبل أن تنتبه.

نظر مصطفى إلى خيمتها بوجهه متجمد، ثم قال:

_ لو كانت هاتور كما تقول، فهي الوحيدة التي ستساعدنا.

قاطعته بغضب :

_ تثق بها؟ بجنية؟ إنها تلعب بنا.

وقبل أن ينطق مصطفى، فُتحت باب الخيمة وخرجت هاتور.

كانت تمشي بهدوء غير طبيعي توقفت أمام مصطفى، وقالت بنبرة دافئة :

_ لماذا تجلس هنا وتراقبني؟ يبدو أنك تحمل في قلبك أسئلة كثيرة.

_ لا شيء... فقط... أفكر في الصدفة التي جمعتنا.

رفعت حاجبها قليلاً.

_ صدفة؟ نعم... هي صدفة.

رد ساخراً، محاولاً استفزازها:

_ زيدان؟ يظن أنك جنية، أليس هذا... مضحكاً.

_ زيدان خائف... والبشر الخائفون يقولون أشياء كثيرة، لكنك... لست خائفًا أليس كذلك يا...مصطفى؟

تقدم خطوة نحوها، وقال بصلاية:

_ الخوف لن يفيد إن كنتِ لستِ عدوتنا، فأخبرينا الحقيقة. من أنتِ؟ حقًا.

سكتت هاتور لحظة، كأنها تزن كلماتها ثم تنفست ببطء، وقالت بصوت واثق:

_ أنا، كما قال زيدان لست بشرية، نعم أنا من الجن وشقيقة النداهة. لكنني لست هنا لأؤذيكم، بل لأمنعها من التهام هذا العالم.

عندما بدأت تتحدثت، اقترب الجميع منها فرفعت عينيها، ونظرت إلى الفراغ ثم قالت بصوت بطيء:

_ سأكشف لكم كل شيء. قبل خمسة قرون وُلدت أنا وشقيقتي التوأم شذور، أو كما تُعرف الآن بين البشر النداهة. نحن لسنا منكم نحن ابنتا الملك "تهان"، ملك ملوك الجن

وأنا هي "شرميمة" ابنة الملك "أسموديوس" سيد الظلام وأعتى ملوك الشياطين.

كان زواجهما تحالفًا شيطانيًا، لا حب فيه ولا رحمة، بل خطة لدمج عالمي الجن والشياطين في مملكة لا ينافسها أحد.

لكنّ أبي أخطأ الحساب... لم يدرك أنّ الخير والشر لا يجتمعان في رحم واحد وإذا اجتمعا، فإما أن يقتل أحدهما الآخر... أو يحترق الكون بأكمله.

لم تكن ولادتنا عادية، الليل كان مكتوم النفس، والسماء مغلفة بسكون مريب...

وكانت القابلة التي حضرت هي شريمان... من نسلٍ بشري نادر، تُبصر في المولود ما لا يُبصر فقد كانت تعرف، من أول نظرة إن كان القادم يحمل نورًا، أم يحمل لعنة.

جلست عند فراش أمي، ثابتة النظرة ورغم أنها كانت تعرف من تكون شرميزة... لكنها لم تتراجع. أنا خرجت أولاً نظرت إليّ القابلة ثم لمست جبيني، وهمست:

- هذه الطفلة، تملك قوة رهيبية لكنها لن تؤذي أحدًا. ثم خرجت شذور.

فجأة تجمّدت القابلة وتراجعت خطوة للخلف، رفعت يدها عن الرضيعة، كأنها مست جمراً حياً، وقالت بصوتٍ مرتعش:

— ما خرج من رحمك... ليس شيطان او جن لقد أنجبت وحشًا، رفعت نظرها نحو "شرميزة" بعينين تتحدّيان، وقالت: كان يجب ألا تلديها، كان يجب ألا تُفتح لها أبواب هذا العالم لكن "شرميزة" لم تتحرك.

اكتفت بنظرة جامدة ثم قالت: كان يجب ألا تتكلمي.

مدّت يدها... وفي نفس اللحظة، تلاشى صوت القابلة إلى الأبد ماتت واقفة، ولم يجرؤ أحد على الصراخ، اختفت كأنها لم تكن... ومنذ تلك الليلة، لم يُذكر اسمها، ولم يجرؤ أحد أن يسأل عنها.

الجميع في القصر كان يعرف... من تخفي في حضرة الملكة لا تعود. ومنذ تلك الليلة، بدأ الشرّ يرضع من لبن أُمي.

كبرنا وعندما بلغنا العاشرة، بدأت تظهر علينا السّمات... أنا ورثت خصال الجن، بينما شذور... شذور كانت شيئاً آخر..دمها نصفه شيطان وعقلها مليء بكلمات إبليس، وقلبها مغموس في حقدٍ أسود على بني آدم. كانت تقف في مجالس أبي، وتقول بصوتٍ لا يعرف الخجل لِمَ يُفرض علينا السجود لمخلوقٍ من طين؟ نحن من نار... أقوى وأذكى وأظهر فلماذا يعلو علينا الضعفاء؟

لم تكن تسأل، بل كانت تُعلن الحرب. كانت تجد في دماء البشر متعة وفي صراخهم عزفًا يسكنها، وفي خوفهم غذاءً لغورها كلما شعرت

بالنقص، خرجت إلى عالم البشر ثم تعود بعد ليلة دامية ورائحتها مطّخة بالفرع، وعيناها تلمعان كأنها شربت أرواحهم.

حاولت أن أبلغ والدي... أن أصرخ بالحقيقة لكنه لم يسمع، كانت أمي دوماً تسبقه إلى أذنه تُنفث سمّها كالشيطان، وتقول:

_ لا تصدقها إنها تكره أختها، الحقد يعميها والغيرة تملؤها. شقيقتها أظهر وأقوى منها ولهذا تفتري عليها.

ثم بصقت الكلام في وجهي:

_ لست منّي لا دمك دمي، ولا روحك روحي. اخرجي من هنا فأنا لا ألد الحاقدين.

لم يصدقني أبي وصرّ في عينه كاذبة.

وتفارق كرهى لها بسبب ما قامت به، وخاصة ما فعلته قبل أن يقوم والدي بطردي.

سأل (ليث): ماذا حدث؟

فأجابت بحزن:

هناك شخص يعيش حياة مليئة بالسعادة والحب مع زوجته، ويترقبان بفارغ الصبر قدوم مولودهما الأول لكن كيف يمكن أن تكتمل هذه

الفرحة، وقد علمت بها شذور كانت في منتصف كل ليلة، تفتح بوابة عالم البشر لتراقب الزوجين وهما ينتظران بفارغ الصبر وصول طفلهما، وكأنها تتغذى على دفء بيتهما وصدق حبهما.

مرت الشهور، وكان في قلب شذور شغفٌ مسموم، شغفٌ لم يكن فقط بالرغبة في الأذى، بل بعاطفة ملتوية لا يفهمها إلا قلب ملوث، فقد كانت تنظر إلى الزوجة بعين امرأة تعرف معنى الأمومة، لكن بطريقتها المشوّهة.

وبعد مرور تسعة أشهر من حمل الزوجة، بدأت تشعر بآلام المخاض. فخرج الزوج على عجل، محضراً جارتها المسنة لمساعدتها.

دخلت الجارة إلى غرفة الزوجة وأغلقت الباب خلفها، بينما كان الأب ينتظر بالخارج بفارغ الصبر لرؤية ابنه، وهو يعتقد أن الجارة تساعد زوجته، دون أن يعلم أن ما في الغرفة هو شذور، متخفية في هيئة الجارة المسنة فهي تستطيع تغيير شكلها فلم يكن من الصعب عليها وخاصةً أنها قد أنهت حياة الجارة قبل شهرين من حمل الزوجة، فقط لتراقب عن قرب وتنتظر هذه اللحظة.

ساعدت شذور الزوجة حتى وضعت مولودها، صبيّاً يصرخ بملء الحياة، والمشيمة ما زالت دافئة بجانبه. التقطت شذور الطفل بين

ذراعيها، ونظرت إلى الأم بعينين لا تخلو من الحنان المصطنع، وقالت بصوت خافت:

_ها هو صغيرك... لا تخافي.

مدت الرضيع إلى أمه فتلقته بين يديها المرتجفتين، وضمتته إلى صدرها، والدموع تنساب من عينيها فرحاً بنجاته. التصق الطفل بنهداها المليء بالحليب، يرضع بشراهة وصوت المصّ يملأ الغرفة كأن الحياة عادت تسري في أوصالها.

شذور كانت تراقب المشهد بهدوء عجيب، وكأنها تستمتع بتلك اللحظة الحميمة، لحظة ارتباط الروح بالأمومة، فقط لتنتزعها بعد ثوانٍ.

وحين هدأ الرضيع بين ذراعي أمه وغفت عيناه، اقتربت شذور ببطء، ومدت يديها لتأخذه، وهمست للأم: _دعيني أهدده قليلاً.

ابتسمت الأم، مطمئنة بحسن الظن، ثم سلّمت فلذة كبدها إلى المرأة المسنة. وفي اللحظة التي استقر فيها الطفل بين يديها، انقلب الهدوء إلى عاصفة من الدم. شقّت بطن الرضيع ببطء متعمّد، وأخرجت أحشائه كما لو كانت تؤدي طقساً مقدساً، ثم أمسكت بالكبد وغرسته في فمها، تبتلعه بلذّة حيوانية، بينما الأم تجمدت في مكانها، تصرخ حتى بح صوتها، اندفع الأب والخوف يجره كما تجرف العاصفة ورقة ذابلة. كان يحمل في عينيه صورة ذلك الرضيع، أمل شيخوخته وسند أيامه

المقبلة. لكن شذور لم تمهله وقت ليفهم ماحدث انقضت عليه بمخالبتها
وفصلت رأسه عن جسده بضربة واحدة.

وبحركة مسرحية باردة فتحت بطنه وأخرجت أحشائه ثم وضعت
الرضيع في جوفه وهمست بسخرية : _الزوج... هو الآن الحامل.

ظلت الأم تصرخ حتى صار صراخها بكاءً خافتاً ومن كثرة الحزن وما
لقتة انساب من أنفها الدم كجدول أسود ثم انفجر من عينيها، وسقط
جثة هامدة، تاركة البيت بعد أن تحوّل إلى ضريح.

كنت أراقب المشهد من خلال مرآتي السحرية عاجزة عن التدخل.
فوالدي الملك قد سلب مني سلطة العبور بين العوالم حين أشعل في قلبه
الغضب ضدي.

عدت إلى القصر، أحمل في صدري عزمًا على استعادة ثقته، لكن أمي
سبقتني وزرعت سمها في أذنه من جديد:

_كم مرة حاولت هاتور أن تجعلك تبغض شقيقتها شذور لأنها أقوى
منها؟ كم مرة ادّعت حب المملكة وهي تحمل الخيانة في قلبها؟

نظرت إليها وللي اول مرة اخرج ما بداخلي :

_ أنتِ الكاذبةِ وقالبك كهف للظلام وعطشك للشر لا يرويه إلا الخراب.
أكرهك وأكره كل من نطق باسمك مقرونًا بكلمة أم.

ثم التفت إلى والدي ولم اتوقف:

_ العدل تاج الملك، وأنت نزع تاج بيدك واستبدلته بظل الكراهية.
من يصفك بالملك كاذب ومن يصدق ذلك كاذب مثله.

سأل ليث:

_ ولهذا تم طردتي من المملكة ..

_ نعم.

مصطفى:

_ كيف ستساعدينا هل ستواجهين شذور؟

_ قوتها تفوق قوتي، وأبي الملك وحده قادر على ردعها.

قال حمزة:

_ وكيف ستقنعينه وهو يراك كاذبة؟

_ ستأتون معي إلى مملكة الجن وتشهدون أمامه بما رأيتم. أردتم
الذهاب لحاكم مصر... وأنا أفتح لكم بابًا إلى حاكم العوالم.

اعترض لبيد:

_ ألم تقولي إن دخول مملكة العوالم محظور؟

ابتسمت بهدوء :

_ المحظور عليّ هو التنقل الحر بين العوالم، أما الأبواب التي لم تُستدعَ فلم تُحظر .

واين تلك الابواب ...سال مصطفى والفضول يغمره؟؟

اجابت:

_ في واحة الزمن هناك حيث نبع الأمل سنجد في أعماقه بوابة إلى عالم الجن، ومنه تبدأ رحلتنا عبر أبواب العوالم السبع.

((الفصل الرابع: الحارس))

مع ظهور أول خيط من ضوء الصباح، كانت خطواتهم تتبع هاتور التي كانت تتقدمهم بخطى واثقة، حتى توقفت أمام صخرتين شامختين، أقل حجماً من الجبال لكنهما تحملان مهابة العصور.

رفعت رأسها وقالت بصوت عميق مهيب:

_ ها قد بلغنا بحيرة الأمل.

تبادل الرجال نظرات حائرة، وقال لبيد وهو يدور حول الصخرتين:

_ أهذه هي البحيرة؟ لا أرى إلا حجارة وصحراء جرداء.

لم ترد هاتور بل خطت إلى الأمام وجثت على ركبتيها فوق الرمال الناعمة ثم أخذت نفساً عميقاً بعدها أطلقت من شفيتها نفخة حادة، فاهتزت الرمال تحتهم وكأن الأرض تتنفس. ومع انحسار الغبار، ظهرت صخرة مسطحة تتوهج نقوشها بألوان الأزرق والبنفسجي، تتحرك في تموجات بطينة كنبض قلب حي.

التفتت نحوهم وأشارت بيدها:

_ أمسكوا بأيدي بعضكم فهذه النقوش ليست زخرفة، بل حكاية حياتكم وحياتنا.

تمتت بكلمات يونانية: **Ζωή (Zoi) vs. Θάνατο** _

ثم همست بالعربية:

_ الحياة مقابل الموت.

ارتجفت الأرض، وارتفعت الحروف المحفورة من الصخرة لتتراقص في الهواء ملتفة حولهم في دوامة من الضوء والرياح وبلحظة خاطفة، ابتلعتهم الأرض، ليجدوا أنفسهم في عالم آخر.

واحة الأمل كانت جمالاً يفوق التصديق رمالها كالكريستال الأبيض، تنعكس عليها أنصاف سماء... نصفها نهار مشرق، ونصفها ليل مرصع بالنجوم نسيم عليل يمرّ بينهم يحمل رائحة زهور وردية متوهجة.

وقف الرجال مأخوذین بسحر المشهد، حتى قطع الصمت صوت مصطفى وهو يحدق في السماء:

_ كيف حل الليل ونحن في قلب النهار؟

رد على نفسه بتنهيده:

_ لا بأس لم يعد شيء يدهشني بعد كل ما رأيته . لكن أين فرسي مارق؟..

ابتسمت هاتور وهي تمسك بقبضة من رمال الواحة:

_ ديلا تأخذه الآن إلى طيدا.. لا تقلق إنه بخير.

لكن السكينة لم تدم فجأة تمزق الهواء أمامهم كما لو أن السماء شُقت نصفين وخرج منه عملاق يملأ الأفق كان جسده كتلة من الحمم

المتجمدة تتسرب منها نيران حية من شقوق جلده فوق رأسه قرنان منحنيان تتقد أطرافهما بالجمر وخلفه جناحا تنين عظيمان ينبسطان ببطء.

وقف فوقهم يخلق في الهواء وعيناه تحديقان فيهم حتى شعروا أن أنفاسهم تنقل ثم دوى صوته كالرعد:

من أنتم وكيف تجرأتم على دخول واحة الزمن؟ لقد وقَّعتم للتو حكم موتكم.

رفع يده اليمنى، فانطلقت منها سلسلة من الحمم، تدور حولها شظايا لهب ارتجف الرجال وشعر أبيد أن ساقيه تكادان تخونانه، بينما وضع زيدان يده على مقبض سيفه بلا وعي وقبل أن ينقض عليهم خطت هاتور للأمام ورفعت يدها بصرامة:

قف يا سندان، أنا هاتور ابنة الملك تهان من سلالة سالييس.

خفت وهج النار قليلاً وضاق نظر العملاق وهو يتأمل وجهها:

إن كنتِ حقًا ابنة الملك، فما حاجتك إلى المرور بي؟ كان يمكن أن تدخلي دون إذني.

قالت بصوت ثابت فيه ظل من الأسى:

_ قدرتي على التنقل بين العوالم سُلبت. ولا سبيل لي سوى بوابة نبع الأمل.

ظلّ يحدق بها، وألسنة اللهب من حوله تتراقص كأنها تفكر.

_ البوابة ليست لكل طارق... أثبتني أنك ما تقولين.

شقت إصبعها دون تردد ثم أسقطت قطرتان من دمها في كفه، فتحولتا فوراً إلى زمردتين متوهجتين. أوما برأسه واختفى سلاحه البركاني في الهواء:

_ أنتِ صادقة يا أميرة مملكة العوالم. سُمح لكِ بالعبور.

لكن صوته انقلب إلى صرامة قاطعة:

_ أما البشر فلن يمروا.

ساد صمت ثقيل، ثم قال مصطفى بثبات:

_ لا تمنعنا يا سندان ، فما جننا إلا لما هو مكتوب لنا.

ابتسم ابتسامة باردة:

_ هل أخبرتكم الأميرة عن الاختبار.

تبادلت العيون نظرات سريعة، ثم قال الجميع بصوت واحد:

_ أي اختبار؟

قهقهه سندان حتى ارتجت الواحة:

_ اختبار الحياة مقابل الموت...مواجهة مخاوفكم الأعمق وخطاياكم المدفونة ومن ينتصر على ظلامه يعبر ومن يسقط... يبتلعه الموت.

أخذ لبيد خطوة للوراء وصوته يتهدج وهو يحذق أمامه:

_ علينا أن نتراجع اشعر ان الموت يزحف نحونا أسرع مما نتخيل.....

لم يمهله حمزة سوى لحظة، قبل أن يرد :

_ التراجع موت من نوع آخر والموت أمامنا أكرم من الهروب.

هزّ زيدان رأسه :

_ صدقت يا حمزة الكرامة تُصان بالمواجهة لا بالانكسار وإن كان لا بد من لقاء الموت، فلنلقه برأسٍ مرفوعة.

التفت مصطفى نحو ليث:

_ وأنت؟ هل تثقل روحك فكرة الموت أم أنك معنا حتى النهاية؟

ابتسم ليث ابتسامة باهتة بلا دفاع:

– لن أترككم فالموت لا يخيفني.

عاد مصطفى ببصره إلى ليبيد، الذي كان ما يزال شاحب الوجه، وكان الخوف يحكم قبضته على قلبه:

– وماذا عنك الآن؟ هل الحياة تستحق أن تهرب إليها

أخذ ليبيد نفسًا مرتجفًا قبل أن يقول:

– لا مفرا أنا معكم.

عندها رفع مصطفى رأسه نحو سندان وقال :

– قبلنا الاختبار..

حينها مد سندان يده إلى أعلى، فبرزت عروقه تحت الجلد، ثم رفعها بقوة نحو السماء وفي لحظة خرجت أمامهم شجرة يوسنيا في قلب واحة الزمن، جذورها غائرة في الأرض وأغصانها ملتفة بإحكام.

ضم سندان كفيه إلى بعضهما ثم مدهما إلى الأمام ببطء، وعندما فتحهما، انقسم الجذع إلى نصفين وخرج منه ضوءٌ خافت تبع الضوء خمسة كؤوس شفافة، ممتلئة بالماء تحركت الكؤوس من نفسها في الهواء حتى استقرت في أيدي الرجال الخمسة.

تأملهم سندان لحظة، ثم قال بصوت ثابت:

هذه المياه لا يشربها إلا قلب نقي و من كان قلبه طاهراً عاش و من
تلوث قلبه، انتهى أمره.

سكت قليلاً، ثم تابع بنبرة حادة:

احرسوا قلوبكم فمنها يولد النور ومنها تزحف الظلمة.

مصطفى كان الأول قبض على الكأس كأنها آخر فرصة له ليثبت نفسه،
كانت عينيه تحملان مزيجاً غريباً من الإصرار والخوف المكمم. وكل
نفس يخرج منه وكأنه يفرغ شيئاً من روحه، ثم رفع رأسه وشرب دفعة
واحدة.

العيون حوله اتسعت والصمت كان حاداً حتى أن أي حركة بدت جريمة
في حق هذه اللحظة. وبعد أن مرت دقيقة كمالو أنها دهرأ لمع من
صدره نور خافت لمعة صغيرة أولاً ثم أخذ يكبر ويتصاعد في الهواء
حتى صار شعلة براقية اخترقت السماء. الجميع تابعها بأعين لا ترمش،
والشعلة بدأت تلين وتنحني، ثم تعود نحو مصطفى، تتجمع أمامه حتى
صارت قلادة مذهلة، نقشت عليها حروف اسمه، تتوهج كأنها محفورة
في قلب النجم.

ابتسم سندان ابتسامة بالكاد تُرى ثم قال:

أحسن يا مصطفى.

ثم التفت نحو حمزة:

_دورك الآن.

حمزة أمسك بالكأس كما يمسك محارب بسلاحه وملامحه مشدودة، فكه السفلي يضغط بقوة وعروقه في رقبتة بارزة. شرب الماء على دفعات فجأة بريق حاد خرج من صدره ارتفع البريق ثم انحنى من جديد، يتجمع أمامه، حتى تجسد في قلادة أخرى، حروف اسمه تتلألأ عليها كالذهب في ظلمة الليل.

أما حين جاء الدور على لبيد، فقد تغير الهواء كله وجهه شاحب، ويده ترتجف على الكأس كأنه يخشى أن تسقط قبل أن تصل لفته ابتلع ريقه بصوت مسموع، عينيه تنتقل بين وجوههم بحثاً عن طمأنينة لم يجدها. رفع الكأس وشرب بينما انكمش كتفاه. بعد لحظات نظر إليهم بحيرة تكسوها نيرة متوجسة:

_لماذا تنظرون إلي هكذا؟... ماذا يحدث؟

لكنهم لم يجيبوا فقط عيونهم اتسعت أكثر عندها أحس بشيء يتحرك تحت جلده بدأ وجهه ينتفخ ببطء مروّع و جلده يتمدد وملامحه تتلاشى وعينيه غاصتا في كتلة لحم مشوهة وشفتيه اندفعتا للأمام حتى صار شكله غريباً غير بشري.

بصوت متقطع، قال:

_ لا... لا أشعر برأسي... كأنه سينفجر...

ولم تتركه الكلمات يكمل، فقد جاء الانفجار سريعاً و عنيفاً رأسه تمزق لشظايا تطايرت في الهواء، والدماء اندفعت كسيل أحمر غطي أرض شجرة اليوسنيا ، جذورها امتصت الدماء كأنها تجد فيها غذاءها.

اصطف الأصدقاء دون أي كلمة وجوههم متجمدة و عيونهم متسعة تحمل خليطاً من الفزع والحزن. كانوا يشاهدون مصيرهم يتشكل أمامهم، كأنهم محاصرون داخل مذبحة لا صوت لها، لكنهم لم يجروا على النطق، خشية غضب سندان، الذي بدا وكأنه يمسك بمفتاح حياتهم جميعاً.

تساؤلات صامته كانت تدور في أعينهم هل كان هناك مكان في القلب لا يبيلله الحزن؟ حتى يأتي لبيد ويغرقه.

انهار زيدان على وقع ما جرى للبيد مشاعره ممزقة بين الهلع والفقد. صورة رأس رفيقه وهو يتفتت ما زالت عالقة في عينيه رفع رأسه:

_ أخي... كنت معي والآن رحلت والله لن أتركك.

اقترب ليث نظر إليه بثبات وقال:

_ سأشرب معك.

ثم أضاف:

إن سقط أحدنا، فليكن موتنا فداءً للعاقير وأهلها.

رفع الاثنان الكأس وشربا دفعة واحدة، وكأنهما يواجهان الموت في نفس اللحظة. وما إن فرغا حتى فتح ليث ذراعيه ليعانق زيدان عناقًا طويلاً بدا وكأنه يلخص حياتهما كلها.

فجأة اندفع من جسديهما نور حادّ السطوع، مختلف عن كل ما سبقه، يتناثر حولهما مثل شهب تشتعل في فراغ الليل ثم تشكّل في قلايتين محفور عليهما اسم العاقير.

سندان رفع يديه ببطء، وبدأ يحركهما في الهواء في دوائر متتابعة، و مع كل التفافه ليديه انطلقت شرارات من ضوء داكن ممزوج بوهج قرمزي تدور حوله في دوامة متسارعة.

لم تمضِ ثوانٍ حتى اجتذبت تلك الدوامة القلائد من أعناقهم بقوة هائلة، لتدور حوله مثل كواكب صغيرة أسيرة جاذبية لا تُرى. ومن قلب السماء اتسعت الدوامة حتى شكلت دائرة سحرية عملاقة، وفي مركزها ظهرت الياقوتتان المتوهجتان بدماء هاتور، يلمع لونهما الأحمر العميق كدم متجمد تحت القمر، لكن كل ومضة منهما كانت تنبض بالحياة... أو الموت.

تحت أقدامهم، اهتزت الأرض بعنف، وعند الشجرة المنفلقة، بدأ دم لبيد يتدفق من باطن الأرض، كأنها تفرغ أحزانها في نهر أحمر، سرعان ما اتسع حتى شكل بحيرة دماء داكنة راحت الدائرة السحرية تتحرك ببطء نحو البحيرة، وكلما اقتربت ازداد بريق الياقوتتين، حتى انشق سطح الدم عن بوابة هائلة يتصاعد منها بخار بارد.

قال سندان، بصوت عميق :

_ لقد أصبح بإمكانكم الدخول الآن.

لكن يده ارتفعت فجأة، لتوقف اندفاعهم نحو البوابة. ثبّت نظره في عيني مصطفى ثم قال بصوت منخفض:

_ قبل أن تعبر لك شيء عندي... لقد رأيت فيك عزيمة تختلف عن الآخرين وعرفت أنك تحمل عبئاً أثقل مما تحتمله الروح طريقك لن يكون سهلاً وستأتي لحظة تشك فيها بكل ما حولك عندها... سيكون هذا هو درعك وهاديك.

مد يده إلى صدره ونزع القلادة التي كان يحتفظ بها طويلاً، حتى بدا وكأن جلده اعتاد ملمسها تدلّى منها خاتم غريب، ثم البسها لمصطفى وفي اللحظة التي لامست فيها البرودة المعدنية جلده، اندفعت قوة غير مرئية عبر جسده، أثقلت قلبه بقدر ما أيقظت شيئاً خفياً في أعماقه.

لم يمهلها الوقت ليفهم ما حدث؛ إذ ارتفع هو والآخرون عن الأرض دفعة واحدة كما لو أن قوة خفية نزعتهم من واقعههم وألقت بهم إلى داخل البوابة، طارت هاتور ودلفت إلى داخل البوابة.

الفصل الخامس «بحر الكاريزات»

وقف الجميع يتأملون المشهد في صمت، وكان الزمن توقف فجأة عند هذه اللحظة الحدقات اتسعت، والقلوب تدق بعنف، والعقول تحاور الأرواح أهذه حقيقة أم نحن في حلم؟ وإن كانت حقيقة فلنكمل... وإن كان حلماً فلا نريد أن نستيقظ.

كانت السماء تتلون بحمرة دموية، والأرض تلمع بزرقة غريبة، فيما يطفو كل شيء حولهم كأن الجاذبية غابت عن هذا العالم، أو نسيته عمداً.

وبينما كانوا غارقين في الدهشة، لمح حمزة على بُعد خطوات فتاة بلون قرمزي جمالها يخطف الأنفاس وابتسامتها الناعمة تخفي في عمقها شيئاً عصياً على التفسير عيناها لم تكن مجرد نظرتين، بل سرديات كاملة تفيض بالحكايا المجهولة. اقتربت منه ببطء، وهمست بصوت دافئ ينزلق في الروح:

تعالَ إليّ... دع هذا العالم خلفك فهنا ستجد ما لم تجده أبداً... هنا ستنسى الألم والضياع.

ابتسامتها تحولت لشفرة حريرية مغلقة بسحر قاتل، ومدّت يدها إليه. شعر حمزة أن خطواته تتحرك وحدها وكأنه يغرق في بئر لا قرار لها، بئر من عينيها.

لكن فجأة اخترقت هاتور المشهد وأمسكت قبضة من تراب جلبته من أرض البشر، ثم نفخته بقوة في وجه الفتاة في طرفة عين، تبدد الجمال وتحولت الفتاة إلى وحش بشع؛ جلده مكسو بشعر كثيف، أنفه يسيل بالمخاط، وأسنان هائلة تكاد تخرج من فمه. زار بصوت ارتجت له الأرض فتراجع حمزة مرعوباً.

رفعت هاتور يدها في وجهه، وقالت :

_إنهم عبيدي... ولا حق لك في أكلهم اذهب قبل أن أحرقك باسم جدنا الأكبر... ساليس العظيم.

ارتد الوحش خطوتين، ثم ولى هارباً .

استدارت هاتور نحو حمزة وقالت بنبرة معاتبة:

لا تدع العته يقودك... لأن في عالم الجن لا تفصل بين الحقيقة والوهم لأن كليهما يقتل إذا صدقته.

ابتلع ريقه وتمتم:

_ سأحذر في المرة القادمة.

ابتسمت بمرارة وهمست وهي تدير ظهرها:

_ لا أعلم إن كانت هناك مرة قادمة...

قال مصطفى:

_ هناك أمر غاب عنك، تستطيعين الطيران أمانحن فكيف سنتحرك هنا؟

ابتسمت بثقة:

_ لم أغفل عن هذا.

وضعت كفيها تحيط وجهها، ثم صاحت:

زعير... زعير!

خفت كل الأصوات وكأن العالم يستمع لندائها وفجأة، اخترق الأفق كائن هائل يشبه الخيل بجناحين عريضين، جسده ضخم يفيض بالهيبة، عيناه ذهبيتان وريشه الفضي يختلط بالسواد العميق كليل بلا قمر.

ابتسمت وهي تشير إليه:

_ هذا «زرعير»، فرس نبيل أهداني إياه أبي عند بلوغي منتي عام.

اندهش الجميع... فكيف لامراة لا تبدو أكبر من الخامسة والعشرين أن تتحدث عن قرون مضت؟

تفقت السؤال من فم زيدان دون تفكير:

_ كم عمرك بالضبط؟

نظرت إليه مازحة:

_ سؤال لا يطرحه إلا الأحمق... أهذه طريقتكم في معاملة النساء؟

احمرّ وجهه وأطرق رأسه.

ضحكت بصوت مرتفع:

_ ولم الخجل؟ أنا في مقتبل العمر أبلغ الآن خمسمائة وعشرين عامًا. ولدت قبل خمسة قرون... وما زال أمامي الكثير.

سئل زيدان: _ اعذريني على تطفلي.

ولكنك بعمر جدة جدة جدة جدة جدي. وهناك المزيد ولكن مللت أن أكمل.

عبست في وجهه وقالت: _ ماذا كنت أنتظر من أحمق يغفل أن يفكر؟ أردفت بضجر: فليركب الجميع.

الجميع في الخلف يضعون أيديهم على أفواههم حتى لا تسمع الضحك
فنتزعج.

بعد دقائق من الصمت، تكلم زيدان من جديد:

_ ما أردت أن أقول هو أنه مهما كبرتِي، فأنتِ جميلة حتى وإن كنتِ
بعمر جدة جدة جدة جدة جدة جدتي.

_ أنتِ خلابة، تذهبين عقل من أحبك فلا يستطيع قول جملة مفيدة وهو
ينظر إليك.

ابتسمت هاتور حتى أظهرت وجنتيها، وقالت:

_ هل تتغزل بي؟؟؟"

أجاب زيدان بتوتر:

_ لا، لا، كنت أحاول أن أقول أنك جميلة فحسب.

اردفت: _ إنني جنية وأنت في عالم الجن، فلا تتعجب من الأعمار، فما
وجد شيء هنا إلا سار معكوسًا. صحيح أنا بعمر جدة جدة جدة جدة
جدتك وهناك المزيد لكني مللت أن أكمل لكن هذا لا يمنع من كوني
جميلة.

ابتسم وشعر بشيء يتحرك في قلبه اليابس، كما لو أن شقًا صغيرًا انفتح فيه فسال منه الدفاع. أخذ يردد في داخله:

_أتحبنى كما أحبها؟

لم يفهم لماذا فكر بها بهذا الشكل فالمنطق يقول إن الحب لا يولد في لحظة، لكنه شعر أنه انغرس فيه من أول نظرة كان يتأرجح بين احتمالين أن يكون الانجذاب مجرد انعكاس لفقدته العاطفي الطويل أو أن تكون هي فعلاً كائنًا مختلفًا يستحق أن تُسرق له المسافات والسنين.

لكن ظل الخوف يهمس:

_وماذا إن كان كل هذا في داخلي وحدي؟

الحب حين يكون من طرف واحد يشبه أن تمد يدك لتلمس مرآة، فتشعر ببرود الزجاج بدل دفء اليد الأخرى. ومع ذلك يظل في القلب ميل غريب إلى الاستمرار، وكأن النفس تفضل الوهم الدافئ على الحقيقة الباردة.

ربما لا نحب الأشخاص أنفسهم بل الصورة التي ينعكسون بها في عطشنا، وربما نظن أننا وجدناهم، بينما نحن في الحقيقة وجدنا ظلنا فيهم.

انقطع الخيال الذي يرفرف في ذهن زيدان فجأة، حين اخترق الأفق صوتٌ عجيب، كأنما مزجت السماء أوتارها بالموج، فصار النغم جسراً بين القلب والعقل. كان الصوت يشبه حقيقةً تتنكر في ثوب الحلم، أو حلماً يتجسد كأنه وُلد من رحم الواقع شعروا جميعاً أن شيئاً ما في أعماقهم ينفصل عن أجسادهم، يسير وحده نحو مصدر الصوت، كما يسير العاشق نحو منادٍ خفي، يظن أنه مختار لكنه في الحقيقة مسلوب الإرادة.

سأل مصطفى وهو يحدّق في المدى الممتد

_ ما هذا الصوت يا هاتور؟ كأنه يسحب روعي من صدري.

أجابت: _ إنه صوت حوريات البراعم... موسيقى ساحرة وجميلة لدرجة تُهلك من يسمعها.

ثم أشارت بيدها إلى الأسفل :

_ انظروا... لقد وصلنا إلى الباب الأول من أبواب العوالم.

رفع ليث حاجبيه، وهو يفتش بعينه عن أي أثر:

_ لا أرى سوى بحر بنفسجي يمتد بلا نهاية.

ابتسمت ابتسامة عارفة وقالت:

_ الباب هناك في عمق هذا البحر.

سأل مصطفى: وما هذا البحر؟

_ اسمه بحر الكاريزات ويحمل في أحشائه وحوشًا وُلدت من كوابيس الأوائل.

قفزت من فوق ظهر "زعير" وهبطت على سطح البحر لكنهم لم يسمعوا صوت ارتطام أو رشّة ماء لقد مشت فوقه كما يمشي المرء على أرض من زجاج صافٍ، وكأن تحتها عالم آخر مضاء بأنوار غريبة. كان المشهد يذكّرهم بوصف "صرح سليمان" الذي بُني لبلقيس، حين حسبته لُجّة فكشفت عن ساقها لكن هذا الصرح لم يكن حجرًا ولا قوارير، بل كان صفحة من ماء مسحور، تحتها أرواح وكائنات تراقب.

رفعت يدها محذرة:

_ البحر هنا يختار من يسمح له بالغوص ومن ليس من أبنائه، سيدفعه إلى السطح مهما حاول.

سأل زيدان وهو يحدق فيها بدهشة:

_ إذن سكان البحر يغوصون كما يشاؤون؟

أومات:

_جل... الوحوش الحوريات وكل كائن وُلد في أعماقه... أما الغريب،
فالبحر يجبره على السير فوقه كمن يسير على جسر لا يمكنه كسره.

قال زيدان :

_إذن يمكنني السير مثلك.

حاولت إيقافه لكنه اغتر بحدسه الطائش، فقفز من فوق زعير، ضاحكاً
كطفل يكتشف لعبة جديدة:

_انظروا أنا أمشي على الماء.

صرخت هاتور بحدة:

_اصعد أيها الأبله .

لكن زيدان لم يعبأ بتحذيرها، أخذ يتأمل الكائنات التي تتحرك تحت قدميه
أسماك لها أذرع بشرية بدل الزعانف، وأصداف تتفتح لتكشف وجوهاً
صغيرة تتأمل الزوار. كانت ألوان البحر تتغير مثل غيوم غروب
الشمس، من البنفسجي العميق إلى الأزرق المضيء.

وفجأة، أبصر تحت قدميه امراة ترتفع من القاع... نصفها العلوي آدمي
يفيض بياضاً، ونصفها السفلي ذيل سمكة تتلألأ حراشفه. كانت عيناها
بلون زرقة البحر لحظة الفجر، وحاجباها من قشور فضية متشابكة لم
تنطق، لكنها حدقت فيهم بنظرة تحفر في الروح قبل الجسد.

سحب مصطفى قبضته على مقبض سيفه:

_ من هذه؟

أجابته هاتور بنبرة تجمع الغضب بالخوف:

_ إنها "ذبينه"... والدة حوريات البراعم وحارسة هذا البحر.

اقتربت "ذبينه" أكثر والماء من حولها يتحول إلى دوائر متسعة كأن البحر نفسه ينحني لقدمها.

تمتمت هاتور من تحت شفتيها حتى لا تلتقط ذبينه كلماتها:

_ اركب الجواد قبل أن تتأذى يا زيدان.

مد مصطفى يده بسرعة ليساعده على الصعود، لكن انطلقت ضحكة ذبينه، عالية متعالية ترتد على جدران البحر اللامرئية، كأن الرعد نفسه قد أخذ صوتها وفي ومضة قفزت من أعماق الماء و ذيلها يلتف كسوط حديدي، وانقضت على هاتور بصفعة هائلة ارتد وجه هاتور إلى الجانب ثم سال الدم من خدها واندمج مع رذاذ البحر البنفسجي.

حينها تغير كل شيء... أصوات براعم الحوريات، التي كانت قبل لحظات أشبه بتراتيل مائية تبعث الطمأنينة، تحولت فجأة إلى عويل ممزق، صرخات تخترق الصدر قبل الأذن. تتسرب إلى داخل الروح، كأنها تفتح فيها باباً إلى جحيم أزلي.

حتى الرجال عجزوا عن الاحتمال، فوضعوا أصابعهم في آذانهم لكن الصوت كان يخترق العظم نفسه. صرخوا وتمايلت أجسادهم حتى فقدوا توازنهم وسقطوا عن ظهر زعير ، ليجدوا أنفسهم واقفين فوق سطح البحر الماء تحت أقدامهم يهتز، لكنه يرفض أن يبتلعهم.

غير أن البراعم كانت تقفز من عمق البحر إلى سطحه بخفة مميتة، كأنهن طيور ماء مسلحة بالمخالب، تضرب ثم تهبط في لمح البصر. كل ضربة كانت تصنع دوامة صغيرة على السطح، تموت بعدها الموجة قبل أن تولد.

اثنان منهن أمسكتا بيد زيدان، قبضتهما باردة كالموت، وبدأتا تجذباناه للأسفل. البحر الذي كان يرفض دخوله، بدأ فجأة يلين، كأنه يعرفه.. أو يعترف به وكأن الماء نفسه قرر أن يجرب ضمه إلى أعماقه، ليكون جزءاً من مملكته السرية.

صرخ حمزة وشدّ زيدان بكل قوته فيما مصطفى أمسك بالذراع الأخرى، والملح يلسع جروحهما المفتوحة. على بعد أمتار كان ليث يقفز فوق سطح الماء كفارس يرقص على الزجاج يطعن أي يد أو ذيل يخرج من الأعماق.

هاتور، وسط هذا الجحيم عندما رأت المشهد وكان الزمن توقف. لم تبالي إلى الدماء التي تسيل من جرح الذي اصاب بطنها، وجوهم جميعاً تتلوى بين الصراع والبقاء، وزيدان يكاد يختفي تحت السطح.

في تلك اللحظة خرج صوتها :

_ لن أسمح لهذا أن يحدث، أعلم ما أريده ولن أسمح له أن يضيع كما ضاع كل شيء آخر.

تهددت بعنف ثم التقطت شهيقاً بعدها نظرت إلى السماء والدموع تتجمع في عينيها حتى حجبت الأفق .

ثم طارت في الهواء وعيناها تتوهجان بلون ناري. حين فتحت فمها للصرخ أبيضت مقتلها بلمعانٍ غريب، وكأنها دخلت طوراً آخر من وجودها.

يدها اليمنى بدأت تصدر وهجاً أزرق مخيف، يشتعل فيه الماء والنار معاً. وفي لحظة هبطت من اعلى الى البحر فغاصت إلى الأسفل كالسهم اخترقت سطح الماء رغم أنه يرفض الأجساد الغريبة، لكنه هذه المرة انفتح لها كأنها من أهله.

سبحت هاتور بسرعة رهيبية، كأنها سهم أطلقه البحر لكن قبل أن تصل إلى ذبينه توقفت فجأة على عمق معين وأغلقت عينيها ثم مدت يديها

إلى جانبيها وبدأت تحرك أصابعها في إيماءات متتابعة، ترسم في الماء خطوطاً من الضوء الأزرق، حتى اكتملت دائرة سحرية مضيئة حول جسدها.

دخلت تلك الدائرة، فاهتز البحر من حولها كأنه شعر بما فعلته . وبعد لحظة واحدة خرجت منها، لتعود وتدخلها مرة أخرى لكن هذه المرة وهي تفتح عينيها في بطء رفعت يدها اليمنى إلى السماء المائية، ورسمت في الهواء ثلاثة رموز متتالية الأولى على شكل موجة، الثاني على شكل قمر، والثالث كنجمة مشتعلة ثم قبضت يدها فجأة فتدفق من الدائرة شعاع أزرق هائل التف حول ذراعها مثل أفعى .

وبحركة سريعة ضربت بيدها على الماء أمامها فانفجرت فقاعات مضيئة، وبدأ الشعاع يتكثف ويتصالب حتى اتخذ شكل سيف ضخم من المياه، شفاف كالزجاج لكنه يلمع كحدّ الفولاذ.

ذبينه كانت تنهياً للهجوم مجدداً لكنها فوجئت بالقوة الجديدة و قبل أن تقترب تحركت هاتور بسرعة هائلة وضربت السيف على ذراعيها فقطعتها بضربة واحدة، فصرخت الأم صرخة هزت الأعماق.

تركت البراعم زيدان واتجهوا نحو هاتور، لكن الأخيرة لم تتراجع وفي لحظة واحدة غاصت بسيفها في صدر ذبينه حينها دوى انفجار المائي فسقطت بعده الأم ومعها انجرفت البراعم.

في الأعلى كان زيدان يُنتشل من الأعماق واضعاً يده اليسرى على صدره بابتسامة ساخرة:

_ لقد شهدت الموت للتو.

حمزة يلهث قائلاً :

_ أنت مجنون، يا زيدان.

أما مصطفى فالتفت نحو ليث يسأل:

_ أين هي؟

ليث أشار للأسفل:

_ انظر تحت قدميك.

كانت هاتور تسبح ببطء نحو باب صغير يتوسطه سحاب أبيض ومقبض من الألماس أخرجت مفتاحاً غريباً، أدخلته في الباب ثم طارت وخرجت من الماء بعدها رفعت صوتها :

_ قلوب رحيمة وقلوب قاسية... فلا تحكم على القاسي قبل أن تعرف البادية.

انشقت المياه أمام الباب وتحولت إلى دوامة من الظلام نحو السماء،
تكشف عن عالم آخر...

الفصل السادس «اموات امتنعوا النوم»

العالم الأول.

عالم مبهت الكينونة، مسلوب الروح، كأنما انتزعت الحياة من كل ذرة فيه، تاركة خلفها فراغًا خانقًا يلتف حول الصدور. إحساس رهيب يجتاح القلب، كأنما فُيِّض بين برائن يدٍ باردة، يضيق النفس ويترك الجسد خاليًا من دفع الضلوع، وكأنك تُحتجز في قبرٍ متسع، يمتد بلا نهاية أمامك وخلفك، يطوقك بظلاله الثقيلة، بلا مخرج ولا ملاذ سوى الموت. ولكن الموت هنا، في هذا المكان الملعون، ليس راحة ولا خلاصًا؛ فمن مات هنا امتنع عنه النوم الأبدي، أهل هذا العالم، جميعهم، ماتوا بالفعل. ولكن بعد أن غادرت أرواحهم الأجساد، لم تُترك تلك الأجساد لترقد بسلام. استيقظت بلا عقل، طافية في الفراغ، متحركة بلا هدف سوى وجودها الخاوي أما من حاولوا التشبث بأرواحهم، فقد انتزعت منهم بوحشية، مُجبرة على المغادرة حتى لا تبقى أي قوة تُمكن الروح من استعادة زمام الفعل.

المشهد كان يحمل طابعًا أوروبيًا قديمًا، ينتمي إلى العصور الوسطى. بيوت مصنوعة من الأخشاب الصلبة والأحجار الثقيلة، شوارع ضيقة

مرصوفة بأحجار صغيرة متراسة بعناية، تُغريك بخلع حذائك والسير عليها بقدميك العاريتين لتشعر ببرودتها المبتلة. القلاع العملاقة تحيط بالمكان، شاهقة وموحشة، تضيء هيبه خانقة على المشهد. كل شيء هنا غارق في ألوان داكنة؛ الذهب المعتق الذي فقد بريقه، الأخضر العميق، والأحمر الدموي، وكأنها رموز لعظمة بائدة ولعنة خالدة. ومع كل هذا الجمال الغريب، كان المكان خاليًا من أي نبض حياة.

نسمات الرياح تُسمع وهي تصطدم بجدران المنازل الخشبية، حاملة معها صمتًا رهيبًا. الضباب الكثيف يلتف كستار يحجب الرؤية ويُضفي على الأزقة شعورًا بالاختناق.

مصطفى: أين السكان؟ هل يمكن أن يكون هذا المكان مهجورًا بالكامل؟

هاتور_ لا أعلم ولكن هذا الهدوء أشبه بالموت.

صمتوا لبرهة، كأن كل منهم يبحث عن إجابة فجأة سأل حمزة:

_ماذا سنفعل الآن؟

هاتور: كنت سأقول نحلّق بزعيير ونبحث عن الباب الثاني، ولكن هذا الضباب يحجب كل شيء ربما يكون الأفضل أن نبدأ بتفتيش المنازل.

ليث (بتردد): علينا الحذر فهذا المكان لا يبدو طبيعيًا.

بدأ الأربعة السير نحو المنازل القريبة، حيث كانت أبوابها المؤصدة تثير في قلوبهم رهبة غريبة دخلوا متسللين بحذر، وعيونهم تتفحص كل زاوية بحثاً عن أي دليل قد يقودهم إلى الباب الثاني.

بينما كان حمزة يتفحص المكان، عثر على مصباح كيروسين قديم، موضعاً بعناية على رف خشبي نظر إلى هاتور وقال بصوت خافت: _ هل تستطيعي اشعاليه.

مدت يدها برفق وأخرجت من إصبعها ناراً صغيرة، كأنها جزء منها وبحركة رشيقة، أشعلت المصباح ليملأ المكان بشعاع ضوء خافت ينساب بين الظلال، مُظهرًا تفاصيل الجدران المتآكلة والأثاث المعطى بالغبار.

وبعد لحظات، سمعوا صوت ليث قادمًا من غرفة أخرى: _ وجدتُ مصباحًا آخر.. حمله فأشعلته هاتور بنفس الطريقة.

كل منهم شعر بشيء غريب في الجو، وكأن الظلال المحيطة بهم ليست مجرد ظلال، بل كائنات تراقب، تبادلوا النظرات في صمت والأنفاس ثقيلة تزداد فيها التوترات.

قال زيدان بجدية وهو يلتفت إليهم: _ علينا أن نفرق فإذا بقينا معًا، سنحتاج إلى سنوات لتي إيجاد الباب .

أخذ كل واحد مصباحًا ، بينما أشعلت هاتور ضوءًا من يدها اليسرى، وخرجت من المنزل قاصدة القلعة المظلمة.

خرج الجميع خلفها وحين اقترب زيدان من المنزل الذي سيدخله، فُتح الباب ببطء من تلقاء نفسه، وكأنه ينتظره عندها اقترب منه بخطوات قليلة، شعر بشيء غريب تقشعر له جسده، وتملمت أطراف أصابعه. أخذ شهيقًا عميقًا، ثم تبعه بزفير طويل وضع المصباح في يده اليسرى، وحمل خنجره بيده اليمنى مُتأهبًا لأي طارئ.

دخل وعيناه تتفحصان المكان، وما إن عبر عتبة الباب حتى أُغلق خلفه وكان يدًا غير مرئية دفعت الباب ليغلق وراءه. حاول العودة، طرق الباب بعنف ونادى بصوت مرتفع، لكن لا أحد يسمعه. احس بأن العجز يراوده، ولكن أخذ نفسًا عميقًا مستجمعًا شجاعته، ثم التفت مجددًا ليوصل رحلته . رفع المصباح محاولًا إضاءة الطريق أمامه، لكن فجأة هبت ريح قوية من العدم وأطفأت النار وقف لحظة، يحاول التأقلم مع الظلام وبعد ثوانٍ، اشتعلت المدفأة في الغرفة تبعثها المصابيح المعلقة على الجدران، واحدة تلو الأخرى، وكان هناك قوة خفية تتحكم في المكان.

لكن الصدمة كانت في ما رآه. الجدران من حوله بدأت تتساقط منها الدماء، وكان البيت نفسه جُرح ولم يجد من يداويه. كانت القطرات

السميكة تتناثر بغزارة على الأرض مبللة الأثاث والستائر، مما جعل المكان يبدو كأنه مشهد من كابوس حي.

شعر بشعور غريب يختلط بالخوف. ظل واقفاً عينية تتنقل بين الجدران التي تنزف، محاولاً استيعاب ما يحدث، ولكنه في أعماقه كان يعلم أن هذه الدماء تحمل رسالة ما، أو ربما هي جزء من اللغز الذي يسعى لحله.

وبعد قليل من الثبات توجه نحو إحدى الغرف في داخلها شاهد منظراً جعله يتجمد في مكانه على السرير كان رجل وامراة تبداوا انها زوجته ملقيين وكأنهم في بركة من الدماء، جثتين هامدتين أصابه الفزع، وتدفق خوفه في عروقه، لكنه تحرك رغم ذلك نحو الجثتين.

رفع الغطاء عنهما بيدين ترتجفان، عينية اتسعان من هول ما رأى. سقط الغطاء من يديه فسقط هو بعده ليجد نفسه يزحف للخلف، قلبه يخفق بشدة وهو يتنفس بصعوبة الزوجة كان جسدها قد قُطع من المنتصف، والدماء مازالت تتفجر من أحشائها، بينما هناك سكين غارقة في صدر الرجل تشير إلى لحظة موته العنيفة. ارتجف وهو يتخيل كيف ستكون نهايته في هذا المنزل الملعون.

استند ووقف من جديد ثم تقدم خطوتين للأمام، عينية تركزان على الجثتين و جبينه يتصبب عرقاً. فجأة. لفت انتباهه شيء غريب ورقة

صغيرة كانت في يد ال زوجة مد يده ببطء، وعينيه تتبعان كل حركة بحذر شديد اقترب أكثر، حتى سحب الورقة غي لحظة خاطفة ثم تراجع إلى الوراء بسرعة.

ولكن وهو يتراجع، تساقطت بعض قطرات عرقه على شفتي الزوجة. لحظتها تحركت الجثة بشكل مفاجئ خرج لسان أسود طويل، يلعق شفتها الميتة ثم أصدرت صوتاً غريباً، صوتاً يشبه أنيناً لحيوان ذبح توأ وروحه على وشك مغادرة الجسد.

وبجانبتها تحرك زوجها رفع رأسه ببطء وكأنما استعداد الحياة فتح عينيه الميتتين الفارغتان وعاد الصوت الجاف ليخترق الصمت: _ لن تفلت منا.

تجمد في مكانه من الرعب و بدأ يتنفس بصعوبة شديدة، ركض الى الخلف ثم التفت بأقصى سرعة ممكنة خارج الغرفة الجثتان تحركا خلفه. الزوج يمشي على قدميه الميتتين، بينما الزوجة تزحف بنصف جسدها تاركة النصف الآخر على السرير.

لم يكن زيدان يدرك إلى أين يذهب، فقط ركض بشكل عشوائي، حتى وصل إلى الغرفة المجاورة، وأغلق الباب خلفه بسرعة حاول تهدئة نفسه من شدة الخوف وعندما بدأ يتماسك لاحظ أنه في غرفة أطفال، فلقد وجد أنها مليئة بالألعاب المبعثرة لا يعلم لماذا فزع قلبه أكثر بعد

تلك المعرفة، لم يفكر كثيراً فقد اجابه الطفل الذي قفز عليه فجأة من فوق الدولاب، محاولاً أن يعض عنقه بأسنانه الحادة كالإبر. صرخ زيدان في ذعر وتراجع بسرعة إلى الوراء حتى اصطدم بالجدار. كان الطفل يحاول التشبث به بشراسة ولكنه اعاد الكره و ضربه بالجدار محاولاً التخلص منه.

وبعد ثلاث محاولات أخيراً سقط الطفل على الأرض فالتقاط شمعدان كان بجواره وسقط على الطفل ثم ضرب رأسه بكل قوته حتى تحطمت الجمجمة، وتناثر الدم على وجهه جلس بعدها على الأرض يلهث، ويمسح بيده الدماء عن وجهه، محاولاً استعادة قدرته على التفكير.

ولكن الضوضاء القادمة من خلف الباب كانت متسارعة، تزداد قوة. فالجثث تحاول اقتحام الغرفة، حينها ابتسم زيدان ابتسامة مشوهة، يعكس فيها مزيجاً من الخوف والجنون ثم نظر إلى الباب قاتلاً في همس:

_ أنتم لا تعرفون مع من وقعتم، تركت النداهة وراء ظهري ولم تأخذني ولن أترككم تأخذوني.

استل خنجره واتجه نحو الباب استعداداً.

في البيت المجاور كان مصطفى يواجه نفس المصير فبعد أن دخل المنزل أُغلق الباب ورائه مثلما حدث مع زيدان.

و كأنما تُطوى معه صفحة من كتاب الحياة. كان الصمت كضباب يلتف حوله، يهمس له بأن في هذا المنزل ليس فارغاً. وبعد وقت ليس بالكثير سمع صوت يأتي من بعيد وكأنها ايادي تحفر في الأرض، حينها بدأ ينتبه بأن شيئاً ما في الظل قد استيقظ.

الصوت اقترب من الخلف فالتفت، وقتها عيناه اتسعتا بذعر مكتوم، فقد ابصر خمس جثث هائلة الأجساد، مبتورة الأيدي، ملقاة على الأرض كأطلال من زمن عفا عليه الموت كانت جامدة، صامتة، لكنها تشع حياة تسلل الخوف إلى عظامه، وأحس بالدم يفارق وجهه وهو يغمغم في صوته المرتجف بستهزاء :

_مرحباً أفهمون ما أقول؟ بدايةً أسف لدخولي من دون إذن ثم... أليس من المعتاد أن يقدم المضيف شيئاً للضيف؟ أريد القهوة!

اشار إليهم ثم اردف: و لكن كيف تصنعوها وانتم مثل الدود لا تملكون أيادي.

كأن كلمات مصطفى أزعجت تلك الكائنات العاجزة، فبدأت الجثث تتحرك ببطء، تزحف نحوه، في غضب كامن يخرج من عيونهم .

مصطفى شعر بأن الرعب يجتاحه كما لم يفعل من قبل، حاول التراجع خطوة خطوة، لكن قدميه خانتاه فسقط بينما عيناه لا تفارقان تلك الجثث الزاحفة إليه، يتقدمهم رجل متهاوي الجسد، كأنما الموت عبث به مرارًا يتساقط منه اللحم كلما زحف كاشفًا عن عظامه. ارتجف قلبه بداخل صدره، واندفع بقدميه ليضرب وجه الجثة المتقدمة، ثم مد يده إلى خنجره وانتفض وقوفًا ثم رجع فوق ذلك الجسد وحفر خنجره في عنقه حتى قطع الرأس، بعدها دفع جسده ونهض من جديد.

وبنبرة يملؤها مزيج من الخوف والسخرية قال:

كل هذا من أجل كوب قهوة! فماذا كان يحدث لو طلبت العشاء؟

تحرك بين تلك الجثث، صاعدًا إلى الطابق العلوي، حيث دخل إحدى الغرف وأقفل الباب بعنف خلفه، أسند جبينه على الباب وراح يضرب رأسه علىه يستيقظ من هذا الكابوس المريب.

كيف يتحرك هؤلاء الأموات؟ يا الله كيف يحدث هذا؟

قطع صوته الداخلي همسات غريبة، صوت كأنما ينبعث من العدم، مميز ببطئه، كأنه يتشكل من أفكار تتخلل في هذا الظلام المحيط. تبع مصطفى الصوت حتى وصل إلى غرفة أخرى، وفي داخلها وجد رجلاً يجلس على كرسي هزاز، يتمايل للأمام والخلف والدخان يتصاعد من سيجاره

يحملها بين اصابعه وملامحه تغيب في ظلال قاتمة، فيما الساعة الذهبية تتدلى من جيبه، لتضفي على هيئته هيبية غامضة.

سأله مصطفى والفضول يغلب عليه مشوباً برهبة:

_ هل أنت من تلك الوحوش ؟

لم يتحرك الرجل، لكنه رد بصوت عميق:

_ لماذا أتيت إلى هنا يا مصطفى؟

شعر مصطفى بالحيرة، لكنه استجمع شجاعته وسأله مجدداً:

_ هل تعرفني؟

أعاد الرجل سؤاله، لكن هذه المرة كانت نبرته أشد غرابة، إذ قال بصوت جهوري يكاد يخترق الظلام:

_ لماذا أتيت إلى هنا يا مصطفى؟

رد مصطفى وقد بدأ يتذكر ببطء حقيقة وجوده هنا:

_ أنا هنا أبحث عن باب العالم الثاني.

ضحك الرجل ضحكة قصيرة، محملة بغموض ثقيل وقال:

_ لا تتلهى طويلاً فإن الموت سيوقفك.

حدق الرجل في ساعته ثم أردف:

_ اذهب إلى النافذة يجب أن تتجمعوا جميعاً قبل فوات الأوان.

تقدم مصطفى نحو الرجل بخطى ثابتة رغم الخوف الذي يضغط على قلبه، لكنه عندما مد يده إلى الكرسي لم يجد أحداً.

((الفصل السابع: قتل الرأس))

قال وقد شلّه الذهول:

_ الكرسي... خاوي ولكن أين الرجل الذي كان يتحدث معي .

لم يفكر كثيراً حمل الكرسي وألقاه في النافذة الزجاجية فسمع صوت الكسر المدوي فخرج منها سريعاً وقفز في كومة قش. هرول باتجاه المنزل الذي دخل فيه حمزة ثم همهم بصوت منخفض، محاولاً ألا يلفت الأنظار:

_ حمزة أين أنت؟

دلف الى المنزل بعد أن خفض صوته أكثر، يردد الاسم مرة تلو الأخرى:

_ حمزة... حمزة...

نزل حمزة من الطابق العلوي مسرعاً، وكان وجهه وملابسه ملطخة
بالدماء عندما لمح مصطفى صرخ بأعلى صوته:

_ اركض إنهم خلفي!

_ ماذا تقول؟

لكن حمزة لم يرد، بل تجاوز مصطفى بسرعة، قانلاً وهو يركض:
_ ليس وقت السؤال اهرب يا رجل!

فجأة شعر مصطفى بالأرض تهتز، وصوت أقدام ثقيلة تكاد تكسر
الأرض الخشبية في الطابق العلوي ازاح عينيه من على حمزة والتفت
خلفه ، فشهد الأموات الأحياء يتزاحمون على الدرج يخرجون أصواتاً
غليظة من حناجرهم الخاوية. كانوا يهرولون في تزامم، يلتصق
بعضهم ببعض لم يتحمل السقف تلك الأعداد فانهار تحت وطأة
الأجساد الثقيلة وسقطوا دفعة واحدة أمام مصطفى فأصبح هناك فريقين
فريق على الدرج والآخر امامه، ركض خلف حمزة بكل قوته :

من هؤلاء القوم؟

أجاب حمزة بصعوبة لا أعلم.

دخل المنزل الذي كان يختبئ فيه زيدان، وأغلقوا الباب خلفهم بإحكام،
كان الأموات الأحياء يزحفون في الخارج ويملؤون الطرقات بأعداد

هائلة. يلتفون حول المنزل من كل الاتجاهات، لا يُعرف من أين جاءوا فقد خرجوا من كل البيوت وكأن الأرض بصقتهم فأمسوا جرداً منتشر فريق من الغرب، وآخر من الشرق، ومن اليمين والشمال، وكأن كل من في هذا العالم قد استفاق فجأة من نعاسه الأبدي، يدفعون بعضهم البعض في ازدحام فوضوي.

قال مصطفى في عجلة:

_ لنضع بعض الأساس وراء الباب قبل أن يكسروه.

كانا يضعان كل ما وجداه خلف الباب لكن كانت المحاولات بلا جدوى. فالباب يُدفع دفعًا شديدًا. وقتها ارتاعا وصعدا إلى الطابق العلوي بسرعة.

زيدان ما زال مختبئ في غرفة الأطفال حتى أحس بصوت اصدقائه فجمع شجاعته، وتوجه إلى الباب ومد يده ليفتحه بسرعة لكن الرجل الميت كان سريعًا لكن حركة زيدان كانت أسرع فاغتاله بخنجره، طاعنًا إياه في أسفل ذقنه فخرج النصل من أعلى رأسه.

في تلك اللحظة لم يلاحظ النصف المبتور من جسد الزوجة التي بجانب قدميه. هاجت في محاولة لمهاجمته فجأة مصطفى ظهر ولم يتردد ركلها بقدمه اليمنى، فسقطت على ظهرها أما حمزة دون تفكير، سحب

السكين من صدر الزوج الذي كان يحمله منذ مقتله وطعن الزوجة عدة طعنات متتالية.

لكن الطعنات لم تنفع في قتلها فاستل زيدان فأسه من حقيبة مصطفى وضربها ضربة قوية شقت نصف رأسها فسقطت ميتة.

ثم دلفوا إلى الغرفة التي كان يختبئ فيها زيدان منذ قليل وأغلق مصطفى الباب وهو يلهث ثم واحتضن زيدان وحمزة قانلاً:

_ أحمد الله على سلامتكم يا أخوتي.

لمح حمزة بقايا الطفل المتناثرة في الغرفة فعبس وجهه من الاشمزاز وسأل: _ من هذا؟

أجاب زيدان بسخرية:

_ ذلك الفتى كان يلعب الغميضة حتى وجدته، فلم يتحمل الخسارة وبدأ يضرب رأسه في جدار الغرفة. أنا كنت امنعه واقول لا تفعل لا تفعل ستؤذي نفسك دعنا نلعب شيئاً آخر، لكنه أصرّ على المضي في طريقه، واختار أن يذهب إلى مكان لا أجد فيه.

ضحك الجميع وقال مصطفى:

_ المكان ينضح بالموتى الأحياء و ننتظر الموت ومع ذلك لا تتوقف عن العبث.

زيدان :

_ يا صديقي إن كانت الدنيا فانية فما جدوى خوفا من أموات أحياء؟ لقد تركت خوفا لها، وادّخرته لما هو أبقى.

قاطعهم حمزة سائلاً

_ أين ليث؟

أجاب زيدان:

لا أعلم.

نظروا إلى بعضهم البعض وعيونهم مليئة بالأمل في أن ينجو "ليث" ولكن قلوبهم المشغولة بالليث انشغلت بالمخاوف .

قال زيدان بصوت هادئ مليء بالقلق:

_ لن يصمد هذا المنزل طويلاً، قبل أن ينهار على رؤوسنا.

قال حمزة والقلق يعصف به: أخاف من الموت، دقات قلبي تكاد تكسر صدري ماذا سيحدث إذا مت هنا؟ هل سأصبح مثلهم؟

صنع مصطفى حمزة على خده، ثم قال بصوت حازم:

_ كف عن العبث سيزيد جزعنا من كلامك هذا؟

بينما كانوا يتهايمسون سمعوا دويًا عنيًا واهتز المنزل كأنه على وشك الانهيار كُسر الباب في الأسفل، وصعدت الوحوش بكل قوتها نحو الأعلى محاولين تحطيم باب الغرفة.

قال زيدان :

_ لنصعد إلى سطح البيت بسرعة.

صعدوا عبر النافذة إلى السطح، لكن لم يمض وقت طويل حتى كسر الزومبي الباب وتوجهوا نحو النافذة محاولين الوصول إليهم.

وقف الثلاثة متفرقين على زوايا السطح منهم من يلوح بلفأس وآخران بالخناجر وكلما اقترب منهم أحد الوحوش، ضربوه أو طعنوه، فلم يكن لديهم سوى خيار واحد، الصمود.

وبينما كان زيدان يراقب المحيط حوله وقعت عيناه فجأة على الجدار الحجري للقلعة فرأى هاتور وسط ساحة القتال تشتبك مع الوحوش التي تهاجمها من كل جانب، وتقتل كل من يقترب منها بلا تردد لم يتمالك نفسه فهتف بصوت مرتفع:

_ نحن هنا.

وصل صوته إلى مسامعها، فالتفت برأسها بسرعة، ورأتهم واقفين فوق السطح، بينما كانت جموع الموتى الأحياء تتسلق نحوهم من

النوافذ، وأعدادهم في الأسفل تتكاثر بشكل مريع حتى بدا أن المنزل سينهار تحت وطأتهم.

طارت بتجاههم وهي تصيح :

_ أنا قادمة .

نظر زيدان إلى هاتور وهي تمزق صدر أحد الموتى الأحياء بيديها العاريتين، الدماء تطايرت على شعرها المتطاير خلفها فصارت كأجنحة من الحم، وابتسامة باردة ترسم على شفيتها استدار نحو مصطفى، يتجاهل الجحيم المحيط به، وقال بصوت كأنه يصف لوحة في معرض:

_ جميلة العينين في نظائرها... كغزال البراري من طلائعها.

انشق صدري حين نادتنى... كأن عصفورًا يُغردها.

زمجر مصطفى وهو يقطع ذراع أحد الوحوش :

_ أنت مريض نحن نغرق وسط القذارة والموت، وأنت تتغزل؟ هل تريد أن أكتب لك قصيدة تأبينك الآن؟

ابتسم زيدان وهو يطعن أحد الموتى في بطنه حتى اخترقت النصل ظهره:

_ أنا أقاتل معكم بسيفي... لكن قلبي يحارب معها.

قبل أن يرد مصطفى، اندفعت جثة من الخلف نحو زيدان، انقض مصطفى عليها، وعرز خنجره في عنقها حتى انفصل الرأس وبقي متدلياً من شريط لحم مهترئ فتناثر سائل أسود كثيف على وجهيهما قال مصطفى ساخراً:

_ كاد الحب يقتلك يا شاعر القبور... فهل ساعدتك عيناها الآن؟

رد زيدان، وهو يمسح الدم عن وجهه بيده الملطخة:

_ على الأقل ساموت وأنا أنظر إلى شيء جميل... لا مثل وجهك.

قهقهه مصطفى وهو يشطر جمجمة آخر نصفين:

_ وجهي... لا تتوقع بكائي إن أكلوك.

هبطت على سطح المنزل بخفة، تتقاذف بين الجثث حركاتها حادة وسريعة وأظافرها الطويلة تشق الأجساد كما لو كانت تمزق الهواء. كل ضربة تسقط خصماً وكل نظرة من عينيها المشتعلتين تكشف عن عزيمة لا تعرف الرحمة.

وبينما تواصل القتال رفعت صوتها لتنادي جوادها المجنح بأقصى قوتها: زعير.

ثم التفتت نحو المجموعة وهي تصد هجومًا آخر:

_ ألم تعثروا على أي سبيل للخروج من هنا؟

أخرج زيدان ورقة مهترئة من جيبه.

_ وجدت هذه... كانت مع أحدهم.

وصل زعير في تلك اللحظة، فانقض على المكان وحملهم على جناحيه بعيداً قبل أن ينهار المنزل تحت ضغط الجثث. حط بهم على سطح آخر، أكثر أماناً، بينما كانت أنفاسهم تتسارع من شدة الموقف.

فتحت هاتور الورقة عيناها تتحركان فوق الرموز الغريبة، قبل أن تقول بصوت منخفض لكنه :

_ تلك لغة عالم الجن.

سأل حمزة :

_ وماذا تقول؟

أجابت:

_ لإنهاء الجسد... عليك بالرأس حينها فقط يمكننا مغادرة عالم الأموات.

لم تمض سوى لحظات حتى اهتزت الأرض تحت أقدامهم، وانشقت لتخرج منها جثث متعفنة، أعضاؤها مبتورة وعيونها غارقة في سواد المقابر، والدود يزحف من جروحها المفتوحة. أسرعوا إلى زعير، وركبوه قبل أن يبتلعهم الجحيم من جديد.

لكن قبل أن يغادروا، لفت انتباه هاتور مشهد غريب... امرأة نحيلة الجسد ذات خصر ضيق وعينين بيضاوين بلا بؤبؤ تحمل رضيعاً بين ذراعيها، وتقف بين الجثث كأنها ملكة على عرش الموت رفعت إصبعها وأشارت نحوهم وكأنها تتحكم في جميع تلك الكائنات.

قالت هاتور، ونبرتها مشوبة بالريبة:

تلك المرأة...

رد مصطفى وهو يراقبها بعين ضيقة:

أتقصدين المرأة التي تحمل الرضيع؟

أومات هاتور:

نعم... أشعر أنها هي الرأس.

سأل حمزة بصوت خافت يحمل القلق:

وماذا عن ليث؟ أين هو؟

أجابته بصرامة:

_ إن أسقطنا الرأس سينتهي كل شيء... وسنجد ليث.

تنفس مصطفى بعمق، ثم قال بحسم:

_ لدي خطة.

نظرت إليه بترقب وقالت: _ ما هي؟

_ سنقفز من فوق زعير، ونركض نحن الثلاثة في اتجاهات متفرقة سنتبعنا الوحوش، وعندها تتوجهين أنت لقتل المرأة.

_ هذه الخطة ستقتلكم... ردت هاتور في خوف.

نظر إليها زيدان بثبات، وكأنه يقيس المسافة بين قلبه وقلبها لا بينه وبين الخطر ثم قال:

_ قد نموت... لكن إن كانت هذه هي النهاية فأريدك أن تعرفي شيئاً قبل أن أرحل.

صمت لحظة، ثم قال بوضوح:

_ أحبك.

ارتبكت فلم يكن الوقت ولا المكان يحتملان هذه الجملة، لكنها شعرت أن الموت وحده يجعل بعض الكلمات ممكنة تمت بحدة تخفي ارتجافها:

_ وهل هذا وقته؟

ابتسم ابتسامة قصيرة، لكنها كانت أصدق ما في وجهه منذ أن عرفته: _ هو وقته ... لأن الغد قد لا يأتي، الحب يا هاتور ليس رفاهية نؤجلها حتى نأمن، بل هو الشيء الوحيد الذي يجعلنا نواجه ما لا يُواجه.

ظلت تحرق فيه لحظة، ثم قالت بصوت منخفض:

_ إذن اعلم... أنك سبقتني إلى القول، لكنك لم تسبقتني إلى الشعور.

التفت زيدان إلى مصطفى برأسه:

_ لقد قالتها يا أخي... قالتها.

مصطفى، الذي ما زال يحرق في ذهول كأنه لا يفهم الرابط بين الكلمات، تتم بحدة:

_ إن لم نتحرك سأموت من تلك البلاهة قبل أن تقتلني تلك الوحوش قل لها أن تهبط لكي تنفذ الخطة.

اندفع حمزة وزيدان ومصطفى في ثلاثة اتجاهات، يركلون الأرض بأقدامهم ويصنعون جلبة متعمدة، يصرخون ويترقون الحجاره وجدران الخراب بكل ما تصل إليه أيديهم. ارتد صدى الضوضاء في الأفق، فبدأت الجثث تلتفت دفعة واحدة ثم اندفعت نحوهم ككلاب صيد شمت دمًا، تتحرك بلا عقل لكن بحركة منظمة تحمل شراسة غير طبيعية.

في تلك اللحظة، كان تركيز هاتور منصبًا على المرأة الغريبة... كيان يرفض قوانين الحياة والموت هبطت من السماء بخفة، وهناك تحت ظل باهت، كانت المرأة تجلس تحتضن طفلًا صغيرًا لكن المشهد لم يكن أموميًا... بل كابوسيًا.

صدر المرأة ينزف دمًا غزيرًا، والطفل يرضع منه بجوع وحشي، ينهل منه كما لو كان يشرب روحها. جلدها يتفتت مع كل نفس وجهها يذبل حتى يكاد يختفي.

لم تتردد هاتور، صنعت سيفًا متألّقًا من وهج سحرها، تقدمت خطوة، لكن المرأة فجّرت صرخة حادة، على أثرها توقفت كل الجثث عن ملاحقة حمزة وزيدان ومصطفى، ثم استدارت في انسجام مميت نحو هاتور، وكأنها أعيدت برمجة ولانها.

حمزة التفت خلفه، فلم يجد شيئاً. زيدان ومصطفى توقفوا أيضاً، يلتقطان أنفاسهم بينما الظلام حولهم صار أثقل وأكثر كثافة فلم يعرفوا أن الخطر كله أصبح متجسداً الآن أمام هاتور.

الأرض تحت قدميها بدت وكأنها تبتلعها مع كل خطوة، لكن هاتور رفعت سيفها وأطلقت كل قوتها في ضربة خاطفة، فطار رأس المرأة وسقط على التراب... غير أن الصمت لم يأتِ على العكس الوحوش ازدادت شراسة، وكأنها تحررت من قيد كان يكبحها.

حينها رأت هاتور الحقيقة... الطفل.

عينا الصغير تحولت إلى سوادٍ مطلق، وأنيابه امتدت كمخالب قاتلة. فهمت أن الشر كله ينبض في صدره، وأنه الرأس الحقيقي الذي يجب أن يسقط.

تقدمت، والوحوش تقترب من كل جانب، لكن العالم صار ضباباً لا ترى فيه سوى الطفل رفعت السيف عالياً ثم غرزته بكل قوتها في قلبه.

صرخة الطفل لم تكن صوتاً بل كانت زلزلاً مزق الهواء. وفي لحظة انهارت الجثث كأشجار جافة، تفتتت إلى رماد طائر والوحوش جميعها اختفت حتى جسد المرأة تبخر في الهواء... وعاد الصمت.

الفصل الثامن: اريد المفتاح

عندما تلاشت الوحوش وصارت رمادًا يتراقص في الهواء، ارتجفت الأرض من تحتهم، كأنها تتأهب لاستقبال حدث جلل. كان العالم الأول يزفر زفرة عميقة، كمن تحرر من سلاسل طال أمدها، يتنفس الصعداء للمرة الأولى منذ عصور طواها الظلام.

فجأة انشقت السماء وكُشف عن "باب العالم الثاني" كان بابًا عظيمًا، أشبه بقطعة من السماء اقتطعت بالقوة، ومن قلبه تدفقت أضواء متداخلة من الأزرق العميق والذهبي المشتعل، تتراقص معًا في موجات بطيئة.

من البوابة انطلقت أنغام عجيبة كأنها أغاني أرواح قديمة تتناهى عبر الزمان، تنساب في الأجواء فتثير قشعريرة في العظام.

ثم... عادوا السكان الأصليون للعالم الأول.

ظهروا كما لو خرجوا من حلم طويل، وجوههم الخضراء الشاحبة تتلألأ بهالة رقيقة تتغير ألوانها تبعًا لانفعالهم، وكأن ملامحهم تحكي قصصهم قبل أن تنطق شفاههم. الرجال ارتدوا ثيابًا فخمة داكنة اللون؛ أزرق غامق وأسود تتخلله خطوط ذهبية أنيقة، وأحزمة جلدية محفورة برموز قديمة على رؤوسهم قبعات عريضة تتدلى منها خيوط ضوء ناعم. أما النساء فارتدين أثوابًا طويلة تبدو كأنها حيكت من خيوط القمر، تتحرك مع كل خطوة وكأنها تعزف لحناً صامتًا في الفراغ.

ومن وسط هذا الحشد خرج "ليث".

كان محاطًا بالسكان ليس كمجرد رفيق بل كقائد أو منقذ على وجهه خليط من الحيرة والعزيمة وعيناه تبحثان وسط الزحام حتى توقفتا عند حمزة ثم هرول نحوه والدموع تلمع في عينيه.

صرخ حمزة وصوته يرتجف بين الفرح والرهبة:

_أخي... اقترب حتى صار أمامه، ثم وضع يده خلف رأسه، وجذب جبهته إلى جبهته وهمس:

_لقد خفت أن أفقدك خفت أن تُسلب مني كما سُلب كل شيء. لست فقط صديقي بل أخي.

ابتسم ليث، لكن دموعه انحدرت على وجنتيه وصوته خرج مبجوحًا:

_إن كنت تراني أخًا فأنا أراك أبًا وأخًا وكل ما تبقى من عائلتي التي اغتالها الزمن. أنت لم تعوضني فقط عن الأخ، بل كنت كل شيء لي.

احتضنا بعضهما بحرارة التف الأصدقاء حولهما وجوههم خليط من الفرح والحيرة.

لكن مصطفى، الذي لم تغب عن عينيه غيوم الشك، تقدم وسأل بصرامة:

_ من هؤلاء؟ وأين كنت لقد أخفتنا عليك كثيرًا.

تنهد ثم قال:

_ لا أعلم... فكل ما أذكره أنني دخلت منزلًا مظلمًا أبحث فيه عن مأوى فوجدت امرأة مسنة ممددة على وجهها وعندما اقتربت لمساعدتها عضت يدي. لا أتذكر بعدها ما حدث سوى أنني استيقظت هنا ووجدت هؤلاء يحيطون بي ويدعون أنهم سكان هذا العالم لكن ما علاقتي بهم؟ وما علاقتهم بما حدث؟ لا أعلم.

تقدم نيكولا ملك هذا للعالم تجاههم هو طويل القامة، مهيب الحضور عباءته الملكية المطرزة بالفضة تلمع تحت الضوء المتداخل من بوابة العالم الثاني. عيناه ثبتتا على هاتور لحظة طويلة، ثم انحنى قليلاً احتراماً، في إشارة واضحة لمكانتها:

_ لم أتخيل أن أرى ابنة هتان ملك مملكة العوالم، هنا في مملكتي وفي هذا الظرف بالذات.

تجمدت هاتور في مكانها:

_ أنت تعرفني؟

ابتسم نيكولا ابتسامة خفيفة، لكنها مملوءة بالاحترام:

كيف لا أعرف ابنة من حكم العوالم السبعة بحكمة؟ والدك تهان كان حليفنا الأكبر في معارك الظلال ووجودك هنا شرف لنا... وأمل لمملكة كانت تموت.

_كنت أعرف أن للعوالم الأخرى ملوگًا وحكامًا، لكنني لم أكن أعلم ما حدث لعالمكم فما هذه اللعنة التي حاصرتكم؟

تنفس نيكولا بعمق:

_عالمنا كان مزدهرًا بين عوالم الجن حتى ظهرت تروكتال، ساحرة منفية من ممالك الغرب لم تكن مجرد ساحرة، بل كانت تستمد قوتها من الفوضى وتسيطر على أتباعها بنظرة واحدة دون كلمة أو تعويذة تقليدية. بسطت نفوذها على غاباتنا، وأفسدت روح الأرض ثم حوّلت البشر والجن إلى وحوش لا تعرف سوى القتل.

جمعت جيش المملكة من الجن والإنس معًا، فالخطر الذي جلبته لم يفرّق بيننا كنا كتفًا بكتف، نحمل السيوف ونلقي الرماح، حتى وصلنا إلى قلب الغابة حيث كان عرشها المظلم وبعد معركة طويلة ودموية، قبضنا عليها، وحكنا عليها بالصلب أمام الجميع.

لكن قبل موتها تمتت بكلمات من لغة لم أسمعها من قبل ثم أطلقت طاقة سوداء كثيفة اخترقت جسد طفل كان بين الحشد... ومن هنا بدأت العدوى، تنتقل من جسد لآخر، حتى التهمت عالمنا كله، جنًا وإنسًا.

ثم التفت إلى هاتور:

_وجودك هنا يعني أن العوالم بدأت تتقاطع من جديد ،ابنة تهان لا تظهر صدفة... أنت لست فقط شاهدة على ما حدث، بل قد تكونين مفتاح ما سيأتي.

قالت هاتور:

_اريدہ مفتاح باب العالم الثاني.

ساد الصمت لحظة، قبل أن يميل زيدان نحوها متعجبًا:

_ولكن... ألم تملكي مفتاح الباب الأول واستخرجتية من العدم؟ لماذا لا تفعلين ذلك مرة أخرى؟

أجابت:

_ذلك كان المفتاح الوحيد الذي أملكه.

قال الملك :

_خذوا ما تريدون من المملكة هي ملككم كما هي ملكنا ولكن لا تتطلبوا المفتاح:

رد مصطفى:

_ أيها الحاكم، لا نطلب كنوزكم ولا خيراتكم. ما نريده هو العبور لإنقاذ ما تبقى من قريتنا ومن أرواح تموت كل يوم.

تأمل في وجوههم بصمت، ثم قال ببطء:

_ المفتاح رمز شرف المملكة وأمانتها. تسليمه ليس بالأمر الهين... إنه تسليم مصير عالم كامل بين أيدي غرباء.

قال زيدان:

_ لقد أنقذنا شعبك من لعنة أكلت أرواحهم لقرون، وأعدنا لكم أجسادكم. الآن نطلب منك أن تمنحنا الفرصة لنفعل الشيء ذاته لغيركم. المفتاح أمانة نعم... لكنه أمانة من أجل الحياة، لا من أجل أن يصدأ في جيبك.

أوما ليث مؤيداً:

_ نحن لسنا ظامعين في أرضكم ولا سلطتكم. نحن نحمل رسالة وأنت جزء من تحقيقها.

ظل نيكولا صامتاً للحظات ، ثم أشار إلى أحد الحراس. بعد قليل عاد يحمل صندوقاً ذهبياً مرصعاً بالجواهر، اقترب نيكولا منه، ونفخ على غطاءه، فافتح الصندوق ببطء كاشفاً عن مفتاح ذهبي لامع وورقة جلدية قديمة.

أمسك بالمفتاح، وتقدم نحو هاتور:

_ ابنة تهان أعطيك المفتاح، وأعطيك معه أمانة هذا العالم العبور ليس مجرد خطوة، بل عهد قد لا تعودون منه فكوني على قدر ما ورثت.

مدت هاتور يدها، وتناولت المفتاح، ثم رفعت الورقة التي كانت في الصندوق وقرأت بصوت مهيب:

_ من العدم أتينا وإلى الأجل سنذهب دعنا نتذكر... فالهدف ألا ننسى.

اتجهت نحو الباب وضعت المفتاح في القفل، وبدأت تديره. اهتزت الأرض وتمواج الهواء ثم انفتح الباب ببطء كاشفاً عن ضباب كثيف يخفي خلفه عالماً غريب الملامح.

وقف نيكولا يودعهم :

_ وداعاً يا أصدقاء... أعيدوا للعوالم ما فقدته.

ومع عبورهم البوابة، انغلق الباب خلفهم، وابتلعهم عالم جديد... حيث النسيان سيد المكان.

الفصل التاسع: قل لي من انا

انتظر نعم أنت ما هو اسمك؟

سأل القارئ بصوت رتيب، غير مكترث لعمق السؤال:

_اسمي؟؟

_نعم اسمك يا فتى هل تغفل عنه؟ ... جاء الرد بمزيد من التحدي والدهشة:

لا، لا أغفل ولكن من سهولة سؤالك أكاد أشفق عليك... لكن هل تريد معرفته لمناداتي، أم مصاحبتي؟

_أنا لا أريد معرفته لهذا ولا لهذا.

_إذاً لما تريده؟ لن ينفعك معرفته.

أجاب الكاتب بنبرة غامضة، قد اختلط فيها الفكر بالإحساس وقال:

_أريد أن أعرفه لكي أذكرك به إن نسيته.

في عالم لا يشبه أي عالم، عالم تتشابك فيه الأفكار حتى تفقد ملامحها، وتتبدل الأدوار حتى يحتل الغرباء عروشاً ليست لهم وكأنهم خلقوا لها. هنا تُسلب منك ذاكرتك كما تُسلب الأرض من جذورها، وتُزرع فيك أفكار ليست لك فتتحرك كما لو كنت دميمة في لعبة لا تُبصر قواعدها، لعبة لا تعرف إن كنت فيها لاعباً... أم مجرد حجر على رقعة غامضة.

سأل مصطفى، وقد بدت على وجهه ملامح الحيرة العميقة:

_ أين نحن؟ ولماذا كل شيء حولي معكوس ما هذا!! انظروا، هناك حيوانات تسير إلى الوراء، وكأنهم لا يعلمون حتى كيف يمشون!

أجابت هاتور وعيناها تلمعان بحيرة متشابكة مع الحيرة التي تغمر الجميع:

_ أنا... لا أذكر أنني وطنت هذا المكان من قبل أو ربما فعلت... لكن الأفكار تتساقط من رأسي مثل رمال تجرفها أمواج البحر بعيداً عن الشاطئ.

ثم أضافت بصوت منخفض كأنها تخاطب نفسها قبل أن تخاطب الآخرين:

_ هل يعقل أننا في عالم النسيان؟ كل شيء يتلاشى وكأنه لم يكن.

حمزة، وقد بدأ يشك في كل شيء حوله، سأل بحذر:

_ ما هذا العالم؟ هل نحن في مكان حقيقي أم في مجرد وهم؟

هاتور:

_ أنت تكون أنت، ثم بعد ذلك تصبح هو.

ليث، وقد شعر بأن الأجوبة بدأت تخرج عن نطاق الواقع الملموس، رد مستنكرًا:

_ هذا الكلام لا ينطبق على أي واقع لا أستطيع استيعاب ما تقصدين.

هاتور بابتسامة غامضة قالت ببساطة:

_ ومن قال إننا في واقع؟ الواقع هو ما نختبره، وما ندركه... ولكن هل نحن مدركون بما فيه الكفاية هنا؟

زيدان، وقد بدأ ينسى نفسه تحت تأثير هذا العالم الغريب، قال بصوت هادئ:

_ تقولين أننا في عالم السلان!

هاتور وقد نسيت نفسها تمامًا في هذا الارتباك ردت بعجلة:

_ لا هل نسيت ما قلت؟ نحن في عالم اليسان.

حمزة، وقد شعر بأن هناك شيئًا خاطئًا في كل ما حوله، قال بنبرة غاضبة:

_ وجدان؟ أي وجدان؟ ومن أنتم أيها الغرباء؟ هل التقينا من قبل؟ أشعر وكأنني أعرفكم.

ليث، وقد طغت عليه شكوكه، قال وهو يغادر المكان:

_ شعور كاذب أنا لا أريد أن أبقى مع غرباء.

مصطفى، وقد أدرك أن الأسئلة لا تحمل إجابة هنا، قال بحزم:

_ لنبحث عن شخص يقول لنا من نحن.

حمزة، وقد ضاق ذرعاً:

_ ابحثوا بمفردكم أنا ذاهب لا يمكنني البقاء في مكانٍ لا احد يعرف من هو .

التفت مصطفى الي زيدان وقال:

_ لم يتبق سوى نحن فلنسال تلك المرأة ، ربما تملك بعض الإجابات.

اقترب مصطفى بخطوات بطيئة من هاتور وسألها بحذر:

_ يا سيدتي، نعم أنتِ، هل تعرفين من نحن؟

أجابت هاتور، بنبرة غريبة مليئة باللامبالاة:

_ هل أنتم حمقى؟ ما هذا السؤال لا اعرف ولا أريد أن أعرف.

تحركت هاتور مبتعدة بعد أن تركت مصطفى وزيدان خلفها

زيدان كان يراقبها عن كثب فجأة بدأ يشعر بشيء غريب في قلبه:

_ إذا لم أكن أعرفها، لماذا تتسارع دقات قلبي وهي تبتعد؟

غضب مصطفى، وقال

_ لن أبقى هنا بعد الآن .

تفرقت الطرق بينهم، وكل واحد منهم اتخذ سبيلاً يظنه الأقرب إلى الحقيقة، لكن الحقيقة كانت بعيدة، بعيدة حدّ أن كل خطوة نحوها لم تكن إلا اقتراباً من الضياع.

الساعات تمضي بطيئة، والشمس تزحف نحو الأفق حتى صارت قرصاً أحمر يذوب في الضباب، والأرض حولهم بلا معالم واضحة، لا صخور تشير إلى اتجاه، ولا أشجار تمنح ظللاً. أما السماء، فمشوشة، كأن وشاحاً من الرماد يغطيها، والهواء ثقيل، يثقل معه القلب والعقل. كان العالم كله غريباً، متقلّباً، بلا يقين، كرحلة لا يعرف أحد متى تنتهي... أو إن كانت تنتهي أصلاً.

كان مصطفى قد أنهكه المسير، وقد أكل التعب من قدميه حتى شعر أن العظام تصطك تحت جلده. جلس على صخرة كبيرة، أسند مرفقه إلى ركبته، ووضع يده اليمنى على جبهته يستظل بها من وهج الغروب،

وهو يحدق إلى الأفق بعينين متعبتين. هناك وسط الضباب الملون بالحمرة، لمح شيئاً يتحرك... لا بل شخصين.

كانا يقتربان بثبات، يطان الأرض بخطوات واثقة، وكأنهما يعرفان الطريق وسط هذا التيه. يرتدي كل منهما سروالاً فضياً، وقميصاً أسود يصل إلى أسفل الركبة، تتدلى على خصريهما جرابات للسيوف، والعمامات فوق رأسيهما تتمايل مع كل هبة ريح، فتلمع خيوطها مع خفوت الضوء.

وحين صارا على مسافة قريبة، توقف أحدهما فجأة، وحدق في مصطفى وكأنه رأى طيفاً، ثم قال بنبرة تحمل الدهشة والتبجيل معاً:

لماذا أنت هنا يا جلالة الملك؟ لقد تعبت الخيول وهي تجر العربات التي تبحث عنك. الشعب في حيرة والعيون تبكي ليل نهار في انتظار عودتك. قلوبنا جفت وأراضينا غزاها الأعراب قطاع الطرق يتجولون بلا رادع، والشر يخرج من الأرض ليملاً قلوبنا خوفاً. النفوس ترتعد، وفزع الأطفال يملأ الأرجاء. لقد فاض الكيل واختل الميزان وجميع يتساءل... أين المفر؟

لم يستطع مصطفى الرد فوراً بقي صامتاً، كأن الكلمات هربت منه، ثم قال بصوت متردد وفي عينيه ارتباك عميق:

لست أنا من تقصدون... انظروا إلى ملابسي... هل هذه ملابس ملك؟

اقترب الغريب خطوة أخرى، وعيناه تبحثان في ملامح مصطفى عن شيء يعرفه ثم قال :

_ إن لم تكن الملك... فمن أنت؟

ابتلع مصطفى ريقه، وشعر أن قلبه يضرب صدره بعنف، ثم همس وكأنه يعترف بخطيئة:

_ لا أعلم... أنا... لا أعرف من أنا.

ارتسمت على وجه الغريب ابتسامة غامضة، ومال برأسه قليلاً وهو يقول :

_ إذا كنت لا تتذكر... دعني أذكرك.

صمت لحظة، ثم نطق بالكلمات التي جمدت الدم في عروق مصطفى:

_ أنت الملك... الملك الذي فقد ذاكرته.

سأل بصوت بالكاد خرج من حلقه:

إن كنتُ الملك... فما اسمي؟

اقترب الغريب أكثر، حتى صار ظلّه يغطي وجه مصطفى، ثم أجاب بثبات:

_ تدعى الملك منسي ملك مملكة المنسيين.

ضحك مصطفى بمرارة وقال وكأن الكلمات لا تكاد تلامس عقله:

_ منسي؟ هل هذا اسمي أم صفتي؟

فجأة قام من مكانه متناقل الخطوات، والقلق يعصر صدره كقبضة باردة لم تكن لديه القوة ليقول لا ولا حتى الشجاعة ليفلت من قبضتهما كل ما استطاعة هو أن يسير معهما، كأن قدميه تتحركان بإرادة غير إرادته. كان كل شيء حوله بلا منطق، والضيق يتكاثر في داخله مع كل خطوة يخطوها.

لمح بعينه عربه لم يرها منذ قليل وكأنها انبثقت من العدم ركبها مع الرجلين عجالاتها العريضة تصطك على الطريق، وخيولها تتقدم بنفسي حار وبخار يتطاير من أفواهها. كانت العربة تشبه العربات المنقوشة على جدران المعابد الفرعونية، كأنها جاءت من زمن آخر لتحمله شعر وكأنه عالق بين التاريخ والحاضر، بين أرض يعرفها وعالم لا يعرفه.

تقدمت العربة نحو جدار شاهق يطوق مملكة عظيمة، جدار كأنه يريد أن يبتلع ما في داخله ويعزلها عن الكون. وعندما لاحت البوابة أمامهم، صاح أحد الرجلين بصوت يججلج:

_ افتحوا البوابة لقد أحضرنا الملك!

تصدعت لحظة الصمت، وفتحت البوابة ببطء، ليندفع منها نور غريب، كأنهم يخطون من عالم إلى آخر. وما إن دخلوا حتى انكشفت أمامه شوارع وأسواق متراسة الألوان، بيوت وقصور متقنة، كل شيء منظم لدرجة غير طبيعية، وكأنه حلم مُصاغ بدقة، أو فحّ مُحكم.

كان جمال المكان خانقًا، نظافته المطلقة تُربكه بدل أن تريحه. عيون الناس تتجه نحوه، صفوفهم مصطفة على جانبي الطريق، يهتفون بصوت واحد لا يتغير ولا يلين:

يعيش الملك منسي.

الهدف كان كالمطرقة، تضرب داخله وتزيد من ضياعه اقترب منه الحارس المرافق وهمس بهدوء :

_ يجب عليك أن تحيي شعبك، يا جلالة الملك.

رفع مصطفى يده ببطء، كمن يختبر واقعًا لا يصدّقه، فتضاعفت صيحات الناس كان المشهد أكبر من استيعابه، لكن إحساسًا آخر بدأ يتسرب إلى أعماقه؛ إحساس غريب بالسلطة، بالانتماء، وكان هذا العرش له منذ الأزل.

فأشار بيده مرة أخرى، وقتها خيم الصمت التام وقال :

شعبي العزيز، جئت إليكم بعد مشقة عظيمة، ربما لا أتذكر بعض التفاصيل من رحلتي الطويلة، ولكنني أعددكم أنني سأضرب بيد من حديد على كل من يخرق القانون. ومن يروع شعبنا العزيز فليتحمل العواقب.

تسارعت الهتافات أكثر من ذي قبل، وارتفعت في الهواء حتى بدا وكأنها تلامس السحاب. كانت تلك الأصوات أشبه بوعود تُنقش في الفضاء، وكأنها وعودٌ قادرة على تغيير مسار التاريخ التفت الشخص الذي بجانبه، وابتسم ابتسامة عريضة، كأنه كان ينتظر هذه اللحظة بالذات، اللحظة التي جعلت مصطفى يصدق أنه الملك.

دخل القصر، فتاه عقله للحظات أمام ما رآه فخامة لا تُوصف، رقيٌّ لا يُصدَّق واتساع فاحش كانت التفاصيل الدقيقة تزين المعمار من الداخل والخارج جدران مرصعة، نوافذ عالية، وأرضيات تعكس الأضواء كالمرآيا. الغرف تتعاقب والسلام ترتفع بهدوء نحو العرش في البداية شعر براحة غريبة، لكن تلك الراحة سرعان ما انقلبت إلى تكتل من الأسنلة العالقة، أسنلة تحاول الهروب، لكنها لا تجد منفذاً.

توقف ونظر إلى الرجل بجانبه قائلاً:

– أنت تتابعني من البداية، ولكن لم تخبرني من أنت؟

أجاب الرجل بهدوء وسكينة:

– اسمي مصطفى، وزيرك يا مولاي.

ارتبك الملك المزعوم وسأل مستغرباً:

– هل هذا اسمك؟

– نعم يا مولاي.

تأمل مصطفى ملامحه طويلاً ثم قال:

– أشعر أن هذا الاسم قريب جداً مني.

ابتسم الوزير ابتسامة غامضة وقال:

– مولاي قرب اسمي منك ليس محض صدفة. أنا لا أفارقك ولهذا تشعر

أن الاسم يتردد في أعماقك.

أطرق مصطفى قليلاً قبل أن يجيب بصوت هادئ:

– نعم... قد يكون ذلك صحيحاً.

قاد الوزير الملك المزعوم إلى غرفة الملابس الملكية، حيث ألبسه ثياباً

فاخرة بنطالاً وقميصاً طويلاً يصل حتى قدميه، ثم وشاحاً ذهبياً مرصعاً

بالألماس وأخيراً، وضع التاج على رأسه. وقف مصطفى أمام المرأة

يتأمل انعكاسه تنتقل عيناه ببطء على ملامحه، وكان شخصية جديدة

تولد أمامه.

ابتسم بغرور، وهو يحدق في صورته بنشوة:

– هل هذا أنا؟ ما هذا الجمال! أكاد لا أصدق نفسي. أنا الحاكم ذو السلطان، أنا الأمر، أنا الناهي. أنا من علوت في الآفاق نظرت تحت قدمي فوجدت السحاب يحملني، ونظرت فوق السماء فلم أجد من يعلو عني.

وقتها ابتسم الوزير ابتسامة غريبة من خلفه. كانت ابتسامة ممدودة أكثر مما ينبغي وفي لحظة، انزلقت الملامح المصطنعة عن وجه الوزير، كأنها قشرة تتفتت، عيناه اشتعلتا بجمرة متوهجة، وظهر رأسه أصلع كأنه يبتلع الضوء، أذناه عريضتان ومشوهتان عند الحواف، ومن ذقنه نبتت سبعة أشواك غير متناسقة، رقبتة تحمل عظمتين بارزتين كقوس مائل نحو الترقوة، ولسانه منقسم إلى شطرين يتحركان ببطء.

لكن مصطفى لم ير شيئاً... كان غارقاً في صورته، يمرر نظراته على ثوبه الملكي، وعلى التاج الذي يلمع فوق رأسه.

خرج السؤال من فمه في شرود:

_ماذا سنفعل بعد ذلك، يا وزير؟

في تلك اللحظة، كانت ملامح الوزير قد عادت كما كانت، وجه هادئ مطمئن، ابتسامة مطموسة الخطر. تقدم خطوة وقال بصوت هادئ كالماء الراكد:

_ تجلس على عرشك، تأمر جندك بقتل قطاع الطرق، تستقبل الشكاوى، تنظم الحفلات... وبالطبع تقيم العدل.

وبعد ان انتهى من تجهيز نفسه دلف إلى قاعة الحكم الواسعة، تخطى السلام الفاخرة بخطوات واثقة ثم جلس على العرش كأنه يحيا حلمًا، الأضواء تتراقص حوله، وثقل التاج على رأسه يذكره بأن عليه أن يتصرف كملك.

في تلك اللحظة، دخل أحد الحراس بصوت رسمي صارم:

_ مولاي الملك تم القبض على القاضي الخائن 'نسين' وهو في الخارج مكبل بالأصفاد.

اشار الوزير وقال:

_ ادخله فورًا.

دخل رجلٌ بملابس ممزقة، مكبل اليدين، حافي القدمين وجهه شاحب، لم يكد مصطفى يراه حتى شعر بوخزة في ذاكرته كأن بابًا مغلقًا بدأ يُفتح ببطء.

نهض من على العرش، عينيه تتسعان، وقلبه يخفق بعنف اقترب خطوة ثم قال بصوت مرتجف:

_أعرفك... أنت ذاك الرجل الذي رأيته حين كنت لا أعلم من أكون... وأنكر معرفتي.

هنا انكشفت الحقيقة المروعة فهذا الرجل لم يكن سوى حمزة... صديقه الضائع في غياهب عالم النسيان ذلك العالم الذي يبتلع الذكريات، ويمحو الوجوه من الذاكرة، حتى يغدو أصحابها غرباء لا يعترف بهم أحد.

الفصل: العاشر الملك المصطنع

لا تناديني باسمي وأخبرني من أكون، نحن في عالم باهت تنتهش النفس كما لو كانت لا تحمل القيمة التي تجعلها في هذا الجسد، يخرج الإنسان على فطرته فيتأثر بطباع من حوله، ويلج البعض بنشر فكرة مصطنعة من تكبر وعدم اتزان.

نظر مصطفى إلى حمزة وقال:

_لماذا لم تناديني باسمي وتخبرني من أكون حينها؟

رد حمزة بصوتٍ غامض:

_ كيف لي أن أكون ما ليس لي وأعرف من أنت؟

أردف الوزير بلهجة حادة :

_ ألا تعلم عقوبة إنكار الملك؟

قال حمزة:

_ كيف لي أن أعرف أحدًا لا أتذكره؟ إن كنت لا أعرف من أنا، فكيف لي أن أعرف من هو، تراني أنت فأكون أنا وتراني أنا فأكون أنت.

تململ مصطفى في مكانه، وارتسم الارتباك على وجهه، ثم قال بصوت مرتجف:

_ أنا لا أفهم ما تقول، فسر لي أيها القاضي.

ابتسم حمزة ابتسامة حزين، ثم تابع:

_ إنني لا أعلم من أنت، أو هو، أو حتى لا أعلم من أنا فكيف يمكنني أن أكون جزءًا من هذا العالم إذا كانت الذكريات قد ضاعت مني؟

صمت مصطفى للحظة، ثم نظر إلى الوزير بجدية:

_ يا وزيرى ماذا فعل القاضى حتى يُكبل؟ إن كان لا يتذكرنى فأنالِم أتذكر من أنا. هو تعرض لما تعرضت له، فلماذا يختلف مصيره؟

تجمدت ملامح الوزير، وانتفخت أوداجه كما لو أن النار قد اشتعلت داخله ثم رد بمرارة:

_ هذا الخائن وجدناه مع زوجتك فى الفراش! وأنت حكمت عليه بالإعدام، وعندما اقتربنا من تنفيذ الحكم تآمر مع السجنان، وفر هاربًا مع الخائنة.

سارعت الدماء إلى وجه مصطفى وهو ينهض فجأة من على عرشه. واتسعت عيناه دهشة، ثم غطتها غيمة من الغضب العارم:

_ كيف تجرات أيها الخائن الوضيع ... قال بصوت متقطع، يطاء الأرض بتسارع، كأنه يحاول إخراج غضبه فى كل خطوة.

_ على تلطىخ ثوبى تالله لأقتلنك فى ساحة المملكة لتكون عبرة لأمثالك، ولمن تبقى من شرذمة شعب المنسيين.

لكن حمزة، رغم تلك الاتهامات التى تتساقط عليه كالرصاصات، لم يكن لديه ما يدافع به سوى صمته وهدوئه. رد بصوت بارد:

_ أنا لا أتذكر شيئاً فكيف تقذفني بالزاني وأنت تعرف أنني لا أملك عقلي لرد عليك؟ ولكن إن كنت لا أتذكر، فأخلاقى تتذكرنى، وأسلوبى يخبرنى وأقسم لك أنا لم أفعل شيئاً كهذا.

مصطفى كان يلهث، قلبه ينبض بسرعة لا تعرف التوقف، بينما الوزير كان يراقب بحذر، كأنه يراقب لعبة شطرنج باردة، حيث لا أحد يعلم ما ستكون الخطوة التالية، لكن رده جاء مفاجئاً:

_ لماذا كنت تهرب إذا؟؟؟

أجاب حمزة : _مولاي لما تلك الأسئلة؟ قلت لك أنا لا أتذكر!

قرر مصطفى أن يضع حداً لهذا الجدل الذي لا طائل منه، صرح بقرار حاسم، :

_ الفعل فعل وإن كنت تجهله والجهل فعل وإن كنت لا تعلمه، حكمى نافذ... ثم نادى بصوت مرتفع، يملؤه الحزم: يا حراس.

أجاب الحراس فى ذات اللحظة : _ نعم يا سيدى.

أردف وهو يشير إلى حمزة:

_ضعوا الفاضى نسين فى الحجز، سيتم تنفيذ حكم الإعدام غداً.

ثم التفت برأسه إلى الوزير الذي كان يقف بجانبه، قائلاً له بصوت منخفض ولكنه مليء بالسلطة:

_وأين زوجتي ، أريد رؤيتها.

نظر الوزير الخبيث إلى الحارس، وأشار له بعينه، ففهم الحارس الإشارة على الفور وبعد لحظات دخلت هاتور، مكبلة هي الأخرى.

قال الوزير ببرود:

_ها هي زوجتك ناسينه، الزوجة الخائنة.

مصطفى لم يتوانَ في مواجهتها، وقال لها بغضب:

_أنتِ تلك المرأة التي رأيتك هناك مع القاضي، وعندما سألتك من أنا، فررتِ ولم تجيبي! هذه التهمة لم تُوجه لك عن ظلم، قُلتِ هذا لأنكما كنتما تحاولان الهرب معاً.

أجابته هاتور، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة ساخرة:

اصمت أيها الأحمق أهرب من مَنْ؟ منك أنت؟ أنا لا يمكن أن أتزوجك. ترى نفسك يتحكم بك الوزير كما لو كنت دمية بين يديه يقول زوجتك خائنة إذاً زوجتي خائنة، يقول الوزير خائن إذاً الوزير خائن. أنا لا

أتذكر من أنا ولا كيف أنا هنا، لكن ما أراه أنك لا تقيم العدل. هل فكرت في عرضي أو عرض القاضي؟ من يحكم فيما تقول؟

نظر مصطفى إليها، وكان في عينيه بريق من الشك، ثم تمعن في حديثها لبرهة قبل أن يقول، وهو يوجه كلامه إلى الوزير:

_ أيها الوزير، ماذا تقول في قولها؟

أجاب الوزير دون تردد، :

_ القضاء يرجع إلى الحاكم، وخصوصاً إن كان المتهم هو القاضي بعينه. ثم تلا حديثه مُكملاً بصوت أكثر حدة:

_ هل تحصل الزانية على حكم سوى الموت؟ وإن كانت ملكة بالفعل، فما هو الحكم بعد أن أضاعت شرف المملكة، وليس شرف الملك فحسب.

التفت مصطفى نحو هاتور، كان يشعر بشيءٍ داخله يتأجج شيء غريب يدفعه للغضب. الغيرة تتسلل إليه كما لو كانت تهز قلبه

_ هل تدنّي حالي حتى تخونني زوجتي؟ هل أتركها؟ لا لن أفعل ثم تكلم بصوت عميق مشبع بالألم:

_ خذوها من أمامي... حكمي هو الإعدام بالمقصلة.

قال الوزير وهو يتابع هاتور تجر خارج القاعة وقد تلاعبت على شفتيه نعمة من الإعجاب :

_عين الصواب يا مولاي أنت بهذا ستعلي شأنك، وتخبر العالم أجمع، من جاء فوق طريقك فليستحق ما سيلقاه.

مصطفى بعد وقت طويل من جلوسه على العرش، وقد اختلطت أفكار السلطة ورفعتها في عقله:

_يا وزيرى، أريد أن أرى شعبي.

الوزير يراقب الملك بعينين ملينتين بالفخر والمكر، وأجاب بصوت هادئ، يشوبه شيء من التوجس:

_بالطبع يا مولاي، سأتولى الأمر.

أخذ الملك معه في جولة تجول بين أزقة المدينة الضيقة، يتبعهم أربعة من الحراس الذين يحمونهم كظلهم. كان السوق يعج بالحركة، الأصوات تتداخل، البائعون يصرخون لعرض بضائعهم والمشترون يتساومون في الأسعار.

بينما كانوا يمشون وسط تلك الفوضى، جذب انتباههم صخب بعيد. اقتربوا ليجدوا مشهداً يعكر صفو السوق، بائع ينتشجر مع أحد الزبائن، وكأن كل واحد منهما يتهم الآخر بخيانة.

نظر مصطفى إلى المشتري وفي وجهه شيء من الاستياء

_ لماذا أنت غضب؟

رفع المشتري عينيه ورأسه يكاد ينفجر من الغضب ثم قال:

_ كيف لا أغضب يا مولاي؟ التفاح يباع بنصف بانكور، وهذا الرجل

يعرضه بسعر بانكور كامل. كيف يمكن لهذا أن يكون عدلاً؟

قال مصطفى بصوت يملؤه تساؤل: ما حكم هذا؟

ابتسم الوزير ابتسامة خفية، و أجاب في برود:

_ ما يحكم به الملك هو عبرة للعامة، فتصرفاته هي المقياس.

رمى مصطفى البائع بنظرة نارية، وكان السخط يخرج من عينيه، ثم نظر إلى أحد الحراس خلفه، وأشار له بإشارة سريعة سحب الحارس سيفه في لمح البصر، وما إن رفعه حتى كان مصطفى قد أمره، وفي لحظة، كان السيف قد طار في الهواء ليضرب عنق البائع، فتساقطت رأسه على الأرض، تتدحرج في صمت مفرع، والدماء تتناثر حولها كأنها لوحة من العنف.

بعدها وضع مصطفى قدمه اليمنى على جثة البائع، والدماء مازالت تخرج كالنافورة ، وقال بصوت لا يعلو عليه:

لم يعد وقت النعاس عن تلك الأفعال، لم يعد وقت النهب، لم يعد وقت الظلم والجور، هذا هو وقت العدل، من خالف خالفناه، ومن جاوز حدوده قتلناه. عينا على كل واحد منكم، أفعالكم تحدد مصيركم.

الوزير خلفه، يستمتع بكل كلمة ينطق بها مصطفى، ويراقب ردود أفعاله بدقة، وتلك الابتسامة الخبيثة لا تفارق شفثيه. كانت تلك الأفعال التي يقوم بها مصطفى هي بمثابة طاقة غير مرئية تغذي في ذاته روح القسوة، وتزيد الوزير قوة على قوة.

كان زيدان يقف في تلك الأثناء في أحد أركان السوق، يشتري رغيف خبز. لكنه لا يمتلك المال فطلب من البائع أن يعطف عليه ويعطيه خبزاً ولحسن حظه، كان ذلك البائع كريم فرحب البائع أعطاه الخبز مطلبه.

بعد أن أخذ الرغيف دفعه إلى حقيبته. تأمله البائع وسأله:

من أنت أيها الغريب؟

لم يجب فأردف بنبرة مترددة:

كما تريد، لا تجيب.

استدار زيدان سائلاً:

من هو هذا الحاكم الذي قتل رجلاً لأنه خالف السعر؟

أجاب البائع بحذر شديد:

_ابتعد عن هذا الحديث و لا تسأل.

عقد حاجبيه وقال بتعجب: _لماذا لا أستطيع السؤال؟ ماذا يحدث هنا؟

أجاب وهو يغمز بعينه باتجاه الحراس الذين كانوا يراقبون عن كثب:

_لكي لا يقتلوك

قال زيدان بصوت يملؤه القلق: _أجهل من أنا أليس هذا قتل ، أخبرني

ماذا يحدث فر بما أتذكر شيئاً.

أخذ البائع نفساً طويلاً وكان تلك الكلمات التي على وشك أن يقولها هي

آخر ما قد يبوح به، نظر إلى زيدان بنظرة مليئة بالحزن، وبدأ في

الكلام بصوتٍ منخفض :

_حسناً، بما أنك مصمم على معرفة الحقيقة، سأخبرك بما يحدث لكن لا

تنتظر مني أن أكرر ما سأقوله، الذي رأيته ليس الحاكم، الحاكم

الحقيقي حُبس في سجن الدولة المنسية، تحت الأرض حيث لا يستطيع

أحد أن يراه أو يذكره.

انطلق سؤال زيدان بحيرة أعمق: الدولة المنسية؟ لماذا هذا الاسم؟

أجاب البائع بنبرة ثقيلة:

_ الدولة المنسية... لأن الجميع هنا قد نسوا كل شيء فلا أحد يعرف شيئاً عن ماضيه كان ذلك عندما دخل وحش غريب إلى هذه المملكة منذ مئات السنين، وحينها بدأ يأكل الأفكار والذكريات من عقولنا. جعل الجميع يجهل من يكون، وفجأة أصبح هو الملك في أعيننا، وكل من خالفه أو اعترض على حكمه كان يُقتل.

أكمل وهو يلتفت حوله بحذر:

_ حتى تبدل حاله وأصبح في كل فترة، يحضر شخص ويوليه علينا ملك، ونحن نبايعه في طقس غريب، وإذا لم نفعل قتلنا جميعاً وفي اليوم السابع والعشرين من كل شهر، يظهر هذا الملك الذي صنعه الوحش في الساحة العظيمة حيث تُنفذ الأحكام هناك يتجمع الناس لكنهم في حالة غيبوبة عقلية، لا يشعرون بشيء. ثم في منتصف الليل يضع الوحش هذا الملك المدعي في وسط دائرة حجرية مزخرفة بمتلثات معكوسة، وايضاً يتم وضع خمسة من الرجال المغيبين على خطوط هذه الدائرة، وبعدها يرجع الوحش إلي هيئته الحقيقية. وعندما يأتي ضوء القمر على منطقة محددة في الدائرة يتحرك الحجر ويقطع أصابع أقدام الرجال المغيبين، ثم تخرج خراطيم لزجة تقوم بشفط دماهم. فتملئ نقوش الدائرة بالدم ثم يقطع الوحش رؤوسهم، ويستخرج عقولهم بعد أن امتص كل دماهم، ويجبر الملك المصطنع اكلها وبعدها، ينقض على جثمان الملك ويبتلعه كله دفعة واحدة، من رأسه إلى قدميه.

صمت الرجل للحظة، ثم همس بصوت يضح بالفرع:

وفي تلك اللحظة تصبح قوته أكبر من أي وقت مضى فهذا الطقس يمنحه قوة ألف رجل. وكل ذلك يحدث في صمت تام، وفي غفلة من الجميع.

حدق في البائع كأنما لا يصدق ما يسمع فعقله يعجز عن استيعاب تلك الحقائق المروعة ثم انفجر قائلاً:

_ لماذا لا يأكل هو تلك العقول بدل أن يصنع ملك ويطعمه إياها؟؟

أجاب البائع مهمماً :

_ لا يحصل على القوة إلا من خلال شخص بث فيه التكبر، والظلم والجور على الغير فهو يبث في الملك الذي يصنعه تلك الصفات، وكلما ازداد الشخص بغضاً واستكباراً، زادت فرصة الوحش في امتلاك القوة. الحقيقة أن هذه المملكة تدعى 'مملكة قدوان' كان يحكمها الملك 'باندين القادون'، لكن الوحش حبسه تحت الأرض ولا أعلم إن كان قد قتله أم أنه لا يزال على قيد الحياة.

سأل زيدان:

_ كيف تعرف كل هذا؟ ولماذا لم تنس مثل الآخرين؟

أجاب البائع وهو يمسك بقطعة معدنية صغيرة في يده، ثم أظهرها لزيدان:

_ هذه القطعة التي في يدي من صنع أفراد الجن العظام من ارض حيدر تمنع أي أحد من العبث في عقلي أو مسح ذاكرتي.

قال زيدان :

_ إن كانت تلك القطعة تمنعك من النسيان فلماذا لم تخبر الجميع بالحقيقة؟

رد البائع بصوت ضعيف يملؤه الحزن :

_ لقد بئست كل يوم أخبرهم بالحقيقة، ولكنهم في اليوم التالي لا يتذكرون ما قلته فأكون حينها بين ضفاف مصفص، أختبئ من عقلي، كما لو كنت مفقود الهوية، تعلم ما هو أصعب من النسيان؟ أن تتذكر من أنت في مجتمع يجهلك... أنا أريد أن أصبح مثلهم أن أنسى كل شيء.

قال زيدان :

_ أنت المستقيم هنا يا أخي، إن تنازلت عما تعرفه فمن يخبر الناس بعدك؟

رد البائع :

_ ما الفائدة إذا كنت أخالف، وأقول وهم لا يتذكرون... لا شيء سيتغير.

رفع البائع رأسه إلى السماء، وكان روحًا مظلمة تخرج من أعماقه، وقال في نبرة محطمة:

_ لماذا قُتل بائع التفاح وهو من أمره أن يبيع التفاح ببانكور، حتى أنه لم يُمنح حق الرد، لأنه نسي ان الحراس امروه بذلك.

ثم وضع البائع القطعة المعدنية في يد زيدان، وقال بصوت منخفض:
_ خذها لا أريدها أريد أن اصبح مثل الجميع ، ولكن نادني باسمي مرة واحدة أن تذهب وقل قاعد أريد أن أسمع هذا قبل أن أنسى.

أخذ زيدان القطعة من يده في حزن وقال: سأفعل كل ما بوسعي يا قاعد.

مسح البائع دموعه، ثم نظر إلى زيدان بتعجب، وكان شيئًا غريبًا بدأ يتشكل في ذهنه: من أنت يا رجل؟

رد زيدان مبتسمًا : _ أنا قاعد.

ثم تركه وهو يشعر بحزن عميق على ما مر به البائع وبينما كان يمشي، أخرج القطعة المعدنية من جيبه ليتفقدتها وفجأة تذكر كل شيء. وعلم في تلك اللحظة أن الشخص الذي يقولون أنه الملك هو مصطفى.

التفت عندما سمع صوت المنادي في الأفق يقول:

_ الزاني والزانية يُقتلان بحكم الحاكم منسي.

هرع زيدان وتساءل في نفسه بقلق: _ من الذي حكم عليه مصطفى بالإعدام؟

استمر في التجوال بين شوارع المملكة المنسية، وهو يتفقد وجوه الناس المغيبة وفجأة، وقع بصره على "ليث" الذي كان يجلس واضعاً يده على رأسه، في حالة من اليأس الواضح.

قال زيدان بصوت مليء بالحزن: _ أخي، ليث!

أجاب ليث بتساؤل:

_ من تقصد؟ أنا!!!

قال زيدان وهو يقترب منه، يمد يده إليه:

_ نعم .

سأل ليث : _ هل تعرفني حقاً؟

ابتسم وقال: _ نعم أعرفك أنت صاحبي ونحن من بلدة واحدة كلا منا خرج لينقذ أهله، وكلانا تحملنا الهم والحزن معاً نحن أبناء العاقير، نحن أعداء النداهة.

الفصل الحادي عشر: تذكرت اسمي

في غرفة مظلمة تتلألأ فيها أضواء خافتة يستلقي مصطفى على سرير مصنوع من الذهب ومزود بفرش من الحرير، محاطًا بوسائد دافئة. بينما كان يغمره النعاس ويتوجه نحو عالم الأحلام، سمع همسًا من حوله يقول أخاف يا أبي من الموت. وأضاف بصوتٍ مرتجف ماذا لو جاءت النداهة؟ أخاف أن تقتلني.

تعرق على سريره وأخذ يتقلب يمينًا ويسارًا، وملامح وجهه تعكس معاناته. تحول لون وجهه إلى الأحمر. ثم نهض فجأة، محدثًا صرخة عالية :

_بثينة لن تموتي، لا.

جلس على حافة السرير، وقدماه متخاذلتان على الأرض ولا تزال آثار العرق تتلألأ على جبينه بينما يتنفس بصعوبة تحدث بصوت منخفض: _من هي التي ظهرت في حلمي؟ أشعر بارتباط عميق معها، لكن لماذا كان الخوف يعترئها؟ لقد نادتنني أبي أنا لا أفهم شيئًا..

بدأت تتسلل إلى ذهنه شكوك عميقة، وما لبث أن طرح سلسلة من الأسئلة المتتابعة دون أن يجد أي إجابة.

في تلك اللحظة، سمع صوت شخص يناديه من زاوية الغرفة، حيث كان يجلس على كرسي هزاز يتأرجح ذهابًا وإيابًا، ممسكًا بيده سيجارًا. كما أن مظهره يجسد الثراء من خلال ملابسه وأزيائه الفاخرة. أخرج من

جيبه ساعة دائرية متدلّية بسلسال من الذهب، لقد كان هو الشخص نفسه الذي رآه في عالم الأموات، لكن لا تذكره. .

سأل مصطفى:

_ من أنت ولماذا تناديني بـ 'مصطفى'؟ فهذا ليس اسمي، ربما تعني وزيرِي.

أجاب الرجل قائلاً:

_ أنت الأعلم باسمك، فالأسماء تحمل معاني ودلالات عميقة، بينما تعكس العاقر هوية الوطن وفي الوقت ذاته، تظل النداهة تمثل تهديداً رئيسياً.

قال مصطفى: توقف عن الكلام الغامض وأخبرني من أنت.

أجاب الرجل قائلاً:

_ ارفع عنك غشاوة النسيان، وتذكر هويتك الحقيقية.

بأسلوب يعكس التعالي والاستخفاف، صرح مصطفى قائلاً:

_ هويتي هي مُلكي، فأنا الملك 'منسي' الذي يتولى السيادة على هذه الأراضي. وأي هوية أخرى لا تعدو كونها مجرد وهم مقارنة بهويتي

الحقيقية. انظر إلى مظهري وما أرتديه كيف يمكنني أن أكون شيئاً آخر غير ما تراه أعين الناس؟ ينبغي عليك التعامل معي وفقاً لهذه الحقيقة، وإلا فساكون مضطراً لاتخاذ تدابير صارمة تجاه سلوكك الغير مقبول.

ابتسم الرجل بامتعاض ثم استكمل حديثه قائلاً:

_ وأين بثينة مما تقول؟ هل نسيت موضوع الثأر؟

تقلص قلبه حينما سمع اسم ابنته، وتقدّم نحو الكرسي باندفاع مصحوب بالغضب، موجهاً حديثه بصوت مرتفع:

من هي بثينة؟ أجبني وإلا قتلتك من هي؟

لكن قبل أن يصل إليه، أضاء الخاتم الذي يلتف حول عنقه، ثم اختفى الرجل فجأة من أمامه.

توقف مصطفى لحظة أمام الكرسي الخالي، متأملاً ذكريات الخاتم المعلق حول عنقه. تلاشت ملامح وجهه، وأحاط به شعور من القلق وضبابية الأفكار، بينما كانت عواطفه تشتعل وكأن عقله يغلي بفوضى من المشاعر المتداخلة. في تلك اللحظة اقترب منه الوزير دون أن يشعر بوجوده، سائلاً: ما الذي يحدث يا مولاي؟

انفزع مصطفى ونظر إلى الوزير بعينين مليئتين بالشك، ثم كتم ألمه في أعماقه وأخفى الخاتم في السلسال وقال: لا شيء.

رد الوزير:

_حان الوقت لتنفيذ حكم الإعدام .

قال مصطفى بتران:

_ دعنا نذهب

تقدّم أمام الوزير لكن ملامحه تغيّرت لتعكس شعوراً بعدم الاطمئنان.

عند الساعة التاسعة صباحاً، دقت الطبول بإيقاع متسارع على اقتراب وصول الملك، فرفع أحدهم صوته قائلاً:

_ الملك منسي ملك مملكة المنسين أتى'

دخل مصطفى إلى ساحة الإعدام ليواجه مشهداً مروّعاً من الجثث المصلوبة والرؤوس المقطوعة في كل زاوية. كانت الدماء تتساقط من المقصلة، فيما كانت الغربان تنهش الجثث المعلقة وفي هذه الأجواء الكئيبة، كانت الأطراف المقطوعة تتناثر، والدماء تغطي الأرض من كل ركن في الساحة كل هذا يحدث أمام أعين الناس، دون أن يُسمع همس من أي شخص.

ابتلع مصطفى ريقه في خضم الخوف، ثم نظر إلى الحشود المتجمّعة، ورفع يده لتحتيتهم قبل أن يجلس على الكرسي بقلق.

وقف الوزير في مكانه، ورفع صوته بكل حماسة، وكأنه يتلو شعراً، محاولاً إثارة غضب مصطفى من جديد قال:

_ إن زوجة الملك منسي والوزير خانان، وقد وجدوا في وضع يُصدم له أي إنسان عادي، ناهيك عن ملك وبناءً على ذلك، قام ملك مملكة المنسين بإصدار حكم الإعدام عليهما في الساحة العظيمة، ليكونا مثلاً للخيانة التي ستظل خالدة في صفحات التاريخ. لكن التاريخ سيتذكر أيضاً أن الملك أدى واجبه، ورفع رأسه عالياً، وانتقم بأقصى درجات الانتقام.

أشار بيده اليمنى، مشيراً إلى دخول السجينين، فدخلت هاتور إلى الساحة حيث كانت حشود الشعب تتواجد. وتردد صدى أصوات المتظاهرين وهم يلقون التهم عليها وعلى الوزير، مرددين بصوت موحد:

_ الموت للخائن والخائنة.

توقف الملك ثم أشار بيده فعم الصمت بين الحضور بعد ذلك بدأ قائلاً:
_ ابدأ بالخائنة.

سُحبت هاتور نحو المقصلة ثم جثت على ركبتيها، ووضعت رأسها في أداة الإعدام رفع مصطفى يده، وقبل أن ينزلها إشارة لتنفيذ الحكم، انطلق زيدان من بين الحشود برفقة ليث قاطعاً اللحظة:

_ أوقف هذا الجنون! هل تريد حقاً أن تقتل أخاك والمرأة التي ساعدتنا؟
يا لك من أحمق، ماذا تفعل؟ انظر إلى حالك لقد خذلتني يا أخي.
خذلتني، يا أبا بثينة خذلتني يا ابن العاقير

قال مصطفى:

من أنت وما هي تلك الأسماء التي تثير تساؤلاتي قبل أن تتفوه بها؟

أجاب:

_ أنا زيدان وهذا صديقي ليث، أما من ستصدر حكمك عليهما بالإعدام فهما حمزة وهاتور.

نحن جميعاً من بلدة واحدة، خرجنا للثأر من النداهة هل نسيت؟ هل نسيت أن زوجتك درية بانتظار عودتك، وأن ابنتك رعدة تحتاج إليك؟ هل غابت عن ذاكرتك كل تلك الأمور؟

توقف مصطفى ممسكاً برأسه وهو يصرخ بصوت مدوي: ابنتي، بينما تزامن صراخه مع أنين وزفرات تعبير عن مشاعر شخص عالق عند

حافة منحدر، غير قادر على المضي قدماً أو العودة إلى الوراء. في تلك اللحظة نظر زيدان إلى هاتور، التي كانت خائفة وقال:

يا ابنة الجن هل لازالت لديك ذكريات تعيد إليك قوتك؟ أنت ابنة الملك تهان ووريثة عرش مملكة العوالم. لقد علمتني معنى الحب، وكانت عيناك تداوي جراحي ومشاعرك تخفف آلامي. أرجوك عودي إليّ فإن قلبي لا يتحمل الفراق مجدداً فأنت ملاذي وأملي، كيف يمكنك نسيان كل هذا؟ عودي إلى نفسك الماضية فلا أستطيع العيش بدونك. إذا مت سأموت من أجلك، لأنني اكون قد فقدت كل شيء .

ابتسمت هاتور لدى سماعها ما جرى، لكن الوزير انفجر غضباً وكشف النقاب عن وجهه الحقيقي .

ثم عاد إلى ظلام قلبه واستخرج من جوفه ثعابين ضخمة التفت حول زيدان وليث. ثم أشار للجندي لخفض المفصلة، فقام الحارس بتحريك ذراعه، بينما كان زيدان ينادي ويصرخ:

__ عودي إليّ.

انزلقت الآلة الحادة نحو رقبتها لكن في لحظة من التألق، تحررت هاتور من قيودها واندفعت نحو الوحش قائلة:

_ مرحبًا يا ظلاميوس لقد تذكرتك ثم نفخت في وجهه، مما جعله يسقط بفعل قوة الهواء حتى ارتطم بالجدار.

قفز ظلاميوس مظهرًا انزعاجه، وكانت ملامح وجهه تعكس الدهشة:
_ كيف استطعتِ تذكر تلك الأفكار والتخلص من تأثيرها؟ ما الذي فعلته؟

لم ترد و انطلقت مستخدمة أظافرها للدفاع عن زيدان وليث من الثعابين الملتوية حتى قامت بشقهم شقًا ثم أكدت بنبرة حازمة:
_ عندما يتوقف العقل عن التفكير يذكرك القلب بنبضه.

كانت الأحداث تتسارع وانطلق الوحش على أربع كحركة الحيوانات.

ثم فتح فمه فأطلق كميات هائلة من الذباب نحوهم بدأت هاتور تدور في حالة من الفوضى، لكنها سرعان ما وجدت نفسها محاصرة بالذباب الذي لم يتوقف عن ملاحقتها، ليتشكل في صورة قيود فضية تجمد حركتها.

قال ضاحكًا:

_ أنا أعلم جيدًا كيفية التعامل مع الجن، ومعى ما يضعفهم.

سقطت هاتور، ثم قام ظلایموس بنقلهم جميعاً إلى دائرة القرابين. خرجت سلاسل من الارض والتفت حول اقدام الخمسة وقيد ايدهم ايضاً وقال في القمر ستكونوا القرابين.

ثم تقدم ا نحو مصطفى قائلاً:

_ لم يتبق سوى بضع ساعات وستكون طعامي يا مولاي.

تجلى الضحك المدوي من مصطفى، مما جعل الوحش يتراجع خطوة إلى الوراء متسائلاً: _ ما بك؟.

توهج بريق الخاتم الذي يرتديه حتى غمر نوره المملكة بأسرها.

قال ظلایموس بخوف:

_ ما هذه القوة؟.

فأجابه مصطفى: إنه خاتم سندان ثم رفع يده بالقيود نحو السماء ونادى:

_ يا سندان أعطني سيفك.

اندلع برق أمامه ممزقاً الفضاء، وأنشأ سيفاً مفعماً بالقوة فشعر بتدفق قوة خارقة تجري في عروقه، وفي حركة خاطفة انكسرت القيود و تمكن من قطع رأس ظلایموس تدحرجت الرأس ولم تكذ الابتسامات

ترتسم على وجوههم حتى عادت رأس الوحش إلى مكانها، مما دفع مصطفى إلى قطعها مرة أخرى، ثم للمرة الثالثة وفي تلك اللحظة، انتاب الوحش شعور بالفزع وبدأ يركض مبتعداً، حتى تمكن من الانقراض على أحد أفراد شعب المملكة وابتلعه بطريقة مقلزة ليزداد قوة. وفي تلك الأثناء نادى هاتور:

_ القلب هو نقطته الضعف.

أخذ لحظة في تفكير، ثم أمسك بسيفه وألقاه نحو ظلايموس، فانغرز مباشرة في قلبه، مما أدى إلى تمزق جسده كما يتمزق الفضاء الجاف وتحطم كما يتحطم الحجر الهش حتى لفظ أنفاسه الأخيرة.

الفصل الثاني عشر: خاتم الدمار

سكنت أصوات الرياح الغربية التي كانت تحاصرهم منذ أن وطأت أقدامهم مملكة المنسيين وبدأ شيء يتغير في الهواء. كأن الغشاوة التي كانت تحجب عقولهم بدأت تتلاشى ببطء تاركَةً خلفها بريقاً من صور ووجوه وذكريات قديمة كانت مدفونة في أعماق النسيان.

تبادل أهل قدوان نظرات طويلة، نظرات لم تكن فارغة كما كانت منذ قليل بل مليئة بوهج المشاعر التي اشتعلت فجأة... نظرات حملت بين طياتها وجوه الأحبة، ضحكات الطفولة و ليالي السهر، وحتى رائحة

خبز الأمهات في الصباح كانت تلك اللحظات أشبه بانفجار داخلي للذاكرة، موجة من الصور والأصوات اجتاحت عقولهم دفعة واحدة.

وكان أحداً أزاح ستاراً ثقيلاً، وجدوا أنفسهم يقفون وسط ساحة مملكة قدوان... لا ذلك الفراغ الرمادي الباهت الذي كان يلقمهم في مملكة المنسيين، بل أرضهم بسمائها الزرقاء الصافية ونسيمها الدافئ كان الأمر كما لو أن العالم أعاد رسم ملامحه من حولهم.

لم يتمالكوا أنفسهم، فاندفعوا نحو بعضهم البعض، يعانقون ويشدون على الأكتاف، والدموع تتلألأ في العيون كلّ حزن منهم كان يختصر سنوات من الغياب، وكلّ نفس كان يحمل بين طياته قصة لم تُرو .

وسط هذه المشاعر التفت حمزة إلى مصطفى، وصوته يقطر مزارحاً:

لقد كدت أن تتسبب في موتي أيها الأحمق.

خفض مصطفى رأسه، وكان ثقل ذنبه يوشك أن يحنيه للأرض، وقال بصوت متحشرج بالحزن:

لم أكن أدرك ما أفعله... أرجوك سامحني يا أخي.

ثم استدار نحو هاتور، وعيناه تحاولان التماسك:

_سامحيني... وسامحوني جميعًا. كان ظلايموس يحركني كما يحرك
طفل دميته ولم أكن أعلم.

ضحك ليث بخفة رغم أن صوته حمل ظلّ الدهشة:

_ولكن يا أخي، كيف استطعت قتل الوحش؟ من أين لك هذه القوة؟

ارتسمت على وجه مصطفى ابتسامة واثقة، امتزج فيها الفخر بشيء
من الغموض:

_لقد ساعدني الخاتم .

_أي خاتم؟ سأل ليث بعينين متسعيتين.

_خاتم الدمار... مدّ مصطفى يده مظهرًا الخاتم الذي لمع بوميض
غامض. هذا الذي حصلت عليه من سندان عند بوابة أرض الجن
اتضح لي أنه يمنح حامله قوةً تجمع بين السحر والقوة البدنية...
ويتجسد أحيانًا في هيئة رجل يُدعى ثوكليد، يرشدني كلما ضللت
الطريق. لقد رأيته في عالم الأموات، وهناك أخبرني أنه يجب أن نجتمع
لننجو جميعًا ورأيته مرة أخرى حين كنت تائهاً بلا ذاكرة... وذكرني
ببئينة وبالثار.

قالت هاتور وهي تتأمل ذلك الخاتم:

_ لقد قضيت أسابيع في مكتبة العوالم، أبحث بين آلاف الوثائق والسجلات عن معلومات تدلني على هذا الخاتم... هو ليس خاتمًا عاديًا. إنه واحد من ثلاثة خواتم عظيمة تُعرف باسم خاتم الدمار، خاتم اليأس، وخاتم الموت. كل خاتم من هذه الخواتم يحمل قوة فريدة.

تنهدت للحظة، ثم تابعت بنبرة أكثر حدة:

_ هذه الخواتم أبدعها الجني قلدير، الذي ينتمي إلى أرض نيدر الفانية... هناك لجأ إليه بعض البشر وطلبوا منه صنع هذه الخواتم ليمنحهم قوة توازي قوة الجن... قوة يمكن أن تغيّر مجرى التاريخ، ليكونوا أندادًا لهم. لكل خاتم سرٌّ يميزه عن الآخر من يفهم هذا السر يصبح له قوة لا يُقهر لها نظير.

ابتسم حمزة، وعيناه تتأملان مصطفى باعجاب:

_ هنيئًا لك يا أخي... معرفتك بهذه الأسرار زادت من قوتك، لقد أنقذت أرواحنا جميعًا.

تقدمت هاتور نحو زيدان وقالت :

_ كيف تذكرتني .

_تذكرتك بقلبي قبل عقلي... كما أن هذه القطعة أضاعت ذاكرتي،
وأجبرت عقلي على الاعتراف بما يعرفه قلبي منذ البداية.

هزّت رأسها واخذت تتأملها في راحة يدها :

_إنها من رموز الفكر العميق... من يمتلكها يتحكم بعقله ولا يستطيع
احد العبث به.

سألته:

_ومن أين حصلت عليها؟

أجاب :

_من شخص يدعى قاعد.

اقتربت أكثر:

_وماذا كنت تقول عندما كنت مهدده بالإعدام؟ هل كنت حقًا تحمل كل
هذا الإحساس بداخلك؟

_لا... هذا جزء من الكل فلو كانت السماء واسعة بما يكفي لتحتوي
الأرض، ما استطاعت احتواء حبي لك.

حدقت ه فيه لوهلة:

_أحبك.

ارتجف قلبه:

_لم أسمعك جيداً... كرري.

قالت

_لو كنت أستطيع وصف حبي لأمرت الشمس أن تغرب... فحبك أشعل ظلامي وأشبع روعي بالنور.

تابعت بنبرة صلبة:

_تدرك يا زيدان الدنيا تحاول سحبي إلى أعماق اليأس والوحدة لكنك أطفأت شعلة وحدتي.

_دنيانا أصبحت واحدة... وما قدره الله لنا، مقسم جزء لك وجزء لي... ولن يفرقنا شيء.

اقترب شخص ووضع يده على كتف زيدان. التفت وابتسم حين رآه قادم قالها في دهشه فقال قادم:

_لقد فعلت ما عجزت عنه... أعدت الذكريات إلى المستقبل وأعلمت الحاضر بماضيه.

تقدم مصطفى من خلف زيدان وقاطعهم :

_ نرغب في مفتاح وباب العالم الثالث.

ابتسم قاعد ابتسامة مريرة:

_ المفتاح مع الملك بندين.

_ أين هو؟؟

_ أسير منذ قرون في أعماق زنزانة بالسجن السفلي.

خطت هاتور للأمام ثم انحنت قليلاً، وبدأت برسم رموز غامضة على الأرض بخطوط متوهجة من نور أزرق وذهبي كانت دوائر متعكسة تتحرك ببطء، تتقاطع وتتفصل كأنها ترسم مدارات النجوم وسط كل هذا كانت تهمس بكلمات قديمة حتى اهتزت الأرض تحت أقدامهم، فجأة انبثق من مركز الدوائر عمود من الضوء اخترق السماء ومنه تشكلت ملامح رجل... طويل القامة، عريض الكتفين، عيناه الزرقاوان تقدحان نوراً حاداً كوميض البرق لحيته الفضية تتدلى على صدره، وشعره ينحدر كسيل من خيوط القمر.

انحنى قاعد قليلاً وهو يقول بصوت مهيب:

_ هذا... هو الملك بندين.

تجمع الحضور حوله ورؤوسهم تنحني بإجلال تقدم مصطفى وأخرج التاج من بين يديه وضعه برفق على رأس الملك وقال:

_ هذا حقك يا مولاي.

رفع الملك بندين رأسه:

_ أنتم من كسر أغلامي وأيقظني من ظلمتي. قولوا ماذا تطلبون فلقد منحتم شعبي أملاً بعد أن ابتلعهم النسيان.

قالت هاتور:

_ نريد أن نذهب للعالم الثالث.

_ لك ما تريدين يا بنت تهان.

مد يده إلى لحيته وانتزع منها شعيرات قليلة، ثم نفخ فيها، فتوهجت وتحولت إلى بوابة من نور تتدلى في الهواء. تحرك بخطوات طقسية نحو الأمام والخلف، ثم إلى الجانبين حتى انشق باطن الأرض وارتفع منه قالب من الكريستال بداخله مفتاح ذهبي وورقة قديمة.

ناول القالب إلى هاتور فأدخلت المفتاح بالباب و فتحت الورقة وقرأت بصوت ثابت:

_ لا تتبعد عن المنافسة. فإن المغالبة هي بداية الفوز.

وما إن انتهت كلماتها حتى انفتح الباب الثالث ببطء وانفجر منه نور ذهبي خافت.

الفصل الثالث عشر: إنني في فينتيريا

يتوارى الغموض المحيط أمام أعين الحقيقة المدهشة، لكن ما ينكشف لا يشبه الوعد الذي رسمته مخيلتي. الجمال الذي كنت أظنه خلاصاً، لم يكن إلا ستاراً حريراً يخفي وراءه حقداً متجذراً في قلب صاحبه. إنهم هنا يسبحون في بحر من التمجيد الذاتي، يتحدثون عن نقاء نفوسهم وكأنهم لم يخطئوا قط ولكن... حين تتمزق أقنعتهم ترى ندوباً لا تلتئم، وملامح مشوهة لا تصلحها أي صلاة ولا أي توبة.

أدركت أن الضوء ليس صديقاً دائماً أحياناً يُعزّي أكثر مما يكشف، ويُسلط على ما كنت أفضل تجاهله. لذا أغضت عيني لا هروباً، بل بحثاً عن البصيرة في الظلام، ففي غياب الضوء تنبض الحواس الأخرى بوضوح أكبر....

قالت هاتور:

_ هل هذا العالم الثالث يبدو لي من هذا الارتفاع أننا في مدينة طائرة الصخور والجبال تسبح في الهواء، وكأن الأرض لا ترغب في الانفصال عن سمائها، فارتفعت لتحتضنها.

تساءل حمزة، متأملاً بإندهاش:

_ هل هذه سفينة طائرة، أم أنني في حلم؟

هبطت هاتور إلى الأرض :

_ لا تحلم يا حمزة فنحن في عالم فينتيريا، حيث يعيش الفنتريون سحرة الهواء.

سأل زيدان بفضول : من هم الفنتريون؟

أجابت :

_ يُعتبر الفنتريون نوع من الجن وهم من أقوى شعوب العوالم، يركبون السفن الطائرة ويلقبون 'بسادة الهواء' نظراً لقواهم السحرية التي تمكّنهم من السيطرة على العواصف الهوائية . ومع ذلك، يقفون عاجزين أمام جيروت أفيارا، حيث يُعتبر 'البطش' هو حاكمهم و'الظلم'

هو سيدهم. وقبل أن تسألوا عن أفيارا، فإن اسم أفيارا يعني 'الطائر' بلغة اللاتينية، وقد سميت بذلك لأنها وُلدت بجناحين على خلاف شعبها، واستطاعت بقوتها... أن تحكم بيد من حديد ولكن مع هذه القوة بغت وتجبرت واعلنت ان كل من لا ينسأغ لشرها اهلكته واهلكت اهلة.

سأل مصطفى:

_ أين نجد الباب الرابع هنا؟

_ فقط أفيارا تعرف مكانه.

قال ليث:

_ فلنذهب إليها.

قالت هاتور:

_ لا تستعجل في السعي نحو الموت فإذا كان للموت صوت لسماعته يحذرنا من أفيارا .

قال مصطفى:

_ إذا لم أكن أعرفك جيداً، لا اعتقدت أنك تخافين، اعلمي أنّ الخوف لا يلاحق أحداً نحن من نبحت عنه حتى نصير له أتباع فيجعلنا خاضعين لسلوكه المهين.

اردف والبريق في عينيه

_ روحي تباع للموت، لكنني لن أبيعها للخوف.

ذكرت أن الله تعالى قال:

_ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وكنت أود أن أقول لا داعي للخوف ولكن يجب عليكم الحذر، فالاحتياط لا يقتل من إمكانية المواجهة بل يعمل على زيادة فرص النجاة.

زيدان:

_ حديثك في محلة ولكن كيف يمكننا التنقل في هذه الأماكن المرتفعة؟ لو لم نترك خلفنا زعير في العالم الأول، لكانت مسألة الترحال أسهل بكثير.

_ كان من الضروري أن نترك زعير، لأن قدرته على التحمل تقتصر على العالم الأول، وقد يواجه خطراً كبيراً إذا حاول التسلل إلى العالم الثاني.

أضافت بتأمل :

_ولكن لدي فكرة مختلفة.

سأل مصطفى: _ ما هي ؟

_انتظروني وستعلمون ما هي.

حأقت نحو مركب من المراكب الطائر بدا من بعيد كطائر أسطوري يحلق فوق الغيوم جناحاه ممتدان من أشرعة شفافة تشع بخيوط ضوء عندما اقتربت أكثر، ظهر البدن الخشبي بلونه الداكن المائل إلى الحمرة، محفور عليه نقوش متشابكة لزهور وأمواج وكأن البحر والسماء التقيا في جسده.

الدرابزينات النحاسية تلمع تحت الشمس والحبال المجدولة تمتد على جانبيه بإحكام، أما المقدمة فكانت تحمل رأسًا منحوتًا على شكل زهرة معدنية ضخمة، بيتلات فضية توهي بأنها تشق الهواء كما تشقه الرياح.

هبطت على السطح الخشبي للمركب، الذي بدا متينًا وواسعًا كأرضية مسرح،

وفور أن لامست قدمها السطح خرج منها رجل ذو وجه أحمر وعين واحدة يرتدي بنطالًا وقميصًا فضفاضين، وعلى خصره يتدلى غمد سيف طويل. كانت ملامحه مشدودة وعينه الوحيدة تنتقد بغضب مكتوم،

استل سيفه بخفة وقال بصوت غليظ:

_ كيف لك أيتها الجنية أن تطني بقدميكِ سطح مركبي الثمين؟ هل هو ملك للعموم ليستقبل زوارًا لا أجد لهم أي أثر في ذاكرتي.

حاولت تهدئة الموقف:

_ نواياي لم تكن سيئة، ولا أعتزم إلحاق الأذى بأحد أنا هنا لطلب مساعدتك، وسأدفع مقابل ذلك.

_ تدفعين؟؟

_ نعم... لنفترض أنني سأعطيك عشرة "بانكور".

قطب حاجبه باستنكار:

_ وماذا تريد مني؟

_ أسعى للذهاب إلى قصر أفيارا، أنا وأصدقائي.

ارتبك وجهه:

_ لن أذهب إلى أي مكان، خصوصًا إلى هذا القصر المرعب.

اقتربت منه خطوة:

_ سنتوقف قبل الاقتراب من القصر...انا لا أطلب منك الدخول معنا.

ارتسمت ابتسامة على شفثيه كاشفة عن سن ذهبية :

_ أريد خمسين بانكور.

زمت ه شفثيها بانزعاج:

_ خمسين ؟؟؟ لم أطلب منك أن تأخذنا إلى القمر، بل فقط إلى قصر أفيارا.

_ لو كنت سأخذكم إلى القمر، لطلبت أربعين فقط. لكن أفيارا تعني أنني أضع رقبتني تحت المقصلة. لن أقبل بأقل من خمسين وإذا لم يعجبك فابحثي عن شخص آخر.

عضت شفثها السفلى قليلاً ثم قالت باستسلام:

>حسناً، موافقة ها هو نصف المبلغ، وعند الوصول ستحصل على الباقي.

أقلت إليه سره بها نصف المبلغ المعدني المصنوع من النيكساريون، فالتقطه وأخذ يعده واحداً واحداً، ثم دسه داخل قميصه.

بعد ذلك أنزل شرّاق القارب، والبلورات أسفل الهيكل بدأت تدور بسرعة أكبر لينحني المركب تدريجياً نحو الأرض. وبينما كان يهبّط ربت على الدرايزين النحاسي وقال بنبرة حنونة:

— هيا يا بيليسان... يبدو أننا سنقوم برحلة يا زهرتي.

ركب الجميع القارب، ثم وقف الرجل أمامهم واضعاً يده على عجلة القيادة الخشبية:

_ أنا نبار وما ترونه أمامكم هو زهرتي بيليسان... هي ابنتي وشقيقتي وزوجتي وكل شيء عزيز على قلبي، أرجو معاملتها بروح المودة وعدم اعتبارها جماداً.

ثم أردف وكأنه يلقي بياناً رسمياً:

_ إليكم القواعد الأساسية...

هاتور:

_ قواعد!!

_ نعم قواعد، أولاً يُمنع التجول بكثرة فوق سطحها ثانياً هناك غرفة واحدة فقط، لذا يُرجى عدم مغادرتها إلا للضرورة، ثالثاً إذا اضطر أحدكم للخروج من الغرفة فهذه الزاوية على السطح هي المكان المخصص لجلوسكم، رابعاً هذه أدوات التنظيف... ممسحة، مكنسة،

وغيرها، أتوقع منكم أن تعتنوا بابنتي كما يليق بها. أريد أن أرى انعكاسي على الألواح الخشبية.

رفعت هاتور رأسها:

_لم نتفق على أن نكون خدمًا، نحن هنا كركاب، ولسنا طاقمًا تحت أمرك.

ابتسم بسخرية قصيرة وقال وهو يبتعد نحو غرفة القيادة:

ولم نتفق على العكس أيضًا، على أي حال... تأكدوا أن المكان سيظل نظيفًا.

أعرب زيدان عن امتعاضه وهو يراقب نبار يبتعد نحو غرفة القيادة:

هذا الرجل يتعامل معنا وكأننا تابعون في بلاطه... يوزع الأوامر كما يشاء، وكأننا مدينون له بولاء لم نعاهده عليه.

قالت هاتور :

_الكبرياء الزائد يا زيدان لا يغير من جوهرنا ما لم نسمح له بذلك. لسنا هنا لقياس كرامتنا في جدال مع نبار، بل لنعبر هذه المرحلة بسلام. أحيانًا الصبر ليس خضوعًا... بل اختيارًا للحفاظ على قوتنا من التبديد.

_ أنتِ ترين الأمور بوضوح... أما أنا فأجد صعوبة في التزام الصمت أمام من يتجاوز حدوده.

هاتور

_ الصمت أحياناً أبلغ من الرد، حين نصل إلى وجهتنا سيكون الوقت في صفنا، لا في صفه.

أخذ زيدان المكنتسة بين يديه وقال وهو ينظر إليها باحترام:

_ إذن فلنجعل هذا العمل رسالة... أن كرامتنا لا تمس حتى ونحن نوذي مهام لا تليق بمقامنا.

اقتربت من الممسحة وبدأت تعمل بجانبه بخطوات ثابتة، تحافظ على إيقاع واحد معه. لم يكن في الأمر أي عبث أو حركات طائشة، بل كان عملهما متناسقاً أشبه بمناورة مدروسة بين شخصين يعرف كل منهما كيف يحفظ إيقاع الآخر. كان الصمت بينهما ممتلئاً باتفاق غير منطوق، وإدراك مشترك بأن ما يفعلانه الآن، مهما بدا بسيطاً، هو جزء من معركة أكبر ينتظران وقتها.

فجأة انفتح باب الغرفة مجدداً وخرج منه رجل قصير القامة، متين الجسد، يستند على قدمٍ واحدة بينما الأخرى ساق خشبية تضرب كان يصفق ببطاء، تصفيقاً غريباً يختلط فيه الإعجاب بالسخرية، وكما تقدم

خيم الصمت على المكان، حتى توقفت الأيدي عن العمل والأنظار التفتت نحوه في تعجب:

سأله ليث وهو يضيق عينيه:

- من أنت؟

_ أنا تبار شقيق نبار الأكبر لقد أخبرني أن هناك أغرابًا على مركبنا المتواضع لكن لم أكن أعلم أنكم مميزون بهذا القدر.

اقترب أكثر لمسحهم بنظرة فاحصة ثم تابع:

- قولوا لي لماذا ترغبون ببقاء أفيارا؟

قالت هاتور :

_ نريد دخول العالم الرابع.

ارتفعت ضحكت:

_ العالم الرابع؟ أتظنون أن أفيارا سيدة الريح والعواصف، ستسلمكم المفتاح وتبوح لكم بمكان الباب؟ أنتم تحلمون.

ردت هاتور :

- لسنا نحلم ولا نملك خيارًا آخر.

أطرق لحظة ثم رفع عينيه وقال ببطءٍ :

_ هناك سبيل واحد فقط.

_ ما هو ... سأل مصطفى؟

أفئارا لا تسمح بالعبور إلا بعد اجتياز مسابقة الأموات على حافة الفوز.

ارتبك الجمع للحظة، بينما قالت هاتور:

_ وما طبيعة هذه المسابقة؟

أجاب :

_ مسابقة تقيمها كل عامين يحق لأي مخلوق أن يشارك، والفائز فيها يمكنه أن يطلب منها أي شيء حتى عرشها ذاته.

تبادلت المجموعة نظرات حماس لكن تبار رفع يده ملوحًا:

_ لا تفرحوا فهذه ليست مسابقة بل مشنقة كل من دخلها من قبل قُتل قبل أن يجتاز المرحلة الأولى.

همهم زيدان متسائلًا:

_ مراحل؟؟

_ نعم مراحل أولها المرور عبر الشق المظلم، وثانيها إحضار ختم هاكور الملعون، وثالثها مواجهة التنين شكال.

تأملت هاتور عينيه الغامضتين:

_ تتناول الحديث عن المسابقة وكأنها نذير شؤم أو قضاء محتوم، كما لو أنها قد ألحقت بك ضرراً أو أذىً فهل شاركت من قبل في تلك مسابقة؟؟

استخرج خنجراً تتعطر نفحاته بعبق ذكريات الماضي، مما أثار في قلبه مشاعر الحنين لهذه الذكريات:

كنتُ أنا وزوجتي من صاندي وحوش المملكة. تنهد تنهيدة مؤلمة ثقيلة بحب عميق وندمٍ دفين قبل أن يواصل حديثه:

_ لقد تعرفت على هند في وقت كانت هناك مكافأة ضخمة لمن يصطاد وحش كنتاد ولحسن حظي، كانت هي أيضاً تبحث عن الوحش ذاته. وعند لقائنا أول مرة أمام وكر "كنتاد" نشأت بيننا مشاحنات لطيفة، كانت تقول لي اذهب فإنك لا تستطيع تحمل الأمر يا صغيري بينما كنت أجبها بلا جدوى لماذا جنت وتركت الأواني دون غسيل؟

تجلى التنافس بيننا في لحظة استفاقة الوحش، حينها هجم علينا بلا رحمة وفي خضم المعركة سقطت هند ضحية على وشك أن يزهدق

روحها. لكن ما تبقى لدي من شجاعة وبضع خطوات مدروسة من الخلف، مكنتني من قطع رأس الوحش وإنقاذها من الموت المحتم. مددت يدي لأرفعها، وفي تلك اللحظة لم أدرك كيف تسلل الحب إلى قلوبنا. بدا لي أنني أراها لأول مرة، أشبه بالبدر المتلألئ وسط الليل الداكن لم يكن جمالها وحده ما أسرني، بل كل تفاصيلها حتى الدماء التي لطخت وجهها أضفت على حضورها قوة مذهشة.

بعد أن حصلت على رأس الوحش طلبتُ منها أن ترافقتي إلى أفيارا. لكنها رفضت بلطف قائلة الجائزة من حقك فأنا لم أقتل الوحش. لم أستطع قبول ذلك فقلت لها بل لم أقتله بمفردي ولن أستقبل النقود وحدي أيضاً.

توجهت معي إلى أفيارا التي تسلمت الرأس ومنحتنا 100 بانكور. عرضت على هند الزواج، ورغم أن قاماتنا لم تكن متناسبة إلا أن قلبها وافق، فكانت ملاذي في هذا العالم. شاركنا معاً في مواجهة آلاف الوحوش حتى أصبح عددها يفوق قدراتي على العد.

انتشر صيئنا في مدينة فينتيريا، حتى جاء اليوم الذي عبرت فيه هند عن رغبتها في إنجاب طفل والتمتع بحياة مستقرة، بعيداً عن المخاطر. وافقتُ على رغبتها، مُرحباً بها لكنها شددت على ضرورة تأمين

مستقبل الطفل قبل أن تحمل. اقترحت المشاركة في مسابقة أفيارا فآثار ذلك قلقي الشديد على حياتها رفضت الفكرة في البداية مؤكداً أن سلامتها تأتي أولاً وأنتني من سيتحمل المخاطر لكن إصرارها كان أقوى من أي مقاومة أرادت أن نكون معاً في كل شيء حتى النهاية.

شاركنا في المسابقة وكنا في الصدارة، اجتزنا التحديات الكبرى معاً، وأحضرنا السوار الملعون لكن المواجهة مع "أم التناين" فجرت أحداثاً لم تكن في الحسبان ففي المرحلة الأخيرة، فقدت قدمي اليسرى، وهو أمر صغير مقارنة بما فقدته حقاً... فقدان هند، زوجتي.

أتحمل المسؤولية وحدي، فأننا من منحتها الفرصة لذلك أسأل نفسي كل يوم لماذا لم يكن مصيري الموت بدلاً منها؟ لماذا؟

ظهر «نبار» وقد عمره الغضب:

_أيها الحمقى، أسعى لإخراج أخي من دوامة الحزن والاكتئاب، ثم تأتون لتعيدوه إلى نقطة البداية في نصف ساعه.

قال مصطفى:

_لم نطلب منه أن يتحدث عن كل هذا...

انفجر نبار بغضب أعنف:

_ولكنكم من سألتموه كيف تجرؤون الآن على المراوغة؟

مصطفى:

_لم نكن نعرف ما تدور به تلميحاته... وهو ليس صغيراً، لو لم يرغب في الكلام، كان من الأفضل أن يلتزم الصمت.

ارتفعت نبرة نبار بشكل حاد:

_أنتم لن تظلوا دقيقة أخرى على مركبي!

هنا رفع «نبار» يده سريعاً و بصرامة:

_توقفوا!

أحس نبار بالضغط لكنه صمت احتراماً لي أخيه.

مصطفى:

سنلتزم الصمت إلى أن نصل وجهتنا.

في صباح اليوم التالي، كانت ملامح فنتريا تلوح أمامهم، ولم يبقَ على قصر «أفيارا» سوى مسافة يسيرة. سلّمت «هاتور» المبلغ المتفق عليه إلى «نبار» ثم نزل الجميع من المركب في صمت ثقيل.

وفجأة، اخترق «نبار» هدوء اللحظة :

_ سأذهب معكم.

ارتجف «نبار» بدهشة واتسعت عيناه وهو يصرخ:

_ لن أسمح بذلك!

لكن «تبار» شدّد قبضته على قلبه :

_ دعني أحقق ما كانت تتمناه «هند».

_ «هند» لم تكن لتتمنى أن يصيبك أذى!

_ وأنا لن أهدأ حتى أفعل آخر ما تمنته في هذه الحياة.

_ أما تفكر بما سيحدث لي إن فقدتك؟

_ أنت لست وحدك، معك قاربك «بليسيان»... ولن تدعك تغرق في

الوحدة.

انحنى «نبار» حتى وازى طولاه، والتقت عيناها في لحظة مشحونة

بالعاطفة ثم ابتسم بغمزة حنونة، وهمس:

_ اعتنِ بنفسك.

احتضنه بقوة وانسكبت من عينيه دمعان ارتجفتا على وجنتيه قبل أن يمسحهما مسرعاً كي لا يلحظه أحد. ثم وقف ومدّ يده وأخرج الخمسين «بنكور» ليعيدها إلى «هاتور».

_ ما هذا؟ سألت متعجبة.

_ نفودك.

_ أعلم... ولكنها حقك.

_ أنا لا أريد شيئاً، فقط لا تدعي أخي يؤذي نفسه.

أومات برأسها بابتسامة خفيفة، وقالت بهدوء:

_ أعدك بذلك.

دخلوا الى المدينة التي كانت تمتد بلانهاية واضحة أبراج خشبية ترتفع طبقة فوق أخرى بينما الأسقف المزخرفة تتشابك في خطوط حادة والطرق ضيقة لكنها تعج بحشود لا تهدأ.

هناك الوجوه التي مرّت بهم لم تكشف ملامحها فكانت إما مغطاة بالأقنعة، أو مخفية في عمق الظلال الحركة سريعة متوترة لا أحد

يتوقف، ولا أحد يتكلم. من بعيد دقّ الطبول بدأ يتصاعد ببطء وايضاً صوت ثقيل يملأ الأرزقة، يقترب ثم يخفت، ثم يعود من جديد.

الطيور تحلّق على ارتفاع منخفض تملأ السماء بصيحات قصيرة وفي الشرفات العالية، ظلال ساكنة تراقب من خلف النوافذ المغلقة.

كان الجميع يشيرون بأصابعهم نحو الأبراج الغريبة، يلتفتون بوجوههم المندهشة كأنهم في نزهة عائلية، يتعجبون من كل شيء وحده مصطفى ظل ساكناً، كأن المنظر أمامه أمر اعتاد عليه.

اقترب منه زيدان ومال برأسه يسأله:

_ ماذا بك؟؟

أجاب مصطفى ببرود متردد:

_ لا شيء.

_ أعرفك جيداً... فلا تكذب.

ابتسم مصطفى بمرارة:

_ أفتقد زوجتي ذرية... وابنتي لا أعلم كيف تركتهما وحيدتين.

قال زيدان وهو يضع يده على كتفه:

_ لكنك فعلت ذلك لتنقذهما. نحن جميعاً تركنا أحبنا لأجل سلامتهم.

_ أنا فعلت ذلك تارًا لبتثينة... لكن ماذا لو عدتُ فلم أجد زوجتي وابنتي الأخرى؟ ماذا لو...

قاطعته بصوت ممتلئ بالرجاء:

_ لا تستبشر السوء بإذن الله سيكونون بخير.

رفع مصطفى رأسه نحو السماء وهو يهمس:

_ يا رب... لا أعلم ما يحدث لنا. أشعر أننا انحرفنا عن مهمتنا الأساسية من عالم إلى عالم ومن أرض إلى أرض... حتى أننا لم نعد نذكر العاقير نفسها.

تنهد زيدان ثم قال :

_ من عالم إلى عالم ومن أرض إلى أرض... كل ذلك من أجل العاقير. وما سنفعله هنا هو لأجلها . أعلم أن الأمر ليس سهلاً لكن إن استسلمنا الآن سنعود إليهم خالي الوفاض وسنحطم احلامهم.

ابتسم مصطفى بضعف وقال:

_ معك حق... إما أن نعود ومعنا الحل... أو نموت مثل ليبيد.

سال حمزة تبار :

_ إلي أين نحن ذاهبون ??

اجاب: سنمر بصديقي طائع اولاً.

وقف «تبار» أمام باب خشبي، طرقة مرات متتالية لم يأتيه رد فاقترب أكثر وهمس باسم مألوف فجأة اندفع طائر من عشه تاركًا قشر البيض متناثرًا، ثم انفتح الباب ليظهر رجل ضخم الجثة ابتسم وهو يفتح ذراعيه ليحتضنه:

_ كيف حالك يا صديقي؟ لقد طال الغياب...

وبعد أن ترك تبار من بين ذراعيه، ألقى نظرة متفحصة على الغرباء الواقفين خلفه وقال بلهجة حذرة:

_ من هؤلاء؟

أجابه تبار بابتسامة قصيرة:

_ سأخبرك في الداخل.

أفسح طابع لهم الطريق فدخلوا البيت ثم أغلق الباب بإحكام، وجلسوا جميعًا حول المنضدة وبعد لحظة صمت رفع طابع نظره إلى صديقه وقال:

_ والآن أخبرني... ما الذي جاء بك ومعك هؤلاء.

تنحنح وقال:

_إنهم رفاقي جاؤوا معي إلى هنا لغاية واحدة.

_وماهي...سأل طائع بفضول.

_ المشاركة في مسابقة أفيار.

تجمدت ملامح طائع وارتسمت على وجهه علامات الغضب والخوف
معاً:

_المسابقة! ألم يكفك ما حدث في المرة السابقة فقدت قدمك وقتها...
هل تريد أن تفقد حياتك هذه المرة؟

قال تبار :

_ لا تكن متشائمًا أنت تعرف أن هذا ما كانت تتمناه «هند».

ارتفعت نبرة طائع وهو يضرب الطاولة بيده:

_ كاذب! لقد كنت بجوارها حين لفظت أنفاسها الأخيرة قالت لك
بوضوح أنقذ نفسك.

كان الرفاق ينظرون إلى تبار بانتظار رده فرفع رأسه في الأخير وقال:

_ قالت ذلك... لا يهم ما قالته بل ما كانت تريده.

_ ما قالته هي ما ارادته لماذا لا تفهم!!

_ لكن ماذا عن ما اریده انا... أنا ارید أن أنتقم من التین ولأثبت أن موتها لم یکن بلا معنی.

اقترب طایع منه بوجه متصلب یحمل المرارة:

_ رأسك أصلب من الصخر یا تبار... تمامًا مثل رأس أختي هند. لكن اعلم لن أتركك تخوض هذا وحدك .

ثم اعتدل في جلسته بينما صوته أصبح أكثر هدوءاً:

_ المسابقة ستبدأ الليلة... عند سقوط الظلام ستفتح البوابة ويُسمح لكل من یملك الجرأة أن یشارك.

نهض ودخل غرفته ليعود بعد دقائق یحمل صندوقاً خشبياً ثقیلاً وضعه على الطاولة وفتحه، فأنكشت أسلحة لامعة سیوف، رماح، أقواس وسهام دفعها نحوهم وقال:

_ استعدوا... ما ینتظرکم لیس مجرد مسابقة بل امتحان حياة أو موت.

الفصل الرابع عشر: عبور الشق المظلم

في الليل تجمّع الجميع أمام القصر، حیث قام الحراس بفتح البوابة للمشاركين ثم ساقوهم عبر بوابة أخرى مظلة على ساحة واسعة،

همس مصطفى وهو ینتف في قلق:

_ أين نحن؟

أجابه تبار بصوت خافت وهو يرمق الساحة :

_ في الساحة التي ستبدأ منها المسابقة.

على قمة الدرجات وسط الضباب الكثيف، ظهرت شخصية مغطاة بعباءة سوداء كانت حركتها بالكاد مرئية، لكن حضورها كان طاغياً، جعل الجميع يشعر أن مصيرهم معلق بخيوط يديها.

فجأة انكشفت الغيوم وظهر القمر... لم يكن كجرم سماوي عادي، بل أشبه بعين غامضة تراقب المكان .

سأل زيدان متوجساً:

_ من الذي يقف في الأعلى؟

اجاب تبار:

_ أفيارا ملكة فينتيريا.

رفعت المرأة الحجاب عن وجهها لتكشف ملامحها... بشرة داكنة كالليل، وعينان سوداوان عميقتان وشعرها كثيف لكنه ليس بطويل يغمره القُطَط. ترتدي ثوبًا حريريًا قاتمًا، يزينه خيط من نقوش ذهبية.

قلادة ضخمة تتدلى من عنقها، منقوشة بطلاسم غامضة، وأساور
برونزية تصدر رنيناً خافتاً تلتف حول معصمها.

وفي يديها عصا سوداء ثقيلة، يعلوها طرف مدوّرو حولها دار سرب
من الغربان، ينعق في فوضى وكأنهم رسل العوالم الأخرى.

تكلمت بصوتٍ رخيمٍ ملئ الأرجاء.:

_ مرحباً بأبناء شعبي... وكذلك بالغرباء. إنّ هذه المسابقة لن تكون
كسائر المسابقات السابقة فلن يقتصر الميدان على الفنترين وحدهم،
بل أرى وجوهاً جديدة من البشر... وابنة ملك العوالم بينهم.

ستبدأ مسابقة أموات على حافة الفوز، من استطاع أن يصنع المستحيل
ويظفر بالفوز فله عندي أمنية واحدة... ولو كانت عرشي نفسه.

هلل الجميع بحماس فرفعت يديها نحو السماء وفي لحظ، تحوّل القمر
من زرقة هادئة إلى كرةٍ ملتهبةٍ تتأجج كالجحيم.

ثم التفتت نحو المتنافسين الست وخمسين فرد وقالت بصوت يجلجل
في الصدور:

ستظهر أشباح الظلام... فابحثوا عما في داخلكم من نور.

وبضربة واحدة من عصاها، انشقت الأرض تحت أقدامهم، فبان عالم
آخر يتنفس من أعماقه صاحت فيهم:

_ اقفزوا إلى الشق المظلم لكن تذكروا... لا توجد فرصة ثانية.

قفزوا جميعًا واحدًا تلو الآخر، فسقطوا في هوة غارقة بالسواد، تملأها أصوات غامضة ونفس ثقيل يضغط على الصدور اصطدموا بالأرض بقسوة ورفعوا رؤوسهم ليجدوا السماء ملبدة بغيوم سوداء، والقمر المكتمل يتوهج بضياء ضعيف

دوى زئير عميق عبر السهل، فارتجت الأرض تحت أقدامهم. وحش هائل خرج من الظلال، عيناه تتوهجان بدموع حمراء، قرونه تمتد متشابكة للأعلى، وفمه العريض يفيض بأسنان حادة تقطر صديدًا. خطوته الأولى نشرت هواءً جليديًا مسمومًا، فارتجف المتنافسون وهم يثبتون أقدامهم استعدادًا لأول اختبار حقيقي.

قال تبار، وعيناه معلقتان على الكتلة السوداء التي تقترب:

_ هذا الوحش يُعرف باسم «ثريندار»... وحش الشق المظلم.

الكلمات أثقلت الصدور، وسرى الصمت بين المتسابقين فارتجف الخوف في أعماقهم رغم ما يحملونه من شجاعة فكل واحد منهم أدرك أن هذه المواجهة قد تنهي حياته. خلف ثريندار تحركت أشكال مظلمة أخرى تراقبهم متأهبة للهجوم.

وفجأة اندفعت الوحوش دفعة واحدة فتحول الميدان إلى جحيم بعض المتسابقين استدعوا إعصارًا هائلًا من قوى فينتيريا اجتاح الأعصار الصفوف الأولى وأسقط الكثير منها، لكن افواج الوحوش لم تتوقف. تبار وطابع وقفًا جنبًا إلى جنب، سيوفهما ترتطم بأجساد لا تحصى، والعرق يقطر منهما مع كل ضربة.

وفي لحظة حاسمة رفع مصطفى يده نحو السماء وصاح:

_سندان... أعطني سيفك!

السماء انفتحت بضوء خاطف ونزل منها السيف المتقد بالبرق قبض عليه واندفع للأمام، يضرب الوحوش بلا توقف. لكن سرعان ما انكشفت الحقيقة كلما سقط واحد من تلك الوحوش خرج من الظلام عشرة جدد.

ليث وقف يحمي ظهر حمزة، يتبادلان الضربات معًا. هاتور طارت فوقهما، تهوي على كل يد أو مخلب يحاول الوصول إليهما. في الطرف الآخر، ثبت زيدان قوسه الذي لا يهدأ بينما وسهامه كانت لا تخطئ هدفًا.

اهتز الميدان كله، ثريندار ضرب الأرض بقدميه فانشقت الصخور، ثم رفع قبضتيه وقرع صدره بعنف، وزأر حتى اهتز الهواء. تقدم بخطوات

ثقيلة، أمسك أحد المقاتلين بيديه، مزقه بقوة حتى تناثرت دمائه على التراب.

ساد الذعر وارتفعت الصرخات حتى كاد الميدان ينهار تحت وطأة الرعب لكن صوت تبار علا وسط الفوضى:

_ أنتم تلوّحون بالسيوف والسهام، لكن الباب الذي نبحت عنه لن يفتح إلا بما هو أعمق ... الفوز بهذه المرحلة يعتمد على أعمالكم التي لم يشهدها أحد، صدقكم حين لم يركم بشر تلك هي مفاتيح الخلاص. من أراد أن يحيا، فليستدع ما فعله في الخفاء ولينطقه الآن.

قال مصطفى:

_ تذكّرنى كلماتك بحكاية سمعتها من الشيوخ... رجال حُبسوا في غار أغلقته عليهم صخرة لا تُزاح. لم يكن لهم من حيلة، إلا أنّ كلّ منهم استدعى عملاً طاهرًا فعله في حياته، وناجى ربّه به ومع كل مناجاة، تزلزل الحجر حتى تنفّس الغار وخرجوا أحياء.

قال تبار: _ نعم هو شيء من هذا القبيل.

نظر حمزة بتردد ثم قال بصوت خافت:

_ سأشارككم قصتي...

تكوّن حوله جدار من السيوف والسهام، إذ اصطفت رفاهه في مواجهة الوحوش ليمنحوه فرصة البوح استجمع أنفاسه ثم تابع:

_ في يوم من الأيام خرجت إلى الأرض لأقوم بريها، ولم يكن بجواري أحد كنت وحيداً تماماً. أثناء قيامي بتشغيل الساقية سمعت صوتاً قادمًا من إحدى حقول الكتان كان صوت امرأة تصرخ في البداية اعتقدت أنني أسمع نداءً غامضاً، مما أثار في نفسي قلقاً شديداً لأنني ظننتها «النداهة» ولكن سرعان ما أقنعت نفسي بأن تكون هناك امرأة حقيقية تحتاج إلى المساعدة أدركت أنني أمام فرصة لا تعوض وأن وجودي هنا في هذا الوقت ليس بمحض صدفة إذا كانت الفتاة بحاجة حقيقية للمساعدة فإن الله هو من قادني إليها.

ركضت بدون أن ألتفت خلفي حتى وصلت إلى مصدر الصوت، هناك رأيت فتاة مقيدة واثنين يقومان بمحاولة الاعتداء عليها تصرفت بدافع غريزي دون أن أعي مجريات الأحداث، فكان شعوري بالغضب هو المحرك الوحيد لي وانتهى الأمر بمقتل أحدهما بينما فر الآخر ثم قمت بفك قيود الفتاة وأوصلتها إلى عائلتها، والحمد لله أنني استطعت حمايتها من الأذى إن شرف الفتيات كخيوط الحرير لا يتحمل الشد أو التلوث، فمن تفقد عفتها كمن فقدت روحها ويصبح جسدها كجثة تحركها الأيام دون إرادة.

أشار بابتسامة قائلاً:

_ في تلك اللحظة انتابني شعور عميق بالفرح وأشهد الله أنني لم أقم بذلك إلا طلباً لرضاه..

في تلك اللحظة، اندفعت إنارة غامضة أمامهم، فارتسم الطريق بخطوط من نور وتلاشت الوحوش فجأة دون أثر التفتت مصطفى وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة وقال:

_ الشيوخ لم يخطئوا حين اختاروك..

واصلوا السير نصف ساعة تحت الضوء المرسوم أمامهم، حتى بدأ الظلام يعود تدريجياً وبيتلع المسار. تعالت أصوات الوحوش من كل صوب، وانطلقت الخفافيش في الهواء، بينما أخذت خطوات غريبة تقترب، يردد أصحابها كلمة واحدة:

_ الموت.

قال تبار بصوت ثابت:

_ ليقم الشخص التالي ويذكر فعلاً نبيلاً قد أنجزه.

نظر ليث إليهم وصوته خرج مثقلاً بذكرى ثقيلة:

كنت قاطع طريق لا تتعجبوا... نعم أزهقت أرواحًا بريئة وزرعت الخوف في القلوب كنتُ أسير وراء شهوة السلطة، أسيراً لوهم القوة حتى صار شيطاني قائدي لكن حين قُتل ابني انكشفت لي الحقيقة، وتجرّعت من الكأس التي سقيتها للآخرين.

سكت لحظة ثم تابع بنبرة مختلفة:

قررت أن أعود إلى الله، تبت بصدق وعاهدت نفسي ألا أكرر خطيئة أحرقتني قبل أن تحرق غيري. وأقسمت أن أقف في وجه كل من يحاول نشر الرعب بين الأبرياء وعندما علمت أن الشيوخ اختاروني لمهمة إنقاذ العاقير لم أتردد لأنني رأيت في ذلك طريقاً للتكفير، ولو كان ثمنه حياتي لقد قال الله على لسان رسوله (أنا عند ظن عبدي بي)، وأنا أحسن الظن بربي وأرجو مغفرته.

عندها سأله حمزة :

وأيّن الخير في كل هذا؟

أجابه زيدان وقد غلبه التأمل:

الخير الذي فعله ليث أنه واجه أشرس عدو يمكن أن يواجهه إنسان وهو نفسه أن ينتصر المرء على شهواته، أن يروض نزواته، هذا أعظم من أي سيف أو معركة فالنفس تُغري الفقير بالقصور، وتُشعل في

قلب المريض نار الحقد على الأصحاء، وتفتح للعبد أبواب المحرم وإن كان بين يديه الحلال هي حرب خفية والانتصار فيها هو النصر الحق.

حين أنهى زيدان كلامه انبثق الضوء من جديد ورسم لهم طريق واضح وسط العتمة اختفت الوحوش وتبددت الأصوات الموحشة، فتابعوا السير.

فجأة التفت حمزة بهدوء :

– ليث... تقول إنك كنت من قطاع الطرق؟

أجاب ليث بصوت متهدج :

– نعم... لكن الحمد لله لقد استعدت عقلي ورجعت إلى الله.

تصلبت يداه ثم اردف بنبرة يغلي فيها الحزن:

– منذ سبع سنوات كان أخي عائداً من اليمن وقبل أن يدخل العاقير بقليل هاجمته عصابة من قطاع الطرق. قُتل وسُرق ما حمله من تعب غربته وما ثمرة عمره.

توقف لحظة ثم صوب عينيه نحو ليث مباشرة:

– هل تعرف من فعل ذلك؟

خفض ليث رأسه وارتسمت على وجهه علامات من ألم دفين فكرر حمزة بصوتٍ أشد:

– هل تعرف؟

لم يرد وظل صامتًا فأردف حمزة :

– أنت من قتله، أليس كذلك قلها.

رفع ليث عينيه للحظة ثم هبط بهما من جديد، كأنهما لا تحتلان ضوء الحقيقة. تتم بصوتٍ مبجوح:

– شيطاني...

وقبل أن يكمل انفجر حمزة واندفع نحوه وانهال عليه بالضربات كان أشبه ببركان انفجر بعد كتمان طويل. لم يعد يرى أمامه إلا صورة أخيه الغارق في دمائه حاول مصطفى جذبته من الخلف، بينما كان حمزة يصرخ بانفعالٍ مجنون:

– لماذا قتلته، لماذا لم تكف بما معه؟ أي قلب هذا الذي حملك على قتله؟

اقترب زيدان بسرعة واحتضنه من الأمام ليكبح ثورته. رفع ليث جسده ببطء من على الأرض، ثم مسح بيده أثر الدم عن ذقنه وقال بصوتٍ منكسر:

– أستحق أكثر من هذا كل يوم يقتلني ضميري كل وجه من وجوه ضحاياي يطاردني لم أعد أحتمل نفسي.

ثم جثا على ركبتيه مطأئ الرأس، وقال برجاء يانس:

– اقتلني يا حمزة خلصني من عذابي استحلفك بالله... لطالما فكرت في إنهاء حياتي لكني خشيت أن ألقى الله كافرًا الآن أنا بين يديك اضربني بسيفك وحررني.

قاطعهم زيدان :

_ سامحه يا حمزة إنه قد تاب بصدق وندم على أفعاله والدليل أن الله سبحانه وتعالى قد غفر له و أضاء الطريق أمامه.

التفت حمزة إلى ليث بنظرة تعكس اشمزازة:

_ لكن هذا هو الله أما أنا فمجرد إنسان. بعدها استأنف السير دون أن ينبث بكلمة أخرى.

تبعته المجموعة بخطوات متسارعة، بعد لحظات قصيرة انطفأت الأضواء التي كانوا يسيرون فيعدها مجدداً فغرق المكان في عتمة خانقة شد حمزة على مقبض خنجره بقوة، وأحس ببرودته في يده تدفعه للانقضاء. كان وجه شقيقه يطارد مخيلته لا يرى شيئاً غيره.

تحرك خلف ليث بهدوء وعيناه لا تفارقان ظهره. رفع الخنجر وذراعه ترتجف من شدة الغضب والحنق. لكن قبل أن يغرسه في ظهره، اندفع مصطفى من الجانب ودفعه بكفئه بقوة ترنح حمزة نصف خطوة إلى الوراء، والتفت بعينين يملؤهما الشرر وصاح :

- ابتعد... وإلا قتلتك أنت أيضاً!

وقف مصطفى أمامه ورفع يده قليلاً يحاول تهدئته :

- سأقدر ما تمر به... ولن أحاسبك على تلك الكلمات.

لم تمهلهم اللحظة أكثر من بين الظلام، ظهر "ثريندار" مرة أخرى، زئيره يخترق الهواء وهو يندفع بجسده الضخم نحو حمزة. في طرفة عين انطلق ليث من مكانه و دفع حمزة بكل قوته بساعديه حتى سقط أرضاً على جانبه. ارتفع صوت ارتطام جسد حمزة بالأرض، وفي اللحظة نفسها اخترق هجوم الوحش جسد ليث.

انحنى ظهر ليث إلى الوراء من شدة الضربة، ثم وقع على الأرض. ركض حمزة نحوه، انزلق على ركبتيه بجانبه ثم رفع رأسه ووضع على فخذه، ويداه ترتعشان وهو يضغط على جرحه الذي ينزف بغزارة.

فتح ليث عينيه بصعوبة، نظر إلى حمزة نظرة مثقلة، وقال بصوت متقطع:

- أرجوك... سامحني... لم أستحق الحياة.

ارتجف فك حمزة وشفته ترتعشان، قطرات الدموع تساقطت على وجهه
ليث وصوته خرج متهدجًا:

- أنا قد سامحتك... ولكن لا تقل ذلك.

مد ليث يده المرتجفة، أمسك بذراع حمزة بقوة ضعيفة، وتابع بصوت
يخفت شيئاً فشيئاً:

_ شقيقك مات بسببي أنا قتلته و ليس لي أن استولي على الغنيمة فقط
بل ايضاً بدافع الغيرة... الغيرة من أن يكون له أخ مثلك، لقد تمنيت أن
تكون اخي وعندما رأيتة امامي فكرت أن بعد موته لن تجد من تلجأ اليه
سواي... أرجوك سامحني.

تساقطت دموعه وهو يرفع بصره إلى السماء، شفثيه ترتجفان:

_ وداعاً يا حمزة... وداعاً..

انفلتت يده من ذراع حمزة وسقطت على الأرض بينما ابتسامه باهتة
ارتسمت على وجهه ثم غاب صوته إلى الأبد.

صرخ حمزة :

_ لاا... لا تمت يا ليث... لا تمت يا أخي!

شد جسده إلى صدره ورأس ليث مثبت على حجره، ودموعه تنهمر بلا توقف أصوات البكاء ارتفعت من المجموعة حوله كل شيء ارتجف بوقع الفقد.

لكن لم تُتَح لهم الوحوش وقت للحزن، مدت هاتور ذراعيها إلى الأمام فانطلق من يديها وهج ناري فأضاء العتمة.

كان في الخلف تبار وصديقه طاع، ثبّتوا أقدامهم وبدأت دوامة هائلة من الرياح تدور حولهم لقد اطلقوا إعصار لم يسبق للفينتريين أن أطلقوه من قبل.

صرخت هاتور بصوت يملؤه الذعر مشيرة إلى زيدان:

_ قل فعلاً حسناً فعلته... أسرع الوحوش تعود!

تجمد زيدان في مكانه، عيناه تدوران في فراغ مليء بالتشويش:

_ لا أتذكر شيئاً... عقلي فارغ!

تابعت:

_ نحن نعتمد عليك تذكر فقلبك ليس فارغاً.

تبار وضع يده على كتفه صوته يتوسل:

_ أرجوك... قل أي شيء الآن.

رفع زيدان رأسه فجأة عيناها تلمعان بدموع متحجرة، وصوته متهدج:

_ قبل خمس سنوات... ترك جاري خلفه أرملة وأربعة أطفال يتضورون جوعاً... كنت أسمع بكاءهم يخترق ليلى، فأقسمت أن أراهم.

اهتزت المكان والوحوش توقفت لحظة كأن شيئاً غير مرئي شدها.

واصل حديثه بصوتٍ يعلو:

_ كنت أترك الطعام عند بابهم في الليل، أهرب قبل أن يراني أحد. ثلاثة أشهر كاملة فعلت هذا... حتى انكشف أمرى. اتهمني رجل خسيس بأننى أعاشر الأرملة!

ضرب زيدان صدره بقبضته، وصاح من الأعماق:

_ حينها... قلت أمام الجميع هذه المرأة زوجتى على سنة الله ورسوله وقبل أن ينكشف أمرى تزوجتها فعلاً و لكنى لم المسها، أشهد الله أننى ما أردت بها إلا ستراً ورحمة، وأن أبناءها صاروا أبنائى !

تصدعت الأرض تحت أقدامهم، واندفَع نور هائل من جسد زيدان، ارتجفت الوحوش وتراجعت، تصرخ بصوت غريب وهي تحاول الاحتماء من النور.

رفع زيدان يديه نحو السماء:

_ يا رب أنت تعلم أنني فعلت ذلك لوجهك الكريم... فارحمهم كما رحمتني!

في تلك اللحظة غمر الضوء المكان، وتكسرت سلاسل الظلام، والوحوش صارت رماداً يتطاير في الهواء.

الفصل الخامس عشر «سوار هاكور الملعون»

ارتفعت رفرقة الأجنحة خلفهم وانشق الهواء بصوت جاف يجرح السمع. ظهرت أفيارا عيناها تلمعان ببرودة لا حياة فيها، وصوتها اندفع من أعماق الشق المظلم قائلاً:

_ انتهت المرحلة الأولى حان وقت الثانية. موعدكم على أرض البشر... ولن يفتح لكم الباب الأخير إلا بسوار هاكور. أحضروه وإلا سيُدفن كل ما تبقى منكم.

هبطت بخطوة ثابتة ثم غرست عصاها في الأرض. ارتجت التربة، وانبعث نور قاسٍ من الشقوق أسفل أقدامهم، التف حول أجسادهم يقتادهم قسراً.

حمزة كان يضغط على جسد ليث الملقى بين يديه، صرخ صرخة يائسة:

- دعوني أبقى معه لن أرحل!

لكن النور انتزع ذراعيه وانتشل صوته، وجذبه بعيداً عن صديقه، تاركاً صدره يخنق بالخذلان.

انغمس الجميع في دوامة الضوء، واندفعوا نحو الأرض الجديدة. بما فيهم الفرسان المتبقين من فينتيريا.

نظر تبار إليهم، ثم أخرج كتيباً من جراب ملابسه، كان قد احتفظ به طويلاً من أجل هذه المواجهة وقال بصوت متهدج بالجدية:

_ علينا أن نحذر من لعنة الساحر... الأمر أعقد مما تتخيلون.

فتح الكتاب وتقلبت الصفحات تحت أنامله المرتجفة، حتى توقفت عند قصة الملك هاكور.

قرأ بصوت مرتفع:

في الأزمنة البعيدة، حين كانت الأرض تحت حكم الظلال والملوك يغذون جشعهم بالدماء، حكم الملك هاكور بكل طمع وجبروت لم يكتفِ بعرشه، ولا بكنوز أرضه، بل سعى خلف الكنز الأسطوري المحمي بأقوى اللعنات القديمة... كنز يقال إن من يمتلكه يُمسك بمفتاح الخلود لكن الكنز لم يكن مهجوراً ففي أعماق كهف منسي، كان الساحر نيرمينوس يقف حارساً له رجلاً لم يعد بشراً، قلبه ينبض بلعنات خالدة تتجسد فيها الفوضى والموت.

و حين جاء هاكور بجيشه العظيم مدججًا بالجنود والسحرة، أدرك نيرمينوس أن الساعة قد حانت فوقف في قلب الكهف وبدأ يتلو أول تعويذة:

إِسْفَارُ نِتِ دَوَاتِ جِمِ نِتِ خِبِ إِنْتِ إِرِي إِيْبِ نَحْبِ كِنِتِ آمِ نَبِحِ، جِمِ إِنْتِ إِيْمِيُو إِيْر.

(أيها الحُرَّاسُ العظام للعالم السفلي، احشدوا قواكم، وامزجوا الظلام بالحياة دعوا الفوضى تسود، ولتسقط الأرواح في ظلال الموت).

الأرض اهتزت، والهواء امتلأ بصراخ آلاف الأرواح. ومن قلب هذه الظلمات وُلد أول وحش:

أم-ميت وحش الانتقام، جسده خليط بين الأسد والتمساح، يلفه لهيب أسود. نفت النار ومزق الجنود بأسنانه، وكل من لمسه احترق جسده وتحول إلى رماد، بينما روحه انسحبت إلى العالم السفلي.

صرخ بصوت مدوّ:

إير خب نيت أم ميت! ستكونون جميعًا عبيدًا للانتقام

لكن هذه لم تكن سوى البداية... فما إن فُتحت البوابة بأم-ميت حتى تدفقت منها بقية اللعنات.

من ظلال الأرض خرجت لعنة حِكت، تتلوى كثعبان يبتلع الأرواح في
العدم.

ومن العاصفة الرملية وُلد ست، عملاق الفوضى، يحطم كل ما يلمسه.

ثم ارتجت الكهوف حين ظهر أنوبيس، سيد الموت، عيونه كالذهب،
يخطو فتسقط الأرواح قبل أن يلمسها.

وأخيرًا... من اتحاد كل هذه اللغات وُلد الخامس وحش الخلود لم يكن
له شكل محدد، كان كتلة من العتمة والدم وجهه يتغير كل لحظة بين
وجوه الضحايا هذا الكيان لم يُخلق ليقتل فقط، بل ليأسر الأرواح في
سوارٍ واحد... سوار هاكور.

حاول هاكور أن يقاتل، أن يستخدم السحر ليكسر القيود، لكنه كلما
صرخ، امتص الوحش جزءًا من حياته وحين لمس أنوبيس روحه، لم
يعد يملك سوى السوار في يده عندها اندمجت كل اللغات في ذلك
السوار لتجعله الوعاء الأبدي... سقط هاكور جسده تحول إلى غبار
وصوته ظل يتردد داخل السوار إلى الأبد، يهمس لمن يقترب منه:

_ من يلبسني... يرث لعناتي.

حمزة كان يسمع، ودموعه تتساقط بلا توقف فلاحظ مصطفى ذلك فوضع يده على رأسه برفق:

_الراحلون قد رحلوا لكن أثرهم يبقى محفورًا فينا... في قلوبنا وفي كل لحظة نعيشها.

حمزة:

_لماذا يحدث هذا معي الألم لا يتركني، وجسدي منهك والبرد ينهش يدي والأمل يخف... كأن العالم لا يحتاجني.

مصطفى:

_دع قدميك تلامس الأرض... هل تشعر بحرارة الرمال تحتك؟

حمزة:

نعم... إنها حارة.

تابع :

إذا قمت بما فعلته في منتصف الليل... هل ستشعر بالبرودة؟

حمزة:

_نعم... شديدة.

_ انظر يا حمزة لكل لحظة شعورها... ولا يمكننا تقدير دفاء الشمس إلا بعد تجربة برد الليل، ولا يمكننا إدراك قيمة الحياة إلا بعد مواجهة الألم. كل شعور يحمل معنى، وكل ألم يعلمنا شيئاً عن أنفسنا.
ثم مد يده لمسح دموع حمزة الدافئة وأضاف:

_ دموع الرجال ليست ضعفاً، لكنها إعلان عن القدرة على الشعور... القوة الحقيقية ليست في اختفاء الألم بل في قدرتنا على الاستمرار رغم وجوده.

قاطعتهم هاتور عندما سألت تبار:

_ لقد أخبرتنا عن اللعنات وما حدث لهاكور ولكن كيف تمكنت من الحصول على السوار خلال مواجهتك السابقة؟ لقد ذكرت أنك وصلت إلى المرحلة الثالثة.

ابتسم تبار وقال:

_ كل من يستطيع تخطي تحدي تغييره أفيارا في العام التالي، وقد حصلت على تفاصيل المسابقة من الإعلان الذي نشرته على الفينتينين.
تابعت بدهشة:

_ ولكن من أين لك هذا الكتاب؟

أجاب :

_ بحثت طويلاً عن كتاب يتناول موضوع هاكور، ولم أتمكن من العثور عليه حتى ساعدني طائع. أخبرني أن اسم الكتاب هو دم الطلاسـم وأن جدته كانت تمتلكه.

_ لكن كيف سنجد ذلك السوار؟؟

نظر إليها ثم الى الكتاب وبدأ يتصفح الصفحات التي تلت اللعنات، حتى انغمس في القراءة قائلاً:

«إلى من يبحث عن سر الزمن الذي لا يتغير، اعلم أنك في طريق طويل وعسير. ابدأ من حيث يلتقي الجبل بالشمس في جبوتي ثم اعبـر حيث يتحدث الماء ولا يجري في شـدت واصل طريقك عبر أعمدة الأبدية في واست ولا تتوقف حتى تصل إلى جبل العتمة، حيث لا تشرق الشمس أبداً، لكن القمر وحده هو الذي يحمل الحقيقة.»

سأل زيدان باستفسار:

_ ماذا تعني كلماتك؟؟

اجاب تبار جيبوتي تعني (الجيـزه) شـدت(الفيوم) بينما واست تكون (الأقصر) تأملوا هذه الجزئية من الكتاب إنها تحتوي على خريطة تُرشدنا إلى كيفية العثور على الكنز الملعون.

تشير المواقع المحددة في الكتاب إلى مواقع فرعونية ينبغي علينا استكشافها لكشف أسرار الكنز إذا اكتشفنا سر كل مكان نستطيع فك اللعنة التي تنتظرنا في السوار لكن يتطلب استكشاف كل موقع مواجهة لعنة معينة، تمهيداً لفك جميع اللغات.

سأل مصطفى:

كيف سنتوجه إلى الجيزة؟

ابتسم تبار ثم غمز لطاع ورفع يده أمامه فتحركت الرياح بشكل غريب، بدأت دوامة تتشكل حولهم، تحبس كل ذرة هواء في مسار محدد. أصابتهم قوة دفع فجائية، كل منهم شعر بثقل جسده يتغير مصطفى شد قبضتيه، وثبت قدميه على الأرض ليتوازن زيدان ثنى ركبتيه ورفع ذراعيه ليقاوم السحب حمزة انحنى قليلاً، متأهباً لأي تغير مفاجئ، بينما هاتور تركت يديها أمامها .

ارتفعوا تدريجياً مع الإعصار. تبار كان مركز التحكم يوجه الدوامة بحركة يده، وببطء بدأ الإعصار ينقلهم إلى المكان المستهدف بعد لحظات، بدأت الدوامة تتفكك، وانفتح المشهد أمامهم كاشفاً عن الأهرامات الثلاثة

تأمل مصطفى المشهد :

_ أين يكمن السر هنا؟

_ تبار رفع يده الى الهرم الأكبر مشيرًا إلى خطوات الهرم الأولى،
وقال:

_ ابدأوا بالفحص الدقيق لكل حجر فكل نقش تجدوه وكل خط محفور. قد
يكون فيه المفتاح لأنه ليس في القوة بل في الملاحظة وفهم الزمن كما
هو مكتوب في الكتاب.

بدأ الجميع بتحريك يلمسون الحجارة يتحسسون الحواف يحاولون ايجاد
النقوش كل حركة منهم كانت محسوبة وكل خطوة كانت مدروسة، لأن
أي خطأ قد يفقدهم فرصة الحل.

بعد ثلاث ساعات من البحث نفذ صبرهم فالتفت زيدان الى تبار وقال نحن
نبحث منذ ساعات و لا يوجد أي نقوش هل انت متأكد انه المكان
الصحيح .

تبار :

_ نعم ولكن انا لا افهم شيء... مكتوب في الكتاب من يقف عند أقدام
الملك الأكبر ويرى الشمس من قمتها، سيدرك الطريق. اقدم الملك
الأكبر هو الهرم الاكبر على ما اظن..

فجأة بدأت الأمور تأخذ منحىً جديدًا. تجلت امام هاتور نقوش هيروغليفية محفورة على الدرج الرابع من الهرم .

_رع ست نت، ميا أنوبيس، أب دو دجوت.

ما أن نطقت بالكلمات حتى دوى في الأفق صوت مرعب هز أركان الهرم ذاته:

_من يفتح هذا الباب، سيُدنس دمه، وسيُلتهم من أنوبيس.

انبثقت لعنة أنوبيس مرة واحدة وأخذ الهواء من حولهم يتحول إلى ريح باردة، فجأة ظهر أمامهم كلب ضخم جسده معتم كأن الضوء يخاف الاقتراب منه عيونه الحمراء كانت شعاعاً للجحيم، وكل خطوة منه تزلزل الأرض تحتهم بينما تندلع الدماء من فمه.

صرخ تبار بجنون:

_اهربوا.

لكن لم يكن هناك مفر كان انوبيس أسرع من تلمحه العيون ، فبدأت المطاردة وكأنها سباق مع الموت، حينها أدركت قلوبهم أن الهروب لم يعد ممكناً.

حاول تبار استدعاء إعصار لحماية الجميع، لكن الرياح لم تستجب كأن السحر مشلولاً أمام هذه القوة الكونية.

لم يبأسوا زيدان شدّ قوسه وأطلق السهام نحو الوحش دون كلل

اتحد سحر هاتور ومصطفى ليتعاونوا معاً. رفع مصطفى خاتم الدمار واستحضر سيف البرق، ثم أشار باتجاه الوحش ليضربه البرق على رأسه. وفي ذات الوقت انطلقت هاتور وراءه، مُطلقَةً طاقتها المتوهجة، لكن دون جدوى فقد كان الوحش عنيداً ولم يتأثر بشيء على الإطلاق.

فجأة تعثر حمزة وسقط على الأرض استدار الوحش نحوه بشراسة، حيث تحركت مخالبه الضخمة نحو جسده في تلك اللحظة كان من المتوقع إراقة الدماء ولكن بلمح البصر انقض طاع على حمزة وأنقذه من براثن الموت بأعجوبة.

صرخ تبار بجنون:

_ الحل يكمن في الدرجة التي أخرجته توجهوا إليها... ركضوا نحو النقش الذي أخرجه بينما قامت هاتور بصنع قبة من الطاقة لتحميهم في أثناء التنقيب عن السر...

خرج الصوت من انوبيس بطيء على مراحل:

«أو إيوني دشم و مهوو نفرو فأن حعو محو ععت»

((من يجروُ على عبور حدود الظلام، ستحل عليه لعنة الأجداد، وسيظل مطاردًا بشبح الأبدية حتى يُدفع الثمن.))

ثم رفع يده وبدأ في امتصاص طاقت حياتهم مما جعل الدرع الذي يحميهم يبدو وكأنه يتلاشى. كانت عيونهم معلقة على الشمس التي بدأت تغرب في الأفق. كان التوتر يشل جميع تحركاتهم، لكن عند أول ظل داعب الدرج ظهرت نقوش جديدة لم يسبق لأحد أن رآها من قبل.

«إن مفتاح الزمن يكمن في تقدير الأقدار، فالحظة تفكير واحدة قد تنقذ حياة أو تُدمرها.»

بدأت عقولهم تدرك الواقع. لم يكن الحل في استخدام القوة أو الهروب، بل في فهم الزمن ومعناه. تأملوا في انوبيس الذي بدأ يخفف من سرعته، وكان إدراكهم للغز قد انتزع منه قوته. فاستدار بعدها واختفى مع نسيم الريح.

بعد هذا انفتح باب حجري ببطء مُصدراً صوتاً يشبه خشخشة موتٍ

الفصل السادس عشر: كنز العذاب «لعنة ست

دلفوا عبر الباب إلى أعماق ظلام دامس، انفجرت الجدران كأنها تمزقت من الداخل، تفيض منها أضواء باهتة كالجمر المشتعل الرموز الغريبة المحفورة على الجدران كانت تنبض بحياة مريعة تُنقش بدماء

قديمة لا تزال طرية، تتساقط قطرة تلو الأخرى على الأرض. الهواء كان متعفنًا بشكل لا يُحتمل، مشبعًا بروائح الجثث المتحللة، كان كل ركن من المكان يشهد على ألفية من الموت العنيف.

كلما خطوا خطوة، تصاعدت الأرض تحت أقدامهم مثل أنين الجثث المدفونة في عمقها، وكأن الأرض ترفضهم. الأصوات التي بدأت كهمسات بعيدة سرعان ما تحولت إلى نحيب جماعي مخنوق متوسلةً الخلاص.

الأضواء انطفأت فجأة، تاركة الجميع في ظلام حالك، لحظات الصمت التي تبعت ذلك كانت ثقيلة لدرجة أنها جعلت أنفاسهم تتسارع وكأنهم يغرقون في بحر من الرعب.

_ ما هذا الصوت صرخ زيدان وهو يضع يديه على أذنيه، محاولاً عبثاً صد تلك الأصوات المتسللة إلى أعماقه.

_ الأرواح تتحدث إلينا... تمتعت هاتور بصوت مشدود من الرعب.

_ إنها تحاول سرد قصتها... لكنها ليست قصة للخلاص.

الأصوات تصاعدت إلى صيحات وبدأت الكلمات تتحول إلى كلمات مفهومة أو لعنات مريعة:

_ نحن الملعونون الذين لم تنتهي حياتهم بالموت بل بدأ عذابهم بعده...
أجسادنا نُسفت أرواحها بوحشية... وعُلقنا بين الحياة والموت... هذا
السجن ليس جدرًا... بل هو لحمنا الذي تمزق.

الأصوات استمرت في التلاشي والظهور:

_ ننتظر كل من يخطو هذه الديار لينضم إلينا... ستُسحب دماؤكم مثلنا،
وسيبقى عذابكم للأبد.

ثم بدأ صوت آخر أشد قسوة وبرودة:

_ كل خطوة تخطونها هي نحو هلاككم... نحن نراقب نحن ننتظر،
ستمزق أجسادكم كما تمزقت أجسادنا... أنتم هنا لتكونوا جزءًا منا.

كان الصوت ينفذ إلى أعماقهم، يلتف حولهم مثل كابوس حي.

فجأة اشتعلت الجدران بنيران سوداء وبدون أي إنذار انشق الظلام من
حولهم وكأن الستار الأسود الذي كانوا يسرون فيه قد تمزق بعنف،
ليقذفهم مباشرة إلى بحيرة موريس الجافة كان الانتقال مباغتًا ومربكًا،
كأنهم انثزوا من أعماق الليل ووضوا تحت شمس قاسية دون سابق
تحذير...

كانت البحيرة الجافة لكن رائحة الطين القديم، كان لا يزال مشبعًا بالرطوبة المتبخرة التي ملأت أنوفهم، فيما أشعة الشمس الحارقة اخترقت السماء الملبدة بالغيوم الكثيفة لتزيد من ثقل الجو عليهم بينما كانوا يتفحصون المكان الغريب من حولهم.

زيدان بصوت متقطع:

هل أستطيع أن أطالب بجائزة بعد تلك الففزة؟ ربما جائزة للجنون... أو وسام للحمقى، لا سأغير رأيي اريد بطة التهمها ونام وجدتي تغني تحت الحمام.

مصطفى تقدّم نحوه بعينين تشتعلان غضبًا :

_ أي جائزة يا زيدان؟ جائزة لأنك ما زلت تتنفس بينما العالم تحول إلى رماد؟ أنت أشبهه بجلد حيوان نافع، يُضرب ويُداس لكنه لا يشعر. نحن نُسحق كل يوم كحشرات تحت حذاء الموت، وأنت؟ أنت تضحك، تتحدث عن الحب عن السخرية كأنك تعيش في عالم من قطن. قل لي، بأي قلب تفعل ذلك؟ أهو قلب أم حجر بارد؟ هل ما زلت إنسانًا أصلًا؟

زيدان ضحك ضحكة قصيرة مرة ثم تكلم كأن السخرية تذوب في الألم:

إنسان؟ يا مصطفى أنا مجرد جثة تمشي. هل تعلم كم مرة حاولت الهرب من هذا الخوف الذي يعصف بي؟ هذا الحزن الذي يلتهمني؟ أنا

أسير في جسد مكسور يصرخ بصمت. أريد أن أهرب... لكن من أين؟
من نفسي؟ من هذا العالم الذي يغمرني بالظلام؟ أنتم ترونني مبتسماً
لكن في داخلي عاصفة. لماذا لا تسمعون صرختاتي؟ هل أصبحت شفافاً
لهذه الدرجة؟

_ بل أصبحت تهرب، تُخدّر قلبك بالضحك السخيف نحن ننزف وأنت
تعزف لحناً بانساً تريد أن تتحرر؟ تحرر أولاً من جيبك!

زيدان اكمل بتلك الابتسامة الباهتة المليئة بالخدلان):

_ جيني؟ يا رجل، نحن جميعاً جبناء الفرق فقط أنني أعترف. أنتم
تمثلون البطولة أمام الناس وتكون كاليتامى في صمت تقول إنني لا
أشعر، بينما الحقيقة أنني أشعر أكثر من اللازم، حتى أنني كرهت
الشعور نفسه.

هاتور تقدّمت بخطى ثابتة:

_ مصطفى، توقف لماذا تجلد زيدان وكأنه عدوك؟ هو مثلك، يحمل
جراحاً لا تلتئم. هل رأيت في عينيه بقايا الأمل التي يحاول التمسك بها
وسط الخراب؟

مصطفى بغضب ممزوج بسخرية لاذعة:

_ الأمل؟ أي أمل؟ هل تتحدثين عن الأمل بينما نحن نغرق في سواد لا قاع له؟ الأمل ترف، كذبة نتمسك بها كي لا نعترف أننا مهزومون. زيدان لا يحمل أملاً، بل وهمًا. وكل وهم يقتلنا أكثر.

_ وهل تريدنا أن نصبح نحن أيضًا كالأقذار؟ قساة، عميان، لا نرى إلا موتنا؟ كل إنسان يواجه الكارثة بطريقته. أنت تختار الغضب، هو يختار السخرية هل تريد أن تسلبه حقه حتى في طريقة احتضاره؟

مصطفى بابتسامة مرة، محملة بالتهكم :

_ ها أنتِ تدافعين عنه... لأنه حبيبك، أليس كذلك؟ ليس غريبًا أن تكسري رمحك لأجله بينما نحن نتفتت.

هاتور :

وهل يهم السبب؟ إذا كان الحب هو ما يمنحني القوة لأحميه، فهو الشيء الوحيد الحقيقي وسط هذا الخراب. أما أنت يا مصطفى... بأي شيء تتمسك؟ بالحد؟ بالجروح؟ أم بوهم أنك الأقوى بينهم؟

مصطفى صمت لحظة، ثم اطلق تنهيدة ثقيلة كأنه ينهار ببطء:

أنا... أنا مجرد رجل خسر ابنته وأهله. لم يتبق لي سوى الغضب كي يملأ فراغي. لم أرَ آلام زيدان لأنني غارق في آلامي.

هاتور بصوت خافت :

_ كلنا غارقون. لكن الغرقى لا ينجون إذا بدأوا في دفع بعضهم للأسفل. زيدان يحتاج إليك، وأنت تحتاجه. نحن لسنا أعداء، بل أشلاء تبحث عن يد أخرى كي لا تختفي في الظلام.

مصطفى تنفس ببطء، نظر إلى زيدان وكأنه يراه لأول مرة:

_ أنت محقة يا هاتور... ثم التفت نحو زيدان، سأحاول يا أخي، سأحاول أن أكون إلى جانبك. لعلنا معاً نستطيع خداع هذا الموت ولو قليلاً.

ابتسم زيدان ابتسامة باهتة، وأوماً برأسه وكأنه يوافق مصطفى بلا كلمة.

في تلك اللحظة، انخفض رأس تبار على الكتاب، ثم ارتفع فجأة وقد اتسعت عيناه:

_ هذه... هذه الجملة لم تكن هنا من قبل لقد كتبت الآن

طانع:

وماهي؟؟

_ الماء الذي لا يتحرك يخفي أسرارہ.

وما إن نطق بها حتى ارتجت الأرض تحتهم. رياح هوجاء عصفت،
والرمال تحركت و من عمق الصحراء ارتفع جسد هائل ، كيان يبتلع
الأفق بعينه المشتعلتين.

كان صوته يتسرب إلى عقولهم لا إلى آذانهم:

_ مان إينو نهرن شازار...

ارتجف صوت تبار:

_ إنه... ست.

حاول تبار وطائع تشكيل إعصار لرده، لكن ست اكتفى بابتسامة ساخرة
وألقى بالريح كأنها لا شيء.

تقدمت هاتور، عيناها تلمعان بالبياض، وهتفت بتعاويد غامضة،
فانطلقت سلاسل سحرية من يديها والتفت حول جسده. لكنه مزقها بلا
جهد، وهمس:

_ سا نختي رع، مي نخت نجم ن خعو، نسرت إمتورع كا إساو.

شهقت هاتور بصوت متعب:

هاتور:

لا أستطيع تقييده ... قوته... فوق الوصف... تبار فكر في الحل .

أمسك تبار رأسه يضربه بعصبية:

انا فكر... أفكر... لا بد أن للجملة معنى.

ست:

_ تفكر؟ أنتم تحاولون التفكير أمام من يعرف عقولكم أكثر منكم؟ أيها البشر والجن.. أنتم تقرأون الكلمات ولا تفهمون، تملكون الكتب وتفقدون البصيرة .

مصطفى: قد نكون كما قلت ولكن لن نتوقف ما دمنا نحيا.

قهقه ست باستهزاء:

_ تحيا؟ أنتم لا تحيون... أنتم تتشبثون بما تسمونه حياة تنامون على خوف وتستيقظون على جوع، ثم تقولون نحيا. ما أسخف أن تبرروا ضعفكم بكلمة.

التفت تبار بحدة وقال بلهجة منكسرة:

تبار:

_ ربما... ربما ما يقوله ليس بعيداً نحن نكذب على أنفسنا استخدمنا القوة لا الحكمة أردنا الوصول لكننا لم نفهم .

وقتها خطرت في عقل مصطفى فكرة رفع خاتمه نحو السماء ونادى:

_ يا ثوكليد ساعدني خرج من الخاتم ثوكليد بوجه جامد لا ينم عن أي
مشاعر مصطفى بسرعة:

_ كيف نتخلص من ست ???

رد ثوكليد بصوت بارد:

_ الحل في الغيوم...الغيوم التي فوق البحيرة تحمل أبخرة المياه التي
كانت هنا إذا نزل المطر سيعود الماء ثم اختفى داخل الخاتم مجددًا.

رفع مصطفى يده نحو السماء من جديد ونادى:

_ يا سندان أعطني سيف البرق انشقت السماء وظهر سيف البرق في
يد مصطفى بدأ يضرب به الغيوم ، لكن الغيوم كانت تتوهج أثر البرق
فقط دون أن تسقط المطر.

صرخت هاتور بصوت متقطع:

_ طاقتي توشك أن تنفد.. لن أتمكن ...من الصمود طويلاً أمامه.

اقترب طائع من زيدان، ممسكاً بقوسه وأضفى عليه وهجاً أخضر وكأنه
نقل جزءاً من طاقته إليه ثم قال لزيدان:

_ اضرب الغيمة بكل ما لديك ولا تخف.

في تلك اللحظة، سقطت هاتور على الأرض مغشياً عليها، لكن تبار تدخل بسرعة وصنع إعصاراً صغيراً ليخفف من سقوطها نظر «ست» نحو تبار واتجه ناحيته مسرعاً، تبار حاول الهرب لكن خطواته القصيرة لم تسعفه، تعثر وسقط على الأرض وانكسرت قدمه الخشبية. زحف على الأرض محاولاً الابتعاد، لكن الوحش أمسكه بيد واحدة ورفع يده الأخرى ليمسك برأسه.

في تلك اللحظة الحاسمة، استجمع زيدان كل قوته وأطلق سهمه نحو الغيمة. اخترق السهم السماء بسرعة رهيبية وعندما وصل إلى الغيمة، تشققت السماء بأضواء مذهلة. انهمرت مياه غزيرة، جرفت الأرض اليابسة وأحيت بحيرة مورييس.

بينما تدفقت المياه، بدأ جسد الوحش يتلاشى ببطء، صرخاته كانت تعبيراً عن ألم لا يوصف، عيناه اللتان كانتا تشتعلان بالنار انطفأتا تدريجياً حتى تحولت إلى مجرد شرارة خاطفة قبل أن يختفي تماماً في العدم.

رفع حمزة رأسه نحو السماء وقال بصوت مرتجف:

هل... انتهى هذا الكابوس؟

رد مصطفى وهو يتأمل البحيرة التي باتت تلمع تحت ضوء الشمس:
 _ربما انتهت هذه المعركة... لكن الرحلة لم تنته بعد. هناك ما هو أعظم
 ينتظرنا.

بينما يقفون أمام البحيرة ، بدأ سطح الماء يتلألأ بطريقة غريبة. فجأة
 تجمعت قطرات الماء لتشكل وجهًا هادئًا.

تحت الأضواء المتلألئة، بدأت تظهر كلمات مكتوبة على سطح البحيرة:

_في غياهب الموت ينمو ينبوع، وللحياة مفتاحها في أعماق القلوب.
 من يبتغي الحياة، عليه أن يتجاوز ظلال اليبس.

عندما قرأت هذه الكلمات، كانت الرياح تهب بعنف، والأفق يتلون بلون
 أحمر قاتم، ثم بدأت المياه تتفاعل مع تلك الكلمات، وتتشكل بوابة
 غامضة في الهواء.

لكن هذه البوابة لم تكن عادية. انبعث منها ضوء أخضر شاحب،
 وزخارف معقدة تتلوى

فجأة، انفجرت المياه في دوامة عاتية، وكأنها تتصارع مع كائن خفي.
 تلاشت الألوان من الأفق، وتحولت إلى ظلال مروعة، بينما كانت
 البوابة التي تشكلت تتفتح ببطء كأنها تلتهم الهواء حولها.

همس تبار وهو يراقب ذلك المشهد المرعب:

هل نحن مستعدون لما يكمن خلف هذه البوابة؟

الفصل السابع عشر: الظفر بالسوار

كان طائع يثبت عينيه على تبار، نظرة ثقيلة لا تعرف إن كانت عتابًا أم حنانًا ثم أخرج من حقيبته قدمًا خشبية أخرى بدل التي كُسرت ووضعها أمامه بهدوء.

تبار:

لم... لم تنسني؟ أتيت بهذه من أجلي؟

طائع:

أنساك؟ يا رجل حتى لو أردت نسيانك، كلما نظرت في المرأة رأيت ظلك بجانبها. أنت جرح لم يُختم وأثرها فيك لا يتركني.

تبار:

كنت أظنك تحمل الضغينة... كنت أعتقد أنك تراني شريكًا في موت هند... ربما أكثر من شريك.

طائع: لم أكرهك يومًا... لكنني لم أعفر لك أيضًا. أحببتك لأجلها فهي اختارتك زوجًا وصديقًا لعائلتنا. لكنها أيضًا اختارت نهايتها، يا تبار أختي هند... اختارت.

تبار:

_ تقول اختارت كأنك تبرنني من دمها، لا أنا من وافق على ذلك الأختيار، أنا من عجزت يداي عن انتشالها من مصيرها.

طانع:

_ وهل تظن نفسك الله حتى تتحكم في مصائر الآخرين؟ لا يا أخي كل إنسان يختار نهايته بوعي أو بغير وعي أنت لم تقتلها... هي التي قررت أن تتركنا. لكنك تعشق جلد ذاتك، لأنك تريد أن تبقى بطل المأساة. مأساة هند ليست مسرحية تُعرض لأجلك.

أطبق تبار جفنيه، والدموع تسيل على وجنتيه:

_ لكن قلبي يصرخ... اشتاق إليها كيف أعيش وأنا أحمل عار بقائها في القبر؟

طانع:

_ تعيش كما يعيش كل مكلوم. تحمل ندبتك وتمشي أما العار فليس في موتها... بل في عجزك عن تقبل أن الموت اختيار، لا عقوبة لقد قالتها الحياة بوضوح:

_ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله.

مد طائع يده، ووضع القدم مكان قدم تبار المبتورة بدا المشهد وكأنه إعادة بناء رجل مهدوم.

ثم أمسك بيده وأوقفه بحزم وخطوا معًا نحو البوابة..

وبينما الجميع يتبعهم ابتسم مصطفى وحاول أن يبدد كآبة زيدان ثم قال ساخرًا :

_ أهذا حبّ أم جنون؟

_ ماذا تقصد؟؟ سأل زيدان !

مصطفى:

_ إن هاتور ستبقى على صورتها صبيبةً لا تشيخ بينما أنت ستبلغ الأربعين ثم الخمسين ثم تذبل كأيّ بشر.

زيدان:

_ إن القلوب لا سلطان لها إلا على القلوب فلا أخشى أن أهرم أمامها، لأنني أعلم أنها لا ترى تجاعيد الزمن، ولا تلتفت إلى ما يراه الناس. هي تبصر ما لا تبصره ام بثينة..

ضحك مصطفى مستمتعًا بالحديث:

_ لا... زوجتي درية تبصر كل شيء ترى ضعفي حين أنهار، ترى غصبي حين أضطرب، ترى خوفي حين أرتجف ومع ذلك تبقى بجانبني. أما معشوقتك فهي لم تري منك الا القليل .

أطرق زيدان رأسه لحظة ثم رفعه مبتسمًا:

_ نعم نختلف... لكننا في النهاية قلبان أبتليا بنار الحب، كلُّ يحترق على طريقته.

قال مصطفى وهو يضحك :

_ قد جعلتني كلماتك أشتاق إلى أمّ بثينة.

ضحك زيدان بدوره حتى ارتفع صوتهما ثم مدَّ يده ليصافح مصطفى، فالتقت يدهما في عناقٍ حار، يعكس عمق الصداقة وروابط المحبة التي لا تفتّر.

وما هي إلا لحظات حتى اجتازوا البوابةُ فإذا هم أمام صرحٍ مهيب ينهض في قلب الصحراء . معبد أبي سميل.

داروا في أروقة المعبد، يبحثون ويفتشون على اي شيء يكشف لهم اللغز الجديد ..

حتى إذا طال بحثهم، توقف تبار فجأة كأن قلبه اهتدى قبل عينيه اقترب من جدارٍ في الجانب الشرقي تلمس النقوش بأصابع مرتعشة.

_ عندما يعانق القمر الحجر الأسود يفتح الباب المؤدي إلى الجبل العتمة.

أدرك تبار أنها ليست مجرد كلمات، حيث يُقال إن جبل العتمة يختبئ خلف الستائر مكان لم يريّ الشمس ولم يفارق ظل القمر.

وبينما كانت الكلمات تتردد في الأذهان، تسلفت أشعة القمر عبر الأعمدة الحجرية، لتكشف عن الحجر الأسود في قلب المعبد. لمع بريقه مع الضوء، كأنه يرسل إشارة. اقتربت هاتور بجراًة، وما إن لمستته حتى اهتز بخفة، ودوى صوت غريب في أرجاء المكان:

_ اختاروا... فمفتاحكم في القلوب.

ارتفعت حرارة المعبد فجأة، وانطلق شعاع ضوء من الحجر نحو الأفق. نظر الأصدقاء إلى بعضهم وقد شعروا أن عليهم اتباع هذا الضوء. استداروا فرأوا الجبل البعيد واضحاً أمامهم.

زيدان:

_ لقد مضت ساعات منذ آخر قتال لنا.

حمزة مازحاً:

_وأنا أيضاً، أحتاج أن أواجه شيئاً جديداً.

قال تبار بجديّة:

_إذن لنؤجل الكلام، ونكمل الطريق.

مع اقترابهم من مدخل الجبل، شعروا بأن كل خطوة تخطوها ترسم ملامح جديدة في خريطة قلوبهم. كانوا كأشجار تتمايل بفعل الرياح، تحمل عواصف التجارب والصراعات التي خاضوها في حياتهم. ثم جاء الصوت، هامساً في أذانهم:

_من يبحث عن النور يجب أن يتقبل ظلامه أولاً.

ما إن وطأت أقدامهم ظلال الجبل حتى تجمد الزمن قليلاً لكن لم يمكثوا في هذا طويلاً إذ انقطع الهدوء.

وصدى أصوات موتى أجج الرعب في قلوبهم ترددت صرخاتهم في الأرجاء مع كل خطوة، كانت الأحشاء تتلوى في صدورهم، وتخلوا رؤوس الموتى تراقبهم من بين الظلال، عيونهم فارغة لكن مليئة بالقصص والآلام.

كلما تقدموا ازداد الرعب وبدت الأبواب المظلمة وكأنها تقودهم إلى حتفهم وما إن تقدموا أكثر حتى تسالت من الجماجم المنتشرة على جوانب الجدران اغنية جهنمية . كانت الجماجم صامتة، لا تتحرك

شفاهها، لكن الصوت يُخرج من الأعماق ليحتل المكان بأغنية مدوية
مصحوبة بطبول وعزف غريب أتى من المجهول. بدت الأغنية تراثية،
وكلماتها تحمل في طياتها نبرة من اللهجة الصعيدية:

يقولون في صوت واحد.

((يا نيل دارس، يا بحر كاين

خدوك نزلت، بدم داين.

يا جبل عالي، جواه كدر

وأنت طایل، يا درب من.

يا ليلي ظلل، في موتي كن،

أراك بتهمس، يا قلب حن.

هاكور جالس في موته يعوي،

بذكرى سودة، يجوب يجن.

يا روح ضايعة، فوق الثريا،

صدها هبت، ألمها جايه.

يا ظلم خيم، في كل ركن،

وحوش دارت في أرض دن))

انفجر زيدان في نوبة ضحك هستيرية عقب استماعه للأغنية. فسألت هاتور عن سبب ضحكه، فقال:

_إنهم ليسوا موتى، بل هم مجرد حمقى. وأرغب في الرقص على كلماتهم، إذ يبدو أن حديثهم غير مفهوم كما لو كنت أريد تحريك جسدي.

ثم بدأ يُصَفِّقُ واللحن يتردد حوله، وهو يُدور بقدميه للأمام والخلف.

نظر مصطفى بنبرة ازدراء قائلاً:

زيدان هو زيدان ولن يتغير.

فجأة شعرت المجموعة بظهور رياح قوية، وعندما استداروا، فوجئوا بالعاشرين الذين جاءوا معهم من أرض فينتريا.

شهق تبار مذهولاً :

_ماكراش؟ كيف يكون هذا؟ ظننتكم أشلاء في التراب كيف وصلتكم إلى هنا؟

ابتسم مكراش ببرود وهو يتقدم:

_ وماذا تظن، أيها الأحمق القصير أن نلقي بأنفسنا إلى الموت بينما أنتم تمهدون لنا الطريق لقد كنا نراقبكم من بعيد فلماذا نواجه الوحوش ونحن نمك قطعاً من الأغبياء تُضحّي بأنفسها أماناً؟
هاتور:

_ يا لك من خبيث.

مكراش ضاحكاً:

_ لم تأتي بالجديد فمن يا ترى أخبث من قائد عصابة الدم الأسود؟ نحن ثلاثون شخصاً من أقوى عصابات أراض العوالم، لذا احترسي في اختيار كلماتك، وإلا سأقطع لسانك واعلقه ليزين رقبتني.

أشار بطرف عينه فتجمّع أفراد عصابته حولهم سريعاً حاول مصطفى استدعاء سيفه لكنهم كانوا أسرع منه، حيث قاموا بتقييدهم بسلاسل سحرية في زمن لا يتجاوز الدقيقة ثم تقدم مكراش نحو مصطفى قائلاً:
_ أرى أن هذا الخاتم سيكون أجمل في يدي، وهو يسحب الخاتم ضاحكاً.
توجه نظره إلى تبار قائلاً:

_ هل كنت تظن يقرم أنني سأتيح لك الوصول إلى نهاية.

تبار:

حتى لو وصلت إلى هذه النقطة ومررت من هذه المرحلة فلن تستطيع هزيمة التنين شكال.

نظر مراكش إلى دراكوس اخيه واحد افراد عصابته:

_ لا يدركون يا أخي أننا نسعي من أجل كنز هاكور فما يتضمنه من سحر وكنوز سيكفي لبناء مملكة مثل فينتريا أما بالنسبة لمرحلة التنين، فليس هناك داعٍ للذهاب إليها، فنحن سنملك ما هو أعظم من امنية أفيارا.

تحركت افراد العصابة الي الداخل وبعد خطوات قليلة عاد مراكش وانحنى أمام تبار قائلاً بخبث:

_ أنا من قتلت هند، وليس التنين.

استشاط تبار غيظاً ورد بصوت مرتعش جعل عروق رقبتة تتورم:
_ كاذب، كاذب.

رد دراكوس قائلاً:

_ أخي مراكش يسرق نعم، يزني ربما، يقتل دائماً، لكنه لا يكذب أبداً دعني أبوح بما لم يجرؤ لساني على قوله من قبل... هند لم يحرقها التنين ، بل نحن من أجهزنا عليها في ذلك اليوم.

_تظنون أنكم ستقتلوننا؟ انظروا إلى حالكم، مقيدون بسلاسل لن ترحم، ستلتف حولكم كالأفعى الجائعة تضيق مع كل نبضة ستعتصر أرواحكم إلى آخر نفس حتى تصبح أجسادكم هشيماً.

ثم التفتا وتابعا سيرهما مراکش وهو يضحك:

_هل قسوت على تبار عندما اخبرته..

دراكوس:

_انت لم تقسوا على أحد، فلا يوجد من هو احن منك..

مراكش:

_معك حق كما انني سأرسله إليها حتي لا يتعب اكثر من فراقها ...

ضحك الاثنان اكثر لتترد الضحكات في اذن تبار من بعيد ..

صرخ تبار بصوت حاقد:

_سأقتلكم اتسمعوني سأقتلكم ...

دخلت العصابة غرفة الكنز يظهر عليهم عدم المبالاة من قول تبار ، بينما بدأت القيود تشتد على معاصمهم ، تضيق أكثر فأكثر، تحاصر أنفاسهم وتخلق الحركة في أطرافهم كان تبار رغم قيده يُمسك بيده كتاب دم الطلاسم وعيناه تحملان شرارةً من تصميم غامض أسقط

الكتاب على الأرض بحركة متعمدة، ثم انحنى بهدوء مشيرًا بوجهه نحو الصفحات المتربة وبدأ يقلبها بأنفه:

يا حراس الأبواب الغامضة، ويا آلهة الظلام التي تسكن أعماق الأرض
يا أرباب الانتقام وأسياد الغضب الذين لا يروى عرشهم إلا بالدم
أدعوكم بأسماء لا تذكر إلا في الهمسات القديمة، وبأسرار محظورة منذ
الأزل استيقظوا من قبوركم أرواح الظلام زحفوا من عوالم الموت،
أرسلوا وحوشكم الجائعة أربعة كالليل الأسود، أربعة كرياح الطاعون،
لينقضوا على الأعداء بلا رحمة ليمزقوا لحمهم، وينزعوا قلوبهم،
ويلتهموا أكبادهم ولتكن بكتريا الخراب رفيقة لهم، تسري في عروقهم
تفسد كل خلية حتى يتلاشوا في الهواء كرماد تذروه الرياح، وليكن
انتقامكم كالنار التي لا تخمد أبدًا.

في اللحظة التي تلى فيها تبار التعويذة، رائحة الموت ملأت المكان.
عند الكنز وشق الظلام وانبعث منه أنوبيس، الإله ذو رأس ابن آوى،
بوجهه الخالي من الرحمة، وعيناه تومضان بنور خافت يشبه شفق
الموت نظر إلى مراكش نظرة مليئة بالكراهية، وبخطوات ثقيلة اقترب
منه.

ثم بلمح البصر مدّ يده القاسية، وثبت جسد الرجل بمخالبه، ليشلّ
حركته تمامًا وبأصابع باردة وحادة، غرز يده داخل محجر عين

مراكش، وبدأ في اقتلاعها ببطء، كأنما يلتذّ بسماع صرخات الألم المتصاعدة وقطرات الدم تسيل ببطء على وجنتيه. حينها لم يمنح مراكش فرصة لالتقاط أنفاسه مدّ أنوبيس يده مجدداً ليمزق صدره ويفتح الطريق إلى قلبه النابض وسط صرخات الألم المتقطعة ثم انتزع القلب

وفي نفس اللحظة، كان ست، إله الفوضى يخطو نحو ضحية أخرى بنظرة تتوقد بالشر تميز حضوره بطاقة عنيفة مدّ يده المغطاة بالظلام نحو وجه دراكوس لم يلمسه، لكن جسده بدأ يتعفن ببطء؛ بكتيريا قاتلة انتقلت منه إلى عروقه كعاصفة سموم بدأ جسده يتحلل أمام عينيه، لحمه يسقط قطعاً، يتلوى كأنما يحترق من الداخل، أنفاسه تتقطع، ولسانه يصرخ من فرط الألم. أطرافه تتحلل قطعة قطعة، بينما ست ينظر إليه ببرود،

كل هذا والأغنية تعلو في المكان

وتزداد.

يا نيل دارس، يا بحر كاين،

خدوك نزلت، بدم داين.

فور أن أنهى أنوبيس وست عقاب ضحايهما الأوائل، تقدمت عقرت،
 آلهة العقارب، وسط عاصفة من الدخان الأسود الذي أخذ يتكثف حولها.
 وقد تراقصت عقارب قاتلة على جسدها كأنها جزء منها دون تردد
 فتحت ذراعيها، لتطلق العنان لمئات العقارب السامة التي اندفعت كسيلٍ
 لا يُوقف.

بدأت العقارب تسري على أجساد الأعداء المتبقين، تغرز أذيالها الحادة
 في لحمهم. السم ينتشر في عروقهم كحمم منصهرة، تتصاعد صرخاتهم
 مختلطة بتشنجاتهم العنيفة ووجوههم تتلوى بملامح الرعب والألم.
 لحظات قليلة، وبدأت أجسادهم تتورم وتتشقق، فخرج منها الدم الداكن
 مختلطاً بالقبح، وانهارت أطرافهم واحدة تلو الأخرى، كأنهم يتحللون
 ببطء أمام بعضهم.

لم يمر وقت طويل حتى انهارت أجسادهم كأعمدة من الرمال، لم يبق
 منهم سوى هياكل مكسرة وأصوات تتلاشى مع آخر رمق من حياتهم.

ثم تلاشت الآلهة ببطء، تاركين وراءهم غرفة يغطيها الدم والجثث
 المتناثرة، وأرواح الضحايا محبوسة بين جدران الكهف كصرخة لا
 نهاية لها، تحكي عن عقاب لن ينسى.

في الخارج كان الأصدقاء لا يملكون أدنى فكرة عما يجري في الداخل ،
 إلا تبار الذي لم يزح ابتسامته المشوهة ، ولكن لم تمر سوى لحظات

حتى انبثق أنوبيس أمامهم لم يحتاج لكلمة واحدة، فقط رفع يده وأطلق تعويذته الساحرة، فانكسرت القيود حولهم ثم تقدم بهدوء نحو تبار، ووضع في يده السوار ألقى عليهم نظرة باردة مليئة بالتحذير، ثم اختفى كأنه لم يكن، تاركًا وراءه شعورًا ثقيلًا بالرعب والأسئلة التي لم يُجب عليها بعد.

سأل حمزة عما حدث فأجاب تبار مبتسمًا:

_ نحن من قمنا بحل الألغاز وكان آخر لغز يتعلق بتقديم الدماء للوحوش من أجل استصدار طلب منهم، ولم أجد أفضل من دم الخونة.

الفصل الثامن عشر: «رق القلب»

الأيام مثل ضمادات تهدئ الألم لكنها لا تزيله بالكامل. تبقى الآلام في دواخلنا كضوء خافت يرافقتنا، لتذكرنا أن العمر ليس مجرد أرقام تتعاقب، بل هو نسيج من التجارب التي تفتح لنا أبواباً نحو عوالم غير مألوفة. قد نسير على طرق غير مرئية، ومع ذلك سأواصل السير، وأسعى بشغف نحو السماء. صحيح أن الألم قد لا يزول، لكنه مع مرور الأيام يتضاءل، ليغدو جزءاً من رحلتي، يمنحني قوةً للاستمرار ويمهد لي الطريق نحو غدٍ جديد.

بعد اختفاء أنوبيس وجد مصطفى يد مراکش مبتورة أمامه لا يعرف من أين أتت ولكن هذا لم يمنعه من مد يديه ببطء وبحذر تناول الخاتم من الأصابع الممددة بلا حياة.

بانتهاه تلك المرحلة ظهرت أفيارا وهي تهبط من السماء، جناحها يلامسان الهواء بجلالٍ وصمتٍ مدّت يدها ثم رفعت السوار بثباتٍ من يد تبار، وقالت بنبرةٍ ثقيلةٍ :

_ والآن لم يبقَ أمامكم سوى قتل شكال.

وأمام أنظارهم فتحت بوابةً تفضي إلى ممرٍ طويلٍ ينتهي في ظلال كهفٍ يقبع فيه التنين.

تبار يسير وهو يحذق حوله بصمتٍ يشوبه الألم ثم تمت بصوتٍ بالكاد سمعه رفاقه:

_ هنا في هذا المكان الملعون... سقطت ... هنا رأيت أحلامي تتفتت هنا انكسرت هنا تجرعت مرارة الوجد والفراق ... هنا قتلت هند. أشعر أن قلبي جمرٌ متقد، نصفه تكسر من شدة اللهب، والنصف الآخر لا يزال ينبض بحرارة الحريق. دمائي سُكبت هنا... وكل جرح فيها شهد على ألمي.

مصطفى:

_ أعلم ما تمرّ به، فلا أحد يستطيع أن يفهم ثقل ما في قلبك إلا من ارتشف من ذات الكأس.

أخذ نفساً عميقاً، ثم أضاف:

الحزن يحاول أن يأسرنا، أن يشدنا إلى أعماق بلا قرار، وقد عشت فترة وأنا أظن أنه لن يرحل لكّتي أدركت، مع مرور الوقت، أن التفكير في الحزن لن يحررني، بل سيجعلني أسيراً له التجاوز يا صديقي ليس نسيان من فقدنا، بل السير في الطريق الذي كانوا ليختاروه لنا...

قال طائع:

_ هند كانت تريد لنا الحياة، أن نعيش كما يعيش باقي الجن في الخارج بعيداً عن هذا الظلام واللغات... أرادت لنا حياة لم نرَ منها شيئاً، ولكنها كانت ترى لنا فيها أملاً... فإذا خرجنا من هنا يا تبار فعلياً أن نمضي بوصيتها، نتمسك بما كانت تريده لنا وكأنها هي من يسير بنا على تلك الطريق.

نظر تبار إلى طائع وقد لمعت عيناه بدمعة مكبوتة، ثم أوماً برأسه بهدوء:

_ أجل يا طائع... هند كانت النور الوحيد في هذا الظلام، كانت الأمل الذي يبقينا واقفين. إن كانت قد أرادت لنا النجاة فلا بد أن نفي بوعدنا...

سنخرج من هنا، وسنعيش كما أردت وسنصنع لأنفسنا حياةً تستحقها
أرواحنا المتعبة.

ثم أغمض عينيهِ لثوانٍ كأنه يستجمع القوة من كلماتها الغائبة، وكأنه
بذلك الوعد يسير معها في دربٍ لا يعرف له نهاية.

كان الكهف غامض تبتلعه الظلال، حيث الصخور الداكنة تتدلى كأنياب
متحفزة من السقف الرطب.

على الأرض الموحلة، تتناثر صناديق مفتوحة مكدسة بالذهب
والجواهر التي تعكس نورًا خافتًا من نيران صغيرة مبعثرة حول المكان.

في زاوية قريبة، يظهر جمجمة متحللة وجسد متهاك، يبدو كأنه بقايا
مغامر شقي لم يسعفه الحظ في الخروج من هذا الكهف. بين عظامه
المبعثرة تتلألأ عملات ذهبية وقطع أثرية، وكأن الموت لم يكن عائقًا
أمام هذه الثروة التي ابتلعتها في النهاية.

قال زيدان، وقد لمع في عينيه بريق الوثائق من اكتشاف عظيم:

_ لدي فكرة للتخلص من التنين!

رفع مصطفى عينيه ببطء، وقد ارتسم على وجهه ملل عتيق وقال
بفتور:

_ لا تفكر.

لكن زيدان أصر:

ولكنها فكرة عبقرية.

تنهد مصطفى :

قلت لك، لا تستعمل عقلك.

حسنا سأقول فكرتي واشكركم مقدماً على سعة صدركم .

تثاءب حمزة وهو يلوح بيده :

قل ما عندك، ولنرى إلى أين ستأخذنا.

اردف زيدان:

نحرق الكهف فيحترق التين بداخله ويموت!

عمّ المكان صمت مريبك وكان الجميع ينتظر من الآخر تفسير هذه الفكرة الغريبة ثم فجأة، انفجر طاع ضاحكاً حتى كاد يسقط على الأرض وقال بصعوبة بين شهقات الضحك:

ألم يحذروك من التفكير.

حمزة فقد ألقى برأسه إلى الخلف وضحك من أعماقه، ثم قال وهو يكاد يختنق:

_ نحرق الكهف كي نقتل تنين؟ هذا كمن يوحد النار في البيت كله ليقتضي على بعوضة!
على بعوضة!

رفع تبار يديه يائساً:

انت اغبي منه أيّ بعوضة وأي بيت؟ التنين هو الذي يحرق يا عقلاء ولا يمكن إحراقه.

تابع مصطفى بضجر:

_ صدقتي يا زيدان لو كان التنين هنا وسمع فكرتك، لانفجر من الضحك واحترق وحده!

اهتزّ الجمع في موجة من الضحكات التي لا تنتهي، كأنهم يشاركون في مهرجان من السخرية أما زيدان وسط تلك العاصفة من القهقهات همس لنفسه راضياً:

_ ومع ذلك... تظل فكرة لا يُستهان بها.

ظهر التنين مصاحباً ضحكاتهم اندفعت الحمم تغلي من تحت قدميه. كان هيكله الهائل يتقدم من الظلال، وعيونه المتوهجة بلون الجمر تطلّ بنظرة نارية، من فمه سالت الحمم ، يتخلّل جسده شقوق متوهجة، تفيض بالذهب من كل جانب. كان جناحاه العملاقان يطويان السماء

خلفه، ومع كل زفرة تخرج من بين أنيابه الحادة، تنطلق أسنة النار كأنها عاصفة جحيمية لا تُرد.

التفت حوله الدخان الأسود كوشاح، وامتلأت الأجواء بصوت هدير عميق، أشبه بالرعد المتواصل. تقدم خطوة فاهتزت الأرض تحت ثقله، وتناثرت الصخور المتفحمة من حوله.

وقفت المجموعة متجمدة في أماكنها، لا يقوى أحدهم على الحركة، تغلغت الرهبة في نفوسهم، وسلبتهم أي قدرة على التفكير؛ كان هذا

اقترب التنين ببط عابسا هدير صوته ملاً المكان، طغى على أنفاسهم المقطوعة، ترددت كلماته كالرعد انتقام... انتقام...

حاول مصطفى أن يبادر بضربة بسيف البرق لكن كانت كل ضربة تزيد قوة وغضباً. استجمع طائع طاقته ليصنع إعصاراً يعصف بالثنين، لكن الوحش نفث نيرانه فيه، فصار الإعصار كتلة من النار المتأججة التي ارتدت نحوهم وعلى حافة الموت، كانت هاتور آخر الملجأ لهم رفعت يديها للسماء، مستنفرة قوة لا توصف واستدعت قبة طاقة أحاطتهم، حمتهم من زحف اللهب المتدفق لكنها كانت تدري أن هذه القبة تستهلكها شيئاً فشيئاً؛ وجهها ازداد شحوباً وأنفاسها صارت متلاحقة، وطاقتها تتآكل بسرعة مخيفة.

التفت حمزة نحوها في دعر:

_ لا فائدة... إلى متى يمكننا البقاء خلف هذا الحاجز؟

وفي هذه اللحظة، استرعى زيدان انتباههم وقال:

_ لقد سمعت التنين يتحدث عن الانتقام.

رمقه مصطفى بنظرة متوجسة قائلاً

_ لكن أي انتقام هذا؟ لماذا يريد أن ينتقم منا كائن محبوس هنا ولم يرانا من قبل.

تبار

_ هو روح مرتبطة بالعذاب، محبوس هنا لأجل مسابقة الموت.

اقترب زيدان من هاتور

وقال بهدوء:

_ ارفعي الحاجز.

اعترضت هاتور

_ سنقتل إذا فعلت!

زيدان:

ثقي بي هذه فرصتنا الوحيدة. ببطء رفعت هاتور القبّة، وانكشفوا أمام التّنين.

تقدم زيدان خطوة نحو الكائن الهائل وقال بصوتٍ هادئٍ وقوي،
_توقف.

فتح شكال عينيه بدّهشة، كانت نظرتّه مفاجأة، امتزج بغضب :

_بشري ياأمري؟ انتفخ صدره واندفعت الحمم من أنيابه وببيل أن ينفث ما بقمه بادر زيدان واقترب، قائلاً :

_انتظر من فضلك، أعلم أن هذا الجنون ليس سوى قناع تخفي به جرحًا أكبر. قد لا أملك فهمًا كاملاً لألمك، لكن ربما لم يهتم بك أحد من قبل، لم يكثرث أحد لوحدتك. ربما كل هذا الغضب الذي يشتعل بداخلك لم يكن سوى صرخة للحرية؟

تأمله شكال بصمتٍ ثقيل، وكان كلماته اخترقت حواجز روحه.
واصل زيدان كلامه:

_ أن تُترك هنا وحدك، سجين في الظلام، أن يُترك كائنٌ بقدرتك وقوتك حبيسًا، تلك ليست حياة بل عذاب لا يوصف اعلم أنني أعرف الوحدة، أعلم كيف تلتهم القلب، كيف تجعل الروح خاويةً من كل شيء إلا

الغضب لا تستحق أن تعيش كهذا الوحش، بل ككائن اختار حياته،
ككائن يمكنه أن يقرر مصيره بنفسه.

تجمدت عينا شكال عليه، تتلظى فيهما نار الغضب المعتاد، لكن خلفها
ارتجافة خفية. بدا الصمت بينهما كسيف مشدود، حتى ارتعش نظراته
وكان كلماته أعادت نبش مشاعر دفنها تحت طبقات من الحقد.

ثم خرج صوته أخيراً، أجشاً كأنه يصدر من أعماق جرح قديم:

شكال:

_أنا... لست مجرد تنين أنا... أنا انثي وأم.

تفاجأ الجميع من تلك المعلومة وظهرت الدهشة على وجوههم فتابعت:

_كنت يوماً حارسة الملكة أفيارا... قوتها التي لا تقهر، سيفها ونارها.
كنت ظلها الذي يسبقها إلى المعارك، وذراعها التي تحرق أعداءها.

لم تهزم أفيارا يوماً وأنا إلى جانبها كان اسمي يُزرع في قلوب الممالك
رعباً.

توقفت لحظة، وانكسرت نبرتها شيئاً فشيئاً:

_لكنني كنت أيضاً أمًا... كان لي صغار جاؤوا من رحم قلبي. أردت أن
أحميهم، أردت أن أختارهم بدلاً من طموحها اللامتناهي حين عرفت

أفيارا بأمومتي رأت فيّ ضعفاً... خيانة لعرشها صرخت في وجهي ((لا خادمة للتاج تختار غيري))

ثم... قيدتني بسحرها الملعون، وجعلتني سجينة نفسي، سجينة جسدي، حتى تحولتُ إلى هذا الكابوس... كابوس لا ينتهي.

تقدمت هاتور بخطوة، والدموع تلمع في عينيها:

_وأين هي قيودك الآن؟ كيف نحرك منها؟

رفعت شكال رقبته الطويلة وأشارت إلى سلسلة خفية، غير مرئية لعيون البشر، لكنها تلف عنقها وتخنق أنفاسها بلا رحمة.

حينها دون تردد، جرحت هاتور كفها، وتركت الدم يسيل على القيد السحري.

ارتجف الهواء، وصرخة سحرية اخترقت الظلام، كأن آلاف الأرواح المحبوسة تحررت في لحظة واحدة ببطء، بدأ القيد يتشقق، ينكسر، حتى تحطم تمامًا في ومضة نور.

أطلقت شكال زئيرًا لم يكن غضبًا، بل بكاءً حراً بعد دهور من الأسر. تساقطت دموعها النارية، تحترق قبل أن تلامس الأرض، وقالت بصوت مختنق:

_شكرًا... لقد رفعتم عني حملاً حسبته أبدياً.

اقترب تبار بخطوات مترددة، وعيناه تفيض بندم ثقيل:

__ظننتك السبب في موت زوجتي... حقدت عليك دون أن أفهم الآن...
أرجوك اغفري لي.

نظرت إليه طويلاً، ثم أطبقت جفنيها، وقالت:

__كلماتك أزالتي شوكة الألم من قلبي. لم أعد أريد الكراهية. لقد
انترعتموني من ظلامي... وسأكون من الآن حارستكم.

ارتفعت برأسها الهائل، فاصطدم بجدار الكهف، فتشقق وتفجرت منه
أسنة اللهب كنافذة إلى الحرية. بسطت جناحيها العريضين، وهما
يضيئان بنار ليست غضباً هذه المرة، بل دفناً يبدد الظلام.

ركبوا جميعاً ظهرها ومع زيرها المدوي انطلقت محالقة، مخترقة
السماء حاملة زيدان ومصطفى وهاتور وتبار وكل رفاقهم إلى فضاء
الحرية.

التفتت هاتور نحو زيدان بينما الهواء يصفع وجهها والدهشة تلمع في
عينها:

__كيف فعلت ذلك؟ ألم تخف من غضبها؟

زيدان:

_ أدركت أن كل قلب، مهما أثقله الألم، يمكن أن يُفتح. الوحدة يا هاتور... هي الجرح الخفي الذي يغذي الكراهية. حين نظرت في عينيها، لم أرَ نيراناً فقط... بل رأيت قلباً يبحث عن من يسمعه الوحدة تسرق من المرء نفسه، حتى لا يبقى له سوى الغضب لكن إذا لمسنا هذا الجرح، إذا احتوينا الألم بدل أن نزيده... عندها فقط نستطيع أن نطفئ النار.

ثم ألقى نظرة نحو السماء، وضحك بخفة قائلاً:

_ وفكرت أن فكرة إحراق تين... ليست جيدة إطلاقاً، فهو في الأصل محترق!.

الفصل التاسع عشر: عرش من دماء

نظر حمزة إلى زيدان بعينين مشبعتين بحنين الأمس، وقال بصوتٍ ناعم يملؤه الشوق، كالمطر حين يلامس الأرض العطشى:

_ اشتقت إلى العاقير اشتقت إلى ضحكات الأهل وإلى حكاياتهم التي كنا نحفظها عن ظهر قلب ونردها في صبابنا. اشتقت إلى رائحة الأرض وهي تزهر بلمسة المطر، افتقد أرض الكتان، وأهل العاقير الطيبين الذين كانوا كالأشجار، متجذرين في أرضهم، يظلوننا بحبهم وطيب .

وافتقدت الشيخ عدیل وكتابه، المكان الذي علمنا كيف نهجى الحروف، وكيف نفهم لغة الأرض وأسرار الناس.

أحنى زيدان رأسه وقد:

آه يا حمزة كانت العاقير أكثر من أرض... كانت تتنفس فينا، وكأنا جزء من ترايبها، نحمل نسيمها ونستمع لصوت مائها. أذكر كل شيء وكأنه حلم لم أستيقظ منه بعد، حلم يظل يطاردني في يقظتي وفي منامي.

أضاف مصطفى وقد ازدادت نبرة صوته عمقًا وقال:

_ حين نادتنا العاقير، كنا أول من لَبى ندائها لم نتردد لحظة. كنا نعلم، من يومنا الأول أن الابتعاد عنها لا يعني فراقها بل كنا على يقين أننا سنعود إليها يومًا ما . لقد غرست فينا حبها وحب أهلها، ووهبتنا من قوتها ما يكفي لنكون سيفها في مواجهة كل شرٍ يهددها. صحيح أن طريقنا محفوف بالمخاطر، وأن الشر يكمن في كل خطوة، لكن حين تنادي الأرض، يصبح الخوف وهماً.

فجأة هبطت "شكال" أمام قصر أفيارا ويهدوء غامض، انزلقوا جميعًا من على ظهرها بينما أعينهم ترقب المحيط بحذر لكن قبل أن يلتقطوا أنفاسهم، تمزق الصمت بظهور "أفيارا" كطيف مخيف ينبعث من العدم، تحدى في "شكال" بعينين متوهجتين ثم قالت بلهجة متعجرفة تمزج بين السخرية والازدراء:

ما هذا العبث؟

هاتور:

لقد تغلبنا على التنين.

ارتسمت على شفتي أفيارا ابتسامة ساخرة:

تغلبت؟ وهل تتوهمني بهذه السذاجة؟ كان الهدف إبادة التنين، لا هذا الاستسلام المهين.

ثم التفتت نحو شكال :

وأنتِ يا كائنتي العتيقة، تينتي العريضة تخذلينني أمام هؤلاء الحثالة؟ ألم تستح من نفسك بعد قرون من الولاء؟

شكال:

الحمقاء هنا هي أنتِ يا أفيارا خدمتك لعصور طويلة، ولم أحصد منك إلا أن جعلتني دمية بين يديك. هل تتوقعين ألا أنتفض؟ أم تظنين أنني لا أشعر بالإهانة من كوني مجرد أداة رخيصة في مسابقتك السخيفة؟

ثم تابعت، وصوتها يتغلغل من الغضب :

_ حرمتني من أطفالي، من ضحكاتهم ومن دفاء أحضانهم، وجعلتني أعيش مرارات الفراق تلو الفراق. لقد يأسْتُ منك يا أفيارا، ومن سلطتك التي لا تجلب إلا الألم.

أفيارا:

^مشاعر؟ أية مشاعر تدعيها أنت مجرد وحش، وُجِدت لتأكلي ولتطيعيني بلا تردد أنتكرين ذلك الآن؟

تقدمت هاتور إلى الأمام بخطوات ثابتة ثم رفعت يدها في وجه أفيارا وقالت:

_ الوحش الحقيقي هو أنت، يا أفيارا يا من تقتاتين على دماء الأبرياء وتسلبين حياتهم لتسلي نزواتك الفارغة. نحن قد انتصرنا وها هي شكال تعترف بهزيمتها. سنذهب إلى فينتيريا ليشهد الجميع سقوطك وفوزنا.

تغيرت ملامح أفيارا وتوجهت إلى تبار وقالت ببرود يخفي تهديداً قاتلاً:
_ أنت أيضاً تجرؤ على الوقوف ضدي؟ أم أنك بعث ولاءك لهؤلاء؟

تبار:

_ لم نر من حكمك إلا الظلم والجور. كفى عبثاً كفى استهتاراً لن نرضى بالخضوع لك بعد اليوم.

أفيارا بصوت يعج بالخبث:

_ تريدون الوصول إلى باب العالم الرابع أليس كذلك؟ سأفتحه لكم...
لكن إن دخلتم لا تعودوا مجدداً.

ضحك مصطفى بسخرية لأذعة:

الباب؟ نحن لا نطلب الباب، نحن نطلب عرشك.

ثم نظرت إليهم باحتقار، وقالت بصوت مروع:

_ أنتم؟ أنتم تطمعون في عرشي؟

أجابها تبار:

إن للملك الحق في احتكار باب العالم الرابع؟ حين يصير الحكم لنا ،
سنحصل على كل شيء، حتى لو كان ذلك يعني التخلص منك، حسب
قوانينك التي وضعتها بيدك.

بوجه متعجرفٍ وثقةٍ كاسحة، عادت أفيارا إلى تبار، ناظرةً إليه بعمقٍ
قائلة:

_ لن تسمح بهذا صحيح؟ لقد أحببتني وأعلم أنك لم تنسَ ذلك ؟

_ لم أحبك يوماً أنت مغرورة، قطعتِ أوصال حبي قبل أن يبدأ حتى هل
كنتِ واحدةً منا من صاندين الوحوش، أحببتكِ كما لم أحب أحداً من قبل،

وكننا على عتبة عهدٍ يجمعنا إلى الأبد... لكنك حين امتلكت تلك العصا التي منحتك القوة، تركتني وتخليت عن كل شيء خلفك دون أن تلتفتي. لكن هند... هند هي من أحببتني بصدق، ولن يعرف قلبي حباً سواها.

كان الجميع في صدمة مما سمعوه فلم يخبرهم من قبل انه كان على علاقة بأفيارا

بصوتٍ متهدج وحرزٍ يثقل كلماته اردف تبار:

_أتذكرين هند؟ هي من كانت حقاً تعرفني، هي من أحببتني بكل صدق، دون شرط أو قيد كانت تلمس قلبي بكلماتها الهادئة، تطمئنني في ضعفي وتدعمني حين تخور قواي. هند لم تطلب مني شيئاً سوى أن أكون كما أنا، بضعفي وقوتي، بأحلامي وأخطائي. لم تعرف يوماً الخيانة، ولم تهجرني طمعاً في قوة زائفة.

ثم أغمض عينيهِ للحظة، وكأنه يستحضر طيفها أمامه واستطرد:

_رغم رحيلها هي لا تزال هنا، في كل زاوية، في كل ذكرى. هند هي من جعلتني أفهم معنى الحب، معنى العطاء الذي لا ينتظر مقابلاً. ومهما حاولت، لن يتمكن أحدٌ من أن يزيح مكانها لأن روعي تعلقت بروحها، ولن أجد قلباً يسكنني كما فعل قلبها. هي من غادرت لكن أثرها... أثرها أبدي.

جاء رد أفيارا سريعاً:

_ربما لم تعد تحبني ، لكن حبك انبثق في قلبي أنا من أحببتك، وليس هند.

ضحك تبار بسخرية قائلاً:

_ لا لم تحبيني لم يكن حبك سوى طمع في العرش وشهوة للسلطة. هند هي من استحقت قلبي، أما أنتِ فالبغض هو ما تستحقه مني.

_ بل أنا من أحببتك ساندتك في كل شيء، لا يغررك معاملتي لك كأبي متسابق عادي. كنت في كل مسابقة إلى جانبك، ووقفت حائلاً بينك وبين غضب التنينه شكال. حتى عندما قطعت رجلك، أنا من جعلتها تتوقف. اسأل تلك الخائنة الواقفة أمامك، هي لن تنكر.

وقفت لحظة، ثم تابعت، :

_ عندما قررت التخلي عن لقب صائد الوحوش، كنت أعرف تفاصيل حياتك وأسرارك لم اترك فكيف تبيعي الآن لأشباه الحمقى الذين لا ينتمون حتى لعالمنا؟

تبار أدار وجهه عنها وبنظرة مليئة بالجمود :

_ لن أتنازل عن العرش، وكلماتك لن تغير شيئاً.

ضحكت أفيارا ضحكةً مريرة، وعلقت قائلةً بنبرةٍ تفيض بالتهديد:

__إِذَا لَقِدْ حَكَمْتَ عَلَى نَفْسِكَ وَمَنْ مَعَكَ بِالمَوْتِ وَكَمَا قَتَلْتُ هِنْدَ، سَأَقْتَلُكُمْ
جَمِيعاً وَسَأَبْدَأُ بِكَ أَنْتِ.

ارتسم الذهول على وجه تبار وهو يقول:

__أَنْتِ تَكْذِيبِينَ، هِنْدُ قَتَلْتَ عَلَى يَدِ مَرَاكِشِ وَأَخِيهِ.

قاطعته أفيارا ببرودٍ قائلة:

__بِأَمْرِي أَنَا أَنَا مَنْ أَمَرْتَهُمْ بِذَلِكَ، وَقَدْ أَخَذُوا الثَّمَنَ وَالآنَ سَتَمُوتُونَ،
وَأَنْتِ سَتَكُونِ أَوَّلَ مَنْ يَلْقَى حَتْفَهُ عَلَى يَدِي.

ثم لَوَّحت بعصاها السحرية، فتلاشت الأرض تحت أقدامهم كأنها
سراب، وفي غمضة عين، وجد الجميع أنفسهم في قلب صحراء القاحلة
كانت الشمس حارقة، والرمال تتراقص من شدة الحرارة، لا يوجد مكان
للاختباء، ولا أثر للحياة أحاط بهم الفراغ من كل جانب.

حينها تحوّلت أفيارا إلى مخلوقةٍ يكتسيها الخراب والغضب عصاها
السحرية التي كانت ذات يوم رمزاً لمجدها، انقلبت وتحوّلت معها،
لتصبح كأننا قاتماً ينبض بالحدق ويتنفس الموت في كل خطوة.

ابيضت عينا أفيارا وتحول صوتها إلى شيءٍ أشبه بصدى الأرواح
المعذبة، عميقاً ومخيفاً بحشرجةٍ ترتجف لها القلوب، قالت برعبٍ قاتل:

يا أبناء العاقير، كُتب موتكم هنا... ولن يفلت من قبضتي أحد. تظنون أنكم ستنتصرون؟ لقد جنثُ لأجمع ثمار خيانتكم، ولأنال انتقامي من أولئك الذين تجرأوا على تحدي عرشي، لقد كنت اراقبكم واجهز لكم منذ مدة.

وهي تتقدم نحوهم انبثقت من ظلالها مخلوقات غير مألوفة، تتراقص حولها، كأنها تتبع كل خطوة تخطوها. تتحرك ببطء كالأشباح التي لا تُرى إلا في أسوأ الكوابيس ثم وراءها، ظهر جيش من الفينترين بحركاتهم المنسقة، أصوات دروعهم المعدنية تتصادم وتخلق جلبة تجعل القلوب ترتجف. كانوا يتقدمون في صفوف متراسة، وقد تجمدت على شفاههم ابتسامة باردة لا تحمل في طياتها أي شفقة. كانوا عازمين على الهجوم، مدفوعين بولانهم لملكة الشر.

وفي قلب الصحراء، انتشر صدى كلمة "اهجمو!" التي أطلقتها "أفيارا" كالصاعقة انتفضت الجيش وانطلقوا في هجومٍ مروع نحو المجموعة المكونة من ستة أفراد، بجانب التين العظيم شكال.

جيش "الفينترين" يتقدم بخطوات مدوية، أقدامهم تندفع على الرمال يرفعون أسلحتهم في تناغمٍ أما الوحوش التي خرجت من ظل أفيارا فكانت مخلوقات مشوهة ذات قشور دموية، وأجنحة عملاقة تطوف فوق رؤوسهم، متألئة بالشر،

ثم صرخت أفيارا بصوت أجوف :

لقد أتيتُ لتحدي ملكة الفينترين؟ لكن لن تجدوا سوى الهلاك وبإشارة من عصاها السحرية، اندفع جيشها، محيطاً المجموعة من كل جانب. أخرج مصطفى سيف البرق كل من يتلقى ضربة منه يحترق إلى رماد، مشهدٌ يشبه فجر نهاية العالم. في تلك اللحظة، ارتفعت "شكال" وملاّت صدرها برائحة الغضب، ثم بدأت في نفث البركان. اندلعت النيران في الجو، تاركةً آثاراً مشتعلة خلفها، مما تسبب في احتراق المئات من الجنود المتقدمين نحوهم ثم تحلق في السماء، تلتقط الجنود وتلقي بهم إلى الأرض، حيث تنكسر عظامهم بمدى عنيف.

زيدان كان في حالة سُكر من القوة، يطلق السهام بتتابع مهول، كل سهم يخرج من قوسه كان يُنهى حياة في لمح البصر والجثث تسقط حوله كالأوراق في الخريف. "حمزة" بسيفه الفتاك كان يقاوم السيل الجارف من الوحوش، يمزق الأجساد بلمساتٍ حادة، محوّلاً دماءهم إلى بحيراتٍ من الرعب.

"هاتور" تتقاذف في السماء كغيمة قاتمة، تحارب الوحوش الطائرة التي حاولت الانقضاض على المجموعة. في خضم الفوضى، كانت عيون "أفيارا" تتلألأ بالشر، تراقب عن بُعد، ضحكاتها الخبيثة تملأ الأجواء كأنها موسيقى .

أما "تبار" و"طائع"، فقد اتحدا، يتحكما في الأعاصير التي تشق عنان السماء، يتلاعبان بقوة العناصر لإرباك الأعداء. رياح عاتية كانت تضرب في وجوه الفينترين والوحوش، تجعلهم يتعثرون في خطواتهم، بينما الجيوش تزداد عدداً، تملؤهم عاصفة من الذعر.

وفي خضم المعركة لمح تبار "موكندرا" قائد جيش الفينترين الرياح تعصف من حوله، مُستدعي قوة من الأعاصير التي أطلقها تجاهه اقترب منه .

موكندرا بغضب:

تبار لماذا تفعل ذلك؟ لماذا تخون شعبك وتدافع عن أعدائنا؟

تبار:

_ أنا لا أخون شعبي بل أقاتل من أجل حريتهم أفيارا ليست ملكتك، بل وحش يتغذى على الأمانا.

توقف "موكندرا" للحظة، محاولاً استيعاب كلمات تبار كأن ذكرياته عن ماضٍ مشترك تجتذبه، لكن الغضب كان يعميه.

موكندرا:

_ لا تجرؤ على أن تتحدث عنها بهذا الشكل! هي التي منحتنا القوة، وهي التي تقودنا إلى النصر!

تبار:

_ نصر؟ أي نصر تتحدث عنه ألم ترى الدمار الذي خلفته خلفها كم من الأرواح أزهقت بسببها؟

هز موكدرا رأسه، وكان أفكاره تمزقت بين ولائه لمملكته والواقع القاسي الذي يعيشه ولكنه تابع:

_ لقد نذرت ولاني لأفيارا، وها أنا هنا أدافع عن بلدي ولا يمكنك أن تقتعني بأن أرتد عن حلفي."

تبار:

_ افيارا ليست بلدنا إنها جحيم يلتهم شعبنا! انظر حولك، ماذا ترى؟ جيوش من الهلاك خرجوا من ظلها هل هي بحاجة الى الفنترين حتى تعرضكم للخطر لماذا لا تكفي بتلك الوحوش ماذا تريد أن ترى أكثر؟

موكدرا:

_ لا يمكنك أن تأخذني بعيداً عن مملكتي، سأقطع لسانك ياتبار إن واصلت التشكيك في ولاني.

تبار:

_ أما فلستُ هنا لأقطع ألسنتكم، بل لأعيد الأمل إلى شعبنا. حان الوقت لتدرك أن أفيارا ليست من تصنع المجد، بل أنتم من تصنعون مصيركم.

اندفع موكاندرا نحو تبار، وضربه بعنف حتى أسقطه على الأرض ثم رفع سيفه عازماً على طعنه، لكن تبار نظر إليه وقال:

_ لقد فزنا بالمسابقة استسلم لنا التنين.

ابتسم موكاندرا ابتسامة مترددة، ثم مد يده ليساعده على النهوض، وقال :

لماذا لم تخبرني بذلك منذ البداية بدل تلك المحاضرة؟؟

رفع تبار عينيه وقال ببطء:

_ ألم ترَ التنين يقاتل معنا؟ ماذا كان باستطاعتي أن أقول غير ما تراه بعينيك؟ .

تنهد موكاندرا :

_ آسف، يا صديقي لم أكن أرى الصورة كاملة.

ثم رفع راية الاستسلام، ونادى بصوتٍ عالٍ، مشيراً نحو أفيارا:

لقد فازوا بالمسابقة وبحق العهد الذي وضعته أفيارا، أصبحوا محميين،
ويحق لهم أن يطلبوا ما يشاؤون.

طارت أفيارا بغضبها المكبوت، واقتربت من موكاندرا، وقالت بحدة:
_ حتى أنت تقول هذا؟

نظر إليها بنظرة رجاء، وقال بتواضع :

_ اعتذر يا مولاتي لكن... تلك هي القوانين التي وضعتها أنتِ ولن
يخالفها أحد حتى أنتِ.

شهقت بغضبٍ يمزق الروح، وصاحت بصوتٍ مرعب:

_ يا وحوشي، اقتلوهم جميعاً!

اندفع جيش الفينترين متحدًا معاهم ضد جيش الوحوش، في معركةٍ
مرعبة لم يعرف أحدٌ لها مثيلاً. كانت الأرض ترتجف تحت وقع أقدامهم،
وزئير الوحوش يختلط بصيحات التحدي، وبعد ساعات استمرت فيها
الحرب . فُهرت الوحوش وسقطت واحدة تلو الأخرى، بينما سقطت
أفيارا على الأرض، متعبةً ومنكسرة، وهي تعود إلى شكلها الطبيعي.
مدت يدها على بتعب وقالت بصوتٍ منخفض:

_ لقد استسلمت... سأحقق ما تريدون.....

بعد ساعات تجمّع شعب فينتيريا، يملأهم الترقب، ووقفت أفيارا بين الحشد، وصوتها متحشرج وهي تقول:

_ يا شعبي العزيز هؤلاء هم من فازوا بالمسابقة ولهم الآن الحق في طلب أي مطلب.

تعالى الهتاف والتصفيق، وكأنهم ينتظرون لحظة الفرح هذه، ولكن عندما رفع تبار يده، خيم صمتٌ ثقيل على الحشد كان صوته جافاً، مختنقاً بالعاطفة وهو يقول:

_ ما أريده الآن... وما أطلبه بحق العهد... هو عرش فينتيريا.

ساد ذهولٌ مميت بين الجميع، وكأنهم لا يصدقون ما سمعوه، حتى بدت على وجه أفيارا ابتسامة غامضة، مليئة بالألم والهزيمة وقالت بهدوءٍ أشبه بالاستسلام:

_ أنا... موافقة.

صعق الجميع بردّها، وتعالى التصفيق غير المتوقع، بينما خلعت أفيارا تاجها بهدوء، كأنها تخلع جزءاً من روحها، ثم نظرت إلى أحد الوصيفات فأحضرت لها تاج الملك. اقتربت من تبار ببطء، وكان هو ينظر إليها بابتسامة مريرة، وقال لها بصوتٍ يغلب عليه الحزن:

_ حتى لو فعلت هذا، لن أسامحك على قتل هند.

وضعت التاج على رأسه بيدٍ مرتجفة، تقدم بخطوات ثقيلة نحو شعبه، يحييهم وسط هتافاتهم المتصاعدة. في تلك اللحظة، ظهر نبار أخيه من بين الحشود، يصفق ويهلل، وعينه تلمعان بفخرٍ ودموع.

لكن قبل أن يلتقط الشعب أنفاسه، اقتربت أفيارا من خلف تبار، وكأنها تطارده كظلٍ لا يفارقه، كانت تخبئ خنجرًا لامعًا في طيات ثوبها. همست بصوتٍ أشبه باللعة:

_ إذا لم أستطع الحصول عليك، فلن أترك أحدًا يحصل عليك. رفعت الخنجر بحركة خاطفة وذبحته بخفةٍ متناهية، فانفتحت شرايينه كسيلٍ من الدم، تغرق رداءه الملكي.

صاح نبار من أعماقه بصوتٍ مختنق: _ أخي. ثم شقّ طريقه بين الحشود، يدفع كل من يعترض طريقه حتى وصل إلى تبار، ولتقطه من بين الدماء، يمسكه بقوةٍ ويصرخ بمرارة، وكأن الكون قد انقسم بين يديه:

_ لماذا يا أخي؟ لقد كنت لي كل شيء... أمي وأبي وسندي ماذا سأفعل الآن؟

في تلك اللحظة، انقضت هاتور على أفيارا من الخلف، سحبت سيفًا من أحد الجنود، وطعنتها بقوة، فخرج السيف من الجانب الآخر من جسدها الهش، الذي تهالك على الأرض بجوار جسد تبار، رفعت أفيارا نظراتها

المتلاشية إلى تبار، همست بصوتٍ خافتٍ : _ لم أقتل هند ولم أمر بقتلها أردت فقط أن تذوق الألم كما ذقته... والآن... على الأقل... سنموت معًا. ثم سقطت مبتسمة ابتسامه خافته اختلط فيها الحزن بالرضا الأخير.

تحول حفل التتويج إلى مأساةٍ كبرى، والمكان يعمه الحزن والصمت القاتل. جثا طائع على ركبتيه بجانب جسد تبار، وقد ملأته الدموع وهو يقول:

_ أخيرًا يا تبار تحققت أمنيتك... جمعتك السماء مع هند، فلتكن في سلام يا صديقي .

مرّ أسبوعٌ على وفاة تبار، وقد اجتمعت شكال بصغارها في مشهد يحمل العاطفة والألفة وأقيم حفل التتويج للملك الجديد . تقدّم رجل مسن يظهر عليه الحكمة والحزن معًا، ورفع التاج، ثم وضعه على رأس طائع، قائلاً بصوتٍ متحشرج:

_ باسم العهد وبحق ما هو مقدس، أمنحك لقب ملك فينتيريا.

ارتفعت هتافات الجمهور بالتصفيق، لكن طائع ونبار كانا يقفان بجوار بعضهما، يحيطهما الحزن، يتبادلان نظرات محملة بألم لا يزول. نزل طائع من على عرشه بعد لحظات، ونظر إلى مصطفى وقال :

_حان الوقت لرحيلكم إلى العالم الرابع... سأشتاق لكم جميعًا فلقد علمتمونا أن الظلم لا يزول بالصمت، وأن الحق يحتاج لشجاعة المطالبة.

احتضن مصطفى طائع، ودموعهما تتساقط بصمت، وقال بصوتٍ يختلط فيه الوداع بالأمل:

_وأنتم علمتمونا أن التضحية ليست كلمات بل أفعال تتخلد في الذاكرة... لن ننسى تبار وسيبقى في قلوبنا للأبد.

تقدمت هاتور نحو نبار:

أعتذر، لم أستطع الوفاء بوعدى بالحفاظ على حياة تبار.

أجابها نبار بنبرة مملوءة بالحزن وهو ينظر إلى الأفق:

_اختر أخي طريقه، وما اختاره يعفيك من أي وعد.

رفع طائع عصا أفيارا، فظهر بابٌ من العدم، ثم فتح الصندوق الذي يحمله، وأخرج منه مفتاحًا وضعه في الباب. ثم اعطي هاتور ورقه تحمل كلمة السر فقالت «"ليس كل أعمى لا يرى، وليس كل بصير يملك البصيرة. استشف الأمور من أعماقها، فالبصيرة تكمن خلف كل ظاهر.»

تحرك المفتاح وحده ثم انفتح باب العالم الرابع، ووقف الأصدقاء بدموعهم وذكرياتهم الثقيلة، ينظرون نحو المستقبل المجهول، تاركين خلفهم مأساة محفورة في قلوبهم، وألماً خالداً لا يُنسى.

الفصل العشرون: "صرخة الكوكب الخامس"

بعدها عبروا البوابة التي ألقوا بهم في هذا العالم المهجور، وجدوا أنفسهم جالسين على أرضٍ قاحلة، يحدّقون في بعضهم البعض بصمتٍ ثقيل، وكأن أرواحهم تستعد لمواجهة شيءٍ أكبر مما تخيلوه. نهضت هاتور بعد لحظة من التأمل وقالت بصوتٍ يشوبه الحنين والدهشة:

_ أنا أعرف هذا المكان جيداً... أبي أحضرني هنا عندما كنت طفلة.
لكن... كيف أصبح هكذا؟

رفع زيدان رأسه نحوها وقال:

_ أين نحن؟

أجابت هاتور وهي تمسح بيدها على الرمال الحمراء الكثيفة:

_ نحن على أرض المريخ.

_ كيف وكيف نتنفس هنا؟؟؟

_ مريخ عالم الجن فعالمكم لدينا عالم مثله موازي فتنفس عندنا مسموح وموجود حتى لو على المريخ.

تأملوا المشهد من حولهم، ليجدوا أنفسهم في مكان يبدو وكأنه مجرد بقايا لمملكة كانت تعج بالحياة يوماً ما، لكنها الآن خرائب مدمرة وسط عالم مغلف بالحزن والوحشة. كانت هناك مدن كاملة سُيدت في قلب أشجار عملاقة حُفرت في جذوعها الغليظة بيوت ومباني. لكن تلك البيوت الشجرية لم تعد كما كانت؛ أغلب الأشجار قد جفت، وبدت أغصانها الطويلة كأنها أذرع ميتة تمتد عبثاً في الهواء، بينما تتدلى الأوراق الباهتة، مثل جلود متأكلة أكلها الزمن.

بعض البيوت المعلقة في الأغصان انهارت بالكامل، تاركة بقاياها معلقة في الهواء كأرواح تائهة، وبعض النوافذ المتكسرة تلوح على ظلام دامس، وأبوابها الخشبية تهتز مع الرياح كأنها تصرخ بآلام الماضي.

قالت هاتور، وقد فاضت عيناها بالدهشة:

_ لم يكن المكان هكذا... لا أصدق ما أراه هذه مدن شعب أوريانث، كانت تزدهر بين الأغصان وتنبض بالحياة شيء ما حدث هنا... لا بد أن أعرف ما الذي جرى

تساءل مصطفى بفضول:

_أوريانث؟ من هم؟

_ كانوا يعيشون بين هذه الأشجار العملاقة، متناغمين مع الطبيعة،
يخلقون بين الأغصان لكن... الآن لا أرى سوى صمتٍ موحش... كأن
أصواتهم خمدت إلى الأبد.

حمزة، وهو يحدّق في الظلال قال بصوت خافت:

_ ماذا الن نجد أحدًا نسأله عن ما حدث.

أجابت هاتور :

_ أعرف من نذهب إليه... الحكيم برديس صديق والدي.

تبعوا هاتور يتقدمون بحذرٍ وسط أنقاض الغابة الجافة، وعندما حلّ
الليل اكتملت الرهبة النجوم في السماء بدت كأنها نقاط باهتة، بينما
القمران "فوبوس" و"ديموس" يمران كالظلال الداكنة، يزيدان من
وطأة السكون المهيّب. لم يكن لديهم سوى أصداء الرياح الخافتة التي
تنساب بين الأنقاض.

مع كل خطوة يخطونها، كان صوت أنين عميق يرتفع من باطن الأرض،
كأنه حنينٌ مكتوم، أو شكوى يائسة. الرياح تحرك الرمال والغبار
الأحمر، لتخلق دوامات من الظلال التي تلتف حولهم فتشه أشباح هائمة
تبحث عن ملائذٍ ضائع.

أوقفتهم هاتور عند منطقة محددة، جثت على ركبتيها وأزالت الرمال التي تغطي حجراً منحوتاً وسط التربة، لتكشف عن بوابة مخفية رفعت الحجر كاشفه عن ممر ضيق يقود إلى أعماق الأرض.

عندما نزلوا، وجدوا أنفسهم في مخابأ قديم غامض، ضيق ومعتم، لكنه منظم بطريقة رتيبه كانت الجدران مبطنة بألواح خشبية منحوتة، تآكلت بفعل الزمن. في أحد الجوانب كانت هناك رفوف مملوءة بأدوات غريبة وأعشاب جافة وأحجار كريمة وضعت بعناية، بينما في زاوية الغرفة، كان هناك طاولة صغيرة، يغطيها غبار كثيف، تعلوها مصابيح زيتية صامتة تنتظر من يشعلها .

الجدران كانت مغطاة بنقوشٍ معقدة تتحدث عن أسرار الأزمان، وعن حكماء سبقوا برديس في هذه الأرض. على الأرضية رُسمت دائرة رمزية بيد خبيرة، يبدو أنها كانت تستخدم للطقوس السرية أو للتواصل مع قوى بعيدة. المكان صغير، لكنه مشبع بالرهبة والغموض، كأنه خزانة أسرار قديمة تهمس بأحاجي مفقودة.

نظر زيدان حوله بدهشة وقال:

__ أين جئتِ بنا يا هاتور؟ المكان يبدو كأنه مخابأ سري، مليء بالأسرار.

هاتور :

_ هذا هو مخبأ الحكيم برديس، صديق والدي... كنت أتمنى زيارته منذ زمن طويل لأخبره بما حدث معي.

قال مصطفى وهو ينظر حوله:

_ لكن، أين هو؟ يبدو أن المكان خالٍ.

ردت هاتور :

سننتظر حتى يأتي هذا المكان مقدس له، ولا بد أنه سيعود قريبًا.

اخذ الجميع يفتشون بين أغراض الحكيم باندفاع، كأنهم يبحثون عن أي شيء قد يساعدهم في مهمتهم أو يكشف لهم عن طبيعة الأسرار التي يخبئها. كانت هناك مخطوطات قديمة، خرائط مرسومة بألوان زاهية، وبعض الأدوات التي يبدو عليها القدم.

لكن هاتور، وقد ضاق صدرها من تصرفاتهم، قالت بصوت صارم:
_ اجلسوا مكانكم حتى يأتي هو بنفسه. الحكيم لا يحب هذا الأسلوب من التطفل على أغراضه، علينا أن نحترم مكانته.

نظر إليها مصطفى وقال متشككًا:

_ وكيف تعرفين أنه ما زال حيًا؟ قد يكون غادر أو اختفى منذ زمن بعيد.

ردت هاتور بثقة ثابتة:

_أنا أعرف ذلك يقيناً، أحس به في قلبي كما أنني أعلم كيف تتميز شخصيته... لن يتخلى عن مكانه هنا.

جلس الجميع في انتظار وصول برديس، وبينما كانت الدقائق تمضي ببطء، تنهد زيدان وقال بمرح:

_لما لا نلعب لعبة الأمثال لقتل الملل؟

نظر إليه حمزة بابتسامة متهكمة وقال:

_يالك من طفل، هل لازلنا صغاراً للعب مثل هذه الألعاب؟

أجاب زيدان بإصرار مشاكس:

_نعم، وسنظل صغاراً ومن قال إنني كبرت؟ سأظل ألعب لأنني لو لم أفعل شيئاً الآن سأموت من الملل.

ضحك مصطفى وأوماً ساخراً:

_حسناً، فلنلعب إذن.

نظرت هاتور إليهم مستغربة وسألت: _ماذا ستفعلون؟

أوضح حمزة :

_ اللعبة بسيطة تقولين جزءاً من مثل معروف، ومن يكمل الجزء الآخر أسرع يكون الفائز.

ابتسم زيدان بسخرية وقال:

_ أراك لم تنسَ اللعبة، لنرى من منا الطفل الآن:

أخذ نفساً عميقاً وبدأ:

_ اترك يدي قبل...

أجاب حمزة سريعاً:

_ أن أطلق لساني.

ضحك الجميع وضرب زيدان بيده على كتف حمزة قانلاً:

_ أحسنت إليكم مثل آخر:

رأيتك في أوسطهم...

رد مصطفى دون تردد:

_ فخشيتك تتبعهم.

لوح حمزة بيده وقال بابتسامة عريضة:

_ أراك تنسجم معنا يا مصطفى.

ثم قال حمزة بنبرة جادة : سأقول مثلاً آخر:

لا يعكر صفو الزريبة...

أجاب زيدان وهو يضحك:

_إلا البهيمة الجديدة.

ضحكت هاتور وقالت باستغراب:

_ لا أفهم شيئاً من أمثالكم! هل سأظل فقط أشاهدكم دون أن أشارك؟

نظر زيدان نحوها بابتسامة مأكرة وقال:

_ حسناً إليك مثلاً خاصاً لنرى كيف تجيبين عليه... رأيتك في أحلامي...

أجابت هاتور وهي تبتسم بخجل:

_ علمتك هناك قبل أن تلقاني.

أكمل زيدان بهمس:

_ خشيت أن تتركيني...

أجابت بحنان هادئ:

_ ومن يترك حلاً جمعني قبل أن تأتيني؟

نظر مصطفى إليهما بامتعاض وقال بنبرة ساخرة:

_ كفاكم من هذا الكلام! لا وقت للحب ولا وقت للألعاب سأذهب لأنام حتى يأتي هذا برديس الذي تنتظرونه.

أوما حمزة مؤيداً وقال:

_ نعم هذا هو عين الصواب. لننم حتى نستطيع أن نواصل.

تمدد كل منهم في مكانه. توجهت هاتور مبتعدة قليلاً، قبل أن تستلقي على الأرض، نظرت نحو زيدان من بعيد وابتسمت بلطف، ثم أغضت عينيها، مستسلمة للسكينة التي طغت على المكان

غط الجميع في نوم عميق، مرت الساعات كأنها غمضة عين، حتى بدأ زيدان يتحرك بتوتر في نومه، يتصعب عرقاً ويتمتم بصوت ضعيف: _ اتركيني... لا، لا، لا تتركني! وفجأة، صرخ بقوة اهتزت لها جدران المكان، لتصيب رفاقه بالذعر ويستفيقوا في الحال.

تقدم مصطفى نحوه بقلق قائلاً:

_ ما الأمر يا زيدان؟ هل رأيت كابوساً؟

أخذ زيدان نفساً عميقاً، عينيه مليئة بالرعب وقال:

_ لقد رأيتها... كانت تناديني، تقول لي لا تنس أنني ناديتك، لن أترك مهما حدث، وكان صوتها عالق في ذهني، يلتف حولي كالأسرار التي ترفض أن تترك نفسها.

سأل مصطفى: من هي؟؟

_النداهة!

ابتسم حمزة محاولةً تهدئته وقال بنبرة مطمئنة:

_ مجرد حلم يا زيدان، لا شيء سيصل إلينا هنا نحن أقوى من أي شيء كان يخيفك سابقًا. عد إلى النوم لن يحدث شيء.

أوما مصطفى قائلاً:

_ حمزة على حق، لا تخف استرح فنحن بأمان.

نظر زيدان إليهم مترددًا، لكنه تنفس بعمق محاولاً تهدئة نفسه، وغرق مجددًا في محاولة العودة إلى النوم ولكن عينه وقعت على هاتور التي كانت في زاوية بعيدة تغط في نوم عميق، لم تصلها أية أصوات أو اضطرابات.

لكنهم ما لبثوا في نومهم إلا قليلاً حتى اخترق الهدوء صوت غريب وقفوا بسرعة، ليجدوا أمامهم رجالاً طويل القامة، بشرته برتقالية بلمعان مهيب مفتول العضلات، يعلوه وقار لا يُخطئه نظر. كان يرتدي ثياباً داكنة محلاة برموز سحرية، ويعتمد على عصا خشبية ضخمة، نقر بها الأرض فشعر الجميع بذبذبة عميقة في المكان.

نظر إليهم الرجل نظرة ثاقبة وقال بصوت قوي:

_ من أنتم؟ وجوهكم لا تشبه وجوه سكان أوريانث.

تقدمت هاتور :

_ ألا تتذكرني يا حكيم؟

نظر إليها الرجل بتمعن، وتردد في ملامحها ثم قال:

_ هناك شيء مألوف... لكن من تكونين؟

أجابت بصوت هادي:

_ أنا هاتور ابنة تهان.

أشرق وجهه بابتسامة خفيفة وقال:

_ هاتور ابنة تهان؟ لم أرك منذ ان كنت طفله تبلغين الخمسين عام ها

قد كبرت وازدادت ملامحك نضجًا أخبريني ماذا جاء بك إلى هنا؟

هاتور، :

_ أتينا طلبًا لمساعدتك. أبي لم يعد هو نفسه، فقد سيطرت عليه امي

شرميزة، ودفعت به إلى نفيي خارج المملكة أحتاج إلى مساعدتك.

وقف برديس مصعوقًا من الصدمة وقال:

_ شرميزة سيطرت على تهان؟ كان صديقًا عزيزًا، لم أظن يومًا أن الأمور ستصل إلى هذا الحد أخبريني ماذا جرى؟

بدأت هاتور تروي له كل ما حدث، بما في ذلك أحوال رفاقها وما مروا به في رحلتهم. أنهت قصتها بصوت ملؤه الألم.

عندما انتهت من السرد، صمت برديس للحظة ثم قال بصوت جاد: _ إذن تودون الوصول إلى العالم الخامس، لو كانت الأمور كما كانت لساعدتكم ببساطة، لكن الوضع في أوريانث تغير كثيرًا، لم يعد الحكم كما كان في السابق، وأنا لم أعد كبير الحكماء كما كنت.

قالت هاتور:

_ لقد لاحظت الخراب المحيط بالمكان، ثم اردفت سائلة بقلق:

_ ما الذي حدث هنا؟ كانت أوريانث تزدهر بالحياة، لم تكن المدن مهجورة ولا القرى خالية.

أغمض برديس عينيه وتنهَّد قائلاً:

_ سأروي لكم القصة، قصة سقوط أوريانث.

في زمن بعيد، كانت أوريانث أرضًا يعمها السلام، حيث عاش سكانها بتناغم تام مع الطبيعة، متصلين بقوة تُعرف بسحر الحياة. كان هذا السحر ينبع من عمق الأرض، متدفقًا عبر أنهار وبحيرات، يجعل أراضيهم خصبة وشعبهم في ازدهار. كانت مدنهم مصنوعة من أشجار حية تُدعى "الأيورا" أشجار تنمو مع شعبها، تتنفس معهم، وتحميهم. وكان مجلس الحكماء، بقيادتي يحرص على نشر السلام والمحبة، ويعقد طقوسًا سنوية تدعى "أنشودة الحياة"، حيث يجتمع الشعب تحت السماء ليتعاهدوا مع الطبيعة، ويتجدد السحر في أرضهم.

لكن وسط هذا النعيم، وُلد شاب يُدعى "سيرال" أعمى بجسد ضعيف وروح تحمل حقدًا دفينًا. كانت عزلته تزيد من كراهيته لكل من حوله، وتحولت حياته إلى رحلة يأس وألم.

في إحدى الليالي المظلمة، وجد سيرال نفسه أمام كهف قديم في جبال "أركانوس". في أعماق هذا الكهف وجد قطعة أثرية تعرف بخاتم اليأس كان هذا الخاتم محاطًا بأساطير عن قوته الملعونة يقال إنه يمنح من يرتديه قوة رهيبه لكنها تتغذى على مشاعر الكراهية واليأس.

عندما وضع سيرال الخاتم، تدفقت فيه طاقة مظلمة منحته "دبصيرة مظلمة تمكنه من رؤية مخاوف الناس واستغلالها. بدأ يستغل هذه القوة لزرع الخوف والرعب في قلوب أهل أوريانث، ببطء ودون أن يُكتشف.

استغل سيرال سحر الخاتم ليجفف بحيرات أوريانث ويذبل أشجار الأيورا. أصبحت الأرض جافة، والنباتات ذابلة، وأعلن نفسه سيداً على أوريانث، وأحكم قبضته بالقوانين التالية:

مسيرة الخضوع التي يجبر الشعب كل ليلة على السير كالأشباح في طابور طويل، يرددون أدعية يائسة تعكس مدى استسلامهم لسيطرته.

وطعام الرماد لقد فرض عليهم تناول الطعام الذي احترق وأصبح رماداً، كرمز لخضوعهم المطلق، ومن يرفض يعتبر خانناً يُعاقب بشدة.

علامة اليأس. وشم سحري غرسه في أجساد الجميع، يرتبط بخاتمه، ويزداد توهجاً كلما زاد خضوعهم، حتى أصبح رمزاً يميز كل فرد ويكشف عن مدى استسلامه.

العمى المقدس. أوهم بعضاً من شعبه بأن العمى هو طريق الحكمة والصفاء، وبأنهم لن يحتاجوا أعينهم كما هو يفعل فبدأت مجموعة منهم بانتزاع أعينهم بإرادتهم، ليصبحوا "مقدسين" في نظره وتتعزز سلطته عليهم.

قفزة الظلام. كل عام يُجبر الجميع على أداء طقوس قفزة الظلام من على جرف شاهق، يُعتبر فيها من ينجو خاضعًا قويًا، ومن يسقط خائنًا يلقى مصيره المحتوم.

احتفال النار السوداء. يقام سنويًا يُطلب فيه من كل فرد أن يقدم أعمق أسراره أو أئمن ما يملكه كقربان للخاتم، في طقوس تزيد من قوة سيرال.

رغم هذا الظلام، لم يفقد كل الشعب الأمل بعض الحكماء نجوا من ليلة الهلاك، وأصبحوا يعرفون باسم حراس النور يعيشون في الخفاء، يبحثون عن طريقة لتحطيم قوة خاتم اليأس، وإعادة سحر الحياة إلى أوريانث، حاملين في قلوبهم الأمل الى يوم يتحرر فيه الجميع من سيطرة سيرال.

الفصل الواحد والعشرون: "رحلة في مملكة اوريانث"

جلس زيدان وحمزة ومصطفى في جو يكتنفه الغموض والأسرار يستمعون الى الحكيم برديس ولكنهم كانوا جائعين ومتعبين تتعالى في أعماقهم رغبة في الطعام والراحة. برديس، الذي كان يراقبهم بهدوء، أدرك بعيونه المتقدة أنهم ليسوا فقط بحاجة إلى الطعام، بل إلى شيء أعمق - غذاء للروح يحيي الذكريات ويبعث فيها حياة جديدة.

ابتسم برديس ابتسامة خفية وقال بصوت منخفض:

_ أرى في أعينكم أكثر من الجوع، هناك رغبات قديمة، ذكريات تبحث عن ملجأ هل ترغبون بتذوق ما فقدتموه؟

ضحك زيدان وقال هل ما أفقد يأتي وايضاً يأكل.

برديس :

_ الطعام الذي يعدّه من نحب، ريحته وطعمه يعيدان لنا ذكريات وأشياء فقدناها. هناك من يأكل فقط ليسد جوعه، وهناك من يأكل ليعيش، وهناك من لا تكفيه ملاً بطنه بل يسعى للمزيد. ولكن هنالك من يأكل ليس فقط ليشبع جسده، بل ليبحث عن ريح شخص أحبه في كل لقمة يتذوقها، كأنها تذكره بلحظات كان فيها مع من يحب.

ابتسم برديس بحزن وهو يضيف:

_ الطعام في بعض الأحيان يكون أكثر من مجرد وقود للجسد. هو طقوس حنين، ومفتاح لذكريات فقدناها في زحمة الأيام إنه جسر بين الماضي والحاضر، في كل قضة نبحت عن شيء غائب عنا، عن شخص، عن مكان، عن لحظة.

نظر زيدان بحيرة إلى برديس، وتردد للحظات قبل أن يقول:

_ نعم اشتقت لطعام والدتي، كان له طعم خاص.

تنهد برديس قليلاً قبل أن يتجه إلى الرفوف القديمة في زاوية الغرفة، حيث كانت توجد مجموعة من الأوعية السحرية المغلقة بإحكام. همس برديس بعض الكلمات الغامضة، ثم وضع يده فوق أحد الأوعية بحذر. لكن فجأة، ظهر بريق غريب من الأوعية، وكأنها ترفض الانفتاح.

تراجع برديس قليلاً وقال:

__ يبدو أن الأوعية ترفض فتح نفسها بسهولة إنها تحمي ما بداخلها حتى يكون من يطلبها صادقاً ومستعداً للتضحية بجزء من روحه عليكم أن تطلبوا بصدق وبقلب نقي.

شعر الأصدقاء بالدهشة والترقب وأخذ كل منهم لحظة للتفكير. بدأ زيدان أولاً، بصوت يملؤه الحنين قائلاً:

__ أتمنى لو أستطيع تذوق فطير والدتي بالجبن، كانت تعده لي بحب.

نظر برديس إليه نظرة عميقة، ثم همس بعض الكلمات، ورفع الغطاء عن الوعاء ببطء فجأة انتشرت رائحة الفطير الساخن، وملأت الغرفة برائحة تحمل زيدان إلى أيام طفولته تلمس قلبه كما لو أن والدته قد عادت، وتعد له الفطير بيديها.

ثم جاء دور حمزة، الذي نظر إلى برديس :

__ أشتاق للطعمية والرقاق اللذان كانت تحضرهما أمي صباحاً .

همس برديس مرة أخرى، وفتح وعاءً آخر، ليخرج منه عبق الريف ونكهة الطعمية الطازجة، وكأنها قد حضرت الآن خصيصاً من أجله. كان حمزة يتنفس بعمق، وكأن كل شهيق يعيده إلى ذلك الصباح الهادي بجانب أمه.

وأخيراً، جاء دور مصطفى الذي همس بصوت متهدج:

_أريد الرز باللبن الذي كانت ابنتي بثينة تحبه، كنت أشعر بالفرح فقط لرؤيتها تستمتع به.

توقف برديس للحظة، وأغمض عينيه. همس كلمات خاصة، ورفع الغطاء عن الوعاء الأخير. رائحة الرز باللبن المختلطة بالعسل والقرفة كانت تملأ المكان، لكنها أحضرت معها موجة من الذكريات المؤلمة لمصطفى. تذكر لحظات السعادة، وتذكر الضحكة التي كان يستمتع بها، تلك التي لم يعد يسمعها.

نظر برديس إلى الأصدقاء الثلاثة وقال بلطف:

_هذه الأطعمة هي تذكارات من قلوبكم، لكنها أيضاً تذكير بأن الذكريات تبقى جزءاً منا، جزءاً نحمله معنا في قلوبنا أينما ذهبنا. الطعام هنا ليس مجرد طعام، بل هو جزء من أرواحكم، وعزاء لما فقدتم.

كانوا تناولون طعامهم، كل منهم غارق في ذكرياته، بينما كان برديس يراقبهم، عالماً أن لكل منهم رحلته الخاصة مع الحنين والألم والأمل.

قاسأل مصطفى هاتور بتعجب :

_ لما لا تأكلي مثلنا.

هاتور:

_ أنا لا أتناول هذا الطعام فطعامي هو العظام، أنتم لا تدركون شيئاً عن طقوسنا. العظام هي قوت الجن وهي ما يحفظ لنا قوتنا، لا تلك الأطعمة التي تعتقدون أنها تليق بي.

ثم أضافت بهدوءٍ مخيف:

_ احفظوا هذه القاعدة طعام الجن لا يشبه طعام البشر.

قال حمزة بابتسامة ساخرة:

_ ولكننا رأيناك تأكلين لحم الغزال في الصحراء، أول يوم التقينا فيه.

ضحكت هاتور ضحكة خفيفة، ثم أجابت بلهجة هادئة:

_ أنا لا أصطاد الغزال من أجل لحمها، بل لأكل عظامها.

نظر زيدان إليها، وهو يحاول أن يفهم مغزى كلامها، ثم سأل بحذر:

_ ولكننا دخلنا من عدة أبواب، ومررنا على من لا يأكل العظام، ويأكل مثلنا... كيف تفسرين هذا؟

أجابته هاتور بتأمل:

_ العوالم التي مررنا بها مختلفة وكل عالم وكل جمع، لهم طعامهم الخاص هناك من يأكل طعام البشر وهناك من يأكل العكس فاكل مملكة طقوسها.

تمتم زيدان بصوت خافت ضاحكاً كمن يحدث نفسه:

_ أحببته رغم كل شيء! تجاوزت الخمسمائة من عمرها وتاكل العظام؟
يا للعجب!

ثم أكمل ضحكته المكتومة بشيء من السخرية المشوبة بالخوف:

_ أكاد أخشى أنني إن متّ قبلها، لن تجد ما يكفيها من العظام سوى عظامي لتقتات عليها بدلاً من دفنها.

رفعت هاتور نظرها إليه:

_ هل تقول شيئاً يا زيدان؟ أخشى أن يكون هناك ما لا يعجبك.

ابتسم زيدان ابتسامة سريعة محاولاً إخفاء ما في نفسه، ثم قال بهدوءٍ
محاولاً التخفيف من حدة الموقف:

لا يا عزيزتي، لا يوجد شيء مجرد أفكار تافهة لا تستحق الذكر.

ثم أردف بصوت منخفض:

ـ أنتِ لا تعرفين كيف تثيرين فيّ القلق أحياناً.

نظر مصطفى الحكيم إلى برديس بتفكير عميق، ثم رفع عينيه إليه
وسأله بلهجة جادة:

ـ ماذا نفعل الآن؟ نحن جاهزون لكل شيء، مهما كان الثمن.

ثم أضاف بصوتٍ حازم:

ـ كلما طال الانتظار زادت المخاطر لابد من اتخاذ خطوة الآن.

رد الحكيم برديس :

ـ لقد حانت رحلتكم في أرض أوريانث.

ثم بدأ في صعود الأدراج الصغيرة التي تقود إلى الخارج، مغادراً مخبأه
سار الجميع خلفه بهدوء وكل منهم يعلم أن هذه اللحظة لا تعني فقط
بداية رحلة، بل أيضاً بداية اختبار في أرض غامضة لا يعرفون عنها
شيئاً.

عندما خرجوا جميعاً من المخبأ، جعلوا من سطح المريخ مكاناً لراحتهم المؤقتة، رفع برديس عصاه في الهواء، ثم ضرب الأرض بها ثلاث مرات متتالية.

انشطر الصمت فجأة وخرج من بين الصخور صرير خفيف، ثم تبعه صفير ناعم، بالكاد يسمع إلا من كان قريباً جداً.

فجأة ظهر أمامهم كائن عجيب . كان ذلك المخلوق الذي خرج من باطن الأرض المريخية يشبه الأفعى، لكن جسمه ممدود وقوي، يتنقل بحركة لولبية كالتنين.

هو "سيرنوف"، حيوان مريخي غريب، يمتلك جسداً طويلاً لامعاً بألوان زرقاء فضية تشع من عليها غبار مريخي أحمر كأنياب تضيء في ظلام الكون. طوله خمسة أمتار وعرضه متراً ونصف، يمتلك ذيلاً طويلاً شبيهاً بذيل التمساح يساعده في الحفاظ على توازنه أثناء انزلاقه عبر تضاريس المريخ الصخرية.

لم تكن له أرجل تقليدية، بل أطرافه أشبه بالمجاديف التي تساعده على الانزلاق بسرعة على سطح المريخ القاسي هذه الأطراف تتفاعل مع تغيرات الحرارة والمجال المغناطيسي للكوكب، مما أتاح له التنقل بحرية.

أما عينيه فكبيرة ولامعة، بلون ذهبي غامق، مع طبقة شفافة تحميها من الرياح الرملية القاسية ولكن ما كان يثير الرهبة أكثر هو أن عينيه كانتا تشعان بقوة ضوء أزرق كهربائي، ما يجعله قادرًا على التنقل بسهولة في الظلام الحالك.

سيرنوبا أيضًا يمتلك قدرة فريدة على امتصاص الطاقة الحرارية من سطح المريخ وتخزينها داخل جسده، مما يمنحه القدرة على البقاء في بيئة شديدة البرودة. لم يكن هذا الكائن يقتصر على البقاء فقط، بل كان قادرًا على إطلاق الطاقة الحرارية الموجهة عبر أطرافه في شكل طاقة مدمرة، تمكنه من الحفر في التربة المريخية الصلبة أو حتى استخدامها لمهاجمة أعدائه.

قال برديس:

_أترون هذا؟ هذا هو سيرنوبا، رفيقنا الجديد لا تحاولوا الاقتراب دون إذن.

ومع تلك الكلمات، بدأ سيرنوبا يقترب منهم برشاقة، مستعدًا للانطلاق مع الرفاق في هذه الأرض الغريبة.

ركب الجميع فوق ظهره، ثم انطلق بسرعة رهيبية، بينما كان الهواء يعصف بوجوههم، ليضحكوا في رهبة مع كل خفقة من خفقات الرياح.

ومع مرور الوقت، وصلوا إلى مملكة أوريانث.

تجولوا بين الشوارع المغيبة، حيث كان الشعب يسير كأشباح، غارقاً في ليلٍ لا نهاية له. كان سكان المملكة يبدون وكأنهم قد نُزِع منهم أي شعور بالكرامة، مشهد مرعب من اليأس.

سار سيرنوفاً بين الجدران العتيقة بهدوءٍ، كأنه جزء من هذا الظلام. أما الأصدقاء، فقد عيونهم على سكان المملكة الذين يخطون في الطرقات بلا روح، وهم يرددون في آن واحد أناشيد اليأس التي تغمر المكان وتنفث في جوه رهبةً غريبة:

نحن عبيد الرضا، طوع أمر السلطان، لا نملك أملاً ولا طريقاً، إلا ما يرسم لنا من ظلامٍ ونار.

نحن الغبار في مملكتهنعلو ونخبو برمشة عينيه، لن نرى ولن نسمع إلا بما يختاره لنا.

أمرنا أن نسير كما تشاء أقدامه، بلا إرادة ولا أمل، فنحن الصدى الذي يعيد صداه، وما نحن إلا عابرو طرق في هواه.

نحن الأصفاد التي وضعها سيدها على يديها، لا نتحرر إلا بفرمان، ولا نحيا إلا برضاه.

لا اسم لنا ولا وجه إلا ما يعطيه الملك، فوجودنا عبءٌ نحمله لأن ذلك ما أمرنا به.

يقولون إننا نعيش لكننا نعرف أن الموت أرحم فلا حياة لنا إلا تحت ظلّ عرشه، ولا كرامة إلا في إذلالنا.

نحن أدواته، خلقنا لنكون جزءاً من عظمته، وأمرنا ألا نرى من هذا العالم إلا سواده.

_ نحن الساقطون تحت عرشه، نتعلم أن الكرامة ثقلٌ لا يُحمل، وأن الذل هو ما يبقينا أحياء.

_ نحن بقايا إرادته، نُسير بما يشاء، ولا نشهد نوراً إلا إذا مررنا من ظلاله.

كان الهواء المحيط بهم ثقيلاً، يبعث في النفوس شعوراً بالعجز، كما لو أن هذه الأناشيد كانت قد نُحتت في جدران المملكة نفسها.

ضحك زيدان بتعجب، وهو يهز رأسه في استغراب:

_ ما هذا الذل الذي يرزحون تحته؟ لماذا يردد هؤلاء الحمقى هذه الكلمات؟

نظر برديس إليه بحزن عميق وقال:

_ هذه هي مسيرة الخضوع التي فرضها سيرال على أهل أوريانث من يرفضها يُقتل ولكن... هناك من أبى أن يفعل ذلك ونحن ذاهبون إليهم الآن.

من هم ..سألت هاتور؟؟

أجاب إنهم حراس النور التي اخبرتك عنهم و الباقون من حكماء أوريانث.

توقف سيرنوبا فجأة زاحقًا بهدوء نحو باب بيت غير مرئي، بدأ يتحسس الأرض بأنفه الكبير كأنه يشم شيئًا في الهواء.

ابتسم برديس قليلاً، وهو يراقب الحيوان برضا:

_ أحسنت، يا حيواني الأليف.

ثم اقترب من سيرنوبا، ليضع رأسه بالقرب من الأذنين الحساسين للكائن المريخي ثم همس بصوت خافت كأنما يتحدث إلى نفسه أكثر لا إلى سيرنوبا وقال:

_ فردًا أبي الخضوع خير من شعب نل نفسه.

، وفي لحظة غريبة، انفتح الباب فجأة، بصوتٍ منخفضٍ وحاد كأنما كان ينتظر هذه اللحظة.

نظرت عيون الأصدقاء إلى الباب الذي بدأ يتسع تدريجيًا ثم دلفوا إلى الداخل. بدا المكان وكأنه قطعة معزولة عن الزمن الجدران مصنوعة من حجرٍ داكن اللون، مغطاة بنقوش غريبة تمثل رموزًا قديمة ومغفرة. بعضها متسلسلاً ليروي حكايات أسطورية عن حراس النور الذين حافظوا على الأسرار، وبعضها الآخر متشابهاً ليشكل صوراً غامضة، كأنها تروي تفاصيل عن معارك وحروب سابقة. الجدران ذات سطح مانل في زواياها يشع ضوءاً خافتاً ينبعث من داخلها.

الأرض مغطاة بسجاداتٍ سميقة مصنوعة من ألياف غير معروفة، ذات ألوان داكنة مثل الأسود والبني والرمادي، تعكس الهدوء والغموض الذي يحيط بالمكان. في بعض الأماكن، كانت السجادات

الأثاث بسيطاً ولكنه أنيق للغاية، مصنوعاً من خشبٍ غامقٍ مع تفاصيل دقيقة محفورة فيه. الأرائك طويلة وعميقة، مع وسائد مغطاة بأنسجة من الكتان الفاخر، توحى بالراحة ولكن في ذات الوقت تحفظ الهيبة. بالقرب من الجدران، هناك رفوف حجرية تحتوي على كتبٍ قديمة، وبعض الأواني المعدنية المزخرفة التي تستخدم في الطقوس .

الضوء في المكان محدوداً، ينبعث من مصادر غير مرئية، ربما كانت مصابيح سحرية أو عناصر مدمجة في الجدران نفسها.

في وسط المكان، هناك حوض ماء عميق مصنوع من حجرٍ أسود، تحيط به أزهار غريبة وعشبات فضية، تلامس أطرافها الماء الهادئ. سطح الماء يعكس الضوء الخافت الذي يحيط بالمكان، فيظهر وكأنه مرآة تحتوي على نجوم بعيدة. هناك أصوات خفيفة ربما كانت خرير الماء أو همسات غريبة، تتردد في أرجاء المكان، لتضفي على الجو أجواءً غامضة ومثيرة.

في أحد الأركان هناك مدفأة حجرية، تُشعل بواسطة مواد غريبة، تشتعل بشكل بطيء دون لهب حقيقي. الحريق في المدفأة يشع نورًا برتقاليًا دافئًا، وهو يتناثر ليعكس ظلالاً طويلة على الجدران.

الأسطح العلوية تحتوي على أرفف حجرية مع منحوتات قديمة، وقطع سلاح ثقيلة تمثل تماثيل للحراس السابقين، سيوفٌ ودروعٌ تلمع في الضوء الضعيف كل شيء هنا يعكس حسًا بالصرامة والقداسة

كلما تقدموا أكثر داخل هذا المكان الغامض بدأت أن الجدران تأخذهم إلى أعماقٍ أكبر من الظلام حيث الزمان والمكان يتداخلان.

فجأة خرجت امرأة جميلة من الظلال، ترتدي ثيابًا مبهرة تلتف حول جسدها برشاقة، بينما كان وشاحها الطويل يتطاير خلفها في رقة

غريبة. تقدمت بخطوات واثقة نحو برديس، وعينيها تلمعان بنورٍ داخلي لا يُخطئه أحد.

أخذت يداها في يديها برقّة، ثم نظرت إليه بعينين يملؤهما الشوق، وقالت بصوتٍ دافئٍ :

__ لقد اشتقت إليك كثيرًا، يا أبي.

عانقها برديس برفق ثم قبل رأسها في لفطة حانية تعكس محبةً كبيرة:

__ أنا من اشتقت إليك، يا هاجر.

ابتسم برديس وقال وهو يشير إلى الأصدقاء الذين وقفوا بجواره:

__ أنظري يا بنيتي على من أحضرتهم معي.

__ من هم يا أبي؟؟

__ هؤلاء سيكونون معنا في مواجهة سيرال لديهم قوة وعزيمة مميزة، سنحتاجها وسط هذا اليأس الذي يسود.

ابتسمت هاجر بلطف ثم أجابت بثقة:

__ ستساعد الملكة روزي بقدومكم، وكذلك باقي حراس النور. سيكونون رفقاء لكم في هذا الطريق.

سألت هاتور:

_ ملكة... من هي؟

هاجر :

_ روزي هي زوجة الملك سيرال الأعمى. كان يحبها منذ زمن طويل، وعندما استولى على الحكم، أرغمها على الزواج منه، لكنه لم يضع عليها سحر اليأس كما يفعل مع الآخرين، لأن قلبه كان مملوءاً بالحب تجاهها. ومع ذلك هي لم تقبل ظلمه ولا ما يفعله بشعبه لذلك أصبحت فرضاً سرياً من حراس النور الذين يقفون في وجهه ويسعون لتحرير الناس من قبضة الظلام.

الفصل الثاني والعشرون: "صدي الحرية"

تأقت عيون هاجر بلونٍ أصفر مبهر وهي تراقب العصفور المريخي البديع الذي حط على كتفها. كان العصفور أشبه بالحرباء، طويل الذيل، يتحول لونه ليندمج مع محيطه، وكأنه سراب منسوج من ألوان السماء والأرض. همست هاجر في أذنه بكلمات خفية، ثم دسّت رسالة صغيرة في زيله، اختفت بين ثنايا ريشه وقالت:

_ اذهب يا نال إلى شرنيس، وأخبره أن أبي برديس قد جاء.

أمسكت بالعصفور وفتحت فتحةً سريةً في الجدار، أطلقت منها العصفور الذي حلق عاليًا، متلونًا بلون السماء حتى كاد يتلاشى وسط السحب كطيفٍ هائم.

كانت الأنظار تتابع العصفور بدهشة، تتأمل عظمته وجماله، وتتطلع حولها منبهرة بعظمة مقر حراس النور. التفتت هاجر إلى الصحبة وقالت : يا أبي أخبرهم عن حراس النور وعن التاريخ الذي يحمله المكان.

قال برديس:

_ كان لنا يومًا احدى عشر من الحكماء وانا منهم كنا نحكم أرض أوريانث، لم يكن حكمنا سلطانًا قاهرًا، بل كان مجلسًا للشورى، حيث تتلاقى عقولنا وقوتنا لحماية المملكة وتوجيهها نحو الخير. كنا نشرف على كل كبيرة وصغيرة. لكن سيرال الشرير جاء لينشر ظلامه ويكسر النور، ولم يترك في أعقابه سوى الدمار. قتل منا سبعة حراس بلا رحمة قُتل كلٌّ من مرنيس، فراميس، جاريمس، عرديس، سرمىس، أرمىس، وناريس. أما الباقيون فليسوا إلا أنا وثلاثة آخرين، نحمل شعلة الحكمة رغم مرور القرون.

توقف برديس للحظة، ثم تابع :

بقي منا جرميس، شرنيس، وفرحيس. سأحدثكم عنهم لتتعرفوا عليهم وتعرفوا أهميتهم.

جرميس عمره 900 دورة مريخية أي ما يعادل 6,183 سنة أرضية ويلقب بـ حارس الزمن فليده القدرة على رؤية الماضي واستلهم الحكمة منه.

شرنيس عمره 800 دورة مريخية أي ما يعادل 5,496 سنة أرضية يتمتع ببنية قوية ونظرات حادة، يُعرف بوحارس العدل إذ يرى الحقائق ويحمي نور الحكمة من أي خطر.

فرحيس عمره 700 دورة مريخية أي ما يعادل 4,809 سنة أرضية وهو الأصغر بيننا، يلقب بـ حارس الأرض ويحافظ على توازن الكون بأسمى صورة، ملتزمًا بحماية الطبيعة من الفناء.

نظر زيدان إلى برديس، وابتسم بابتسامة مليئة بالسخرية الطفولية، ثم قال بلهجة فكاهية:

_ أنت اسمك برديس والحكام ملحيس وفليس ولا كبريس؟ أنا لا أفهم ما تقولون! فكيف أسميت هاجر؟

لم يملك برديس سوى أن يبتسم برقة ثم أجاب:

أنت مشاكس يا زيدان، لكن دعني أخبرك هاجر وُلدت في بيئة مليئة بالهجران، حيث لم يكن الفراق غريبًا على أهلها كانت تربي بين أماكن متغيرة ووجوه غائبة، وكل شيء حولها كان بعيدًا، حتى قلبي كان بعيدًا عنها. فاخترت لها اسم 'هاجر' لأنني أردت لها أن تتعود على الهجر، أن تتعلم كيف تعيش مع الغربة، كيف تجد نفسها بين الأمكنة التي لا تملكها، والقلوب التي لا تظل معها. اسمها كان يعكس البيئة التي نشأت فيها، ولكن في داخلها كان هناك دائمًا أمل في اللقاء، وأمل في العودة.

أضاف برديس بابتسامة هادئة:

_ كل هجران يعقبه أمل، وكل فراق يولد في القلب حبًا أقوى، ولذلك اخترت لها هذا الاسم.

نظر حمزة إلى برديس بنظرة مليئة بالفضول، وتردد للحظة قبل أن يقول بأدب:

_ اعذرني يا أيها الحكيم، ولكن... ما هو عمرك؟

_ عمري يبلغ 950 دورة مريخية، وهذا يعادل أكثر من 6,500 سنة بمقياس زمنكم الأرضي. عشت أزمنة طويلة، شهدت خلالها قيام وسقوط ممالك، ورأيت أجيالًا تأتي وتذهب. ومع كل دورة من هذه الدورات، تعلمت درسًا جديدًا واكتسبت حكمةً أعمق.

ثم أضاف :

_ لكن يا حمزة لا تقاس الحكمة بعدد السنين إنما هي بما تختزنه الأرواح من معرفة وتجارب، وكل لحظة قد تحمل في طياتها درسًا أعمق من عمرٍ بأكمله.

نغز زيدان حمزة بكتفه وقال بابتسامة مآكرة:

_ أين اختفى كلامك عن أن هاتور أنها أكبر من الكون؟ يبدو أن الحكيم برديس سحب البساط من تحت قدميها.

ضحك حمزة محاولاً تبرير نفسه وقال:

_ أنا لم أقصد حرفياً أنها أكبر من الكون... ربما أكبر من مجرتنا فقط.

قهقه زيدان ورد سريعاً:

_ وأظن بعد قليل ستقول إنها أكبر من حكماء النور.

بعد لحظات انفتح الباب ببطء ودخل حراس النور بوقارهم وهيبتهم، علا صوت برديس بفرحة :

_ أصدقائي القدامى... اشتقت لكم.

تقدموا نحوه بخطوات مشوبة بالشوق وتعانقوا بقوة وكأنهم يريدون محو آثار القرون التي مرت دون لقاء.

ابتسم شرنيس قائلاً:

_ لم أعتقد أنني سأعيش لأراك مجددًا يا برديس، بعد كل تلك الحروب والأزمان.

قال برديس :

_ يبدو أن الحظ ما زال رفيقنا، يا شرنيس.

أضاف جرميس وهو يضع يده على كتف برديس:

_ لا زلت بنفس الحماس، لم يتغير فيك شيء.

_ أنتم من منحني القوة والحماس ففي غيابكم كنتم النور الذي قادني عبر الظلام .

تقدم جرميس بنظرته الثاقبة متفحصًا وجوه الحاضرين، إلى أن وقعت عيناه على مصطفى. ابتسم له ابتسامة خفيفة، لكن ملامحه لم تخف ما رآه من آثار الماضي. قال له بصوت عميق كأنما ينبش أعماق روحه:
_ أستطيع رؤية ماضيك يا مصطفى... أرى بثينة ابنتك بين يديك غارقة في الدماء، وأرى في عينيك شعلة الانتقام.

توقف للحظة ثم أضاف :

_ حكمتي لك يا مصطفى أن تجعل ما سلب منك دافعاً لاسترداد ما ضاع، لكن لا تجعل الانتقام يلهتهم روحك. كن قوة للعدل لا للثأر، واجعل غضبك نوراً يهديك للطريق الصحيح.

ثم وجه نظره إلى زيدان قائلاً :

_ علاقتك هذه لا تخدم اتزان الكون الجنية لا تجتمع ببشري، حتى وإن كان في قلبك حب كبير لها، أنت تخالف نظام الخلق الذي وُضع بعناية ليحفظ استقرار العوالم، ولا يمكن أن تضعف الحدود بين العوالم من أجل عاطفة، مهما كانت صادقة.

ثم وضع جرميس يده على كتف زيدان وأضاف:

_ أعلم أن قلبك مخلص، لكن تذكر أن بعض الأقدار كتبت لتبقى على مسافة، وذلك لمصلحة الجميع فما بين عالم البشر وعالم الجن ليس مجرد فاصل زمني، بل حاجز يعزز توازن الكون بأسره. قد يكون الحب محط تقدير، لكنه لا يجب أن يحيد عن المسار الذي خُلق من أجله كل شيء.

صمت جرميس لبرهة ثم أردف قائلاً بلطف:

_ ولا تنسَ الأرملة التي تزوجتها، فرغم صغر سنك تحملت مسؤوليتها بكل صدق، أراك تضحك وتمازح الجميع، لكنك رجل يحمل عبء

المسؤولية بجدارة، وكأنها ليست عليك بثقل. أحياناً يكون الوفاء والالتزام أسمى من كل المشاعر الأخرى.

جرميس توجه إلى حمزه هذه المرة:

_أرى فيك نفسي يا حمزة... قوي البدن، مهيب، شجاع، ومع ذلك ينبض داخلك العدل. لكنك تحمل داخلك عبئاً من نوع آخر عبء العدالة التي تطلبها لأخيك الذي قتل على يد صديقك ليث، ثم عدالة أخرى لليث نفسه الذي ضحى بحياته فداءً لك.

توقف قليلاً ثم نظر إلى الحاضرين جميعاً بجدية وأكمل:

_وكلكم هنا تطلبون العدل من شذور، تلك التي زرعت الدمار والخراب في قريبتكم، وقتلت بلا رحمة العديد من أهلكم. أحرقت بيوتكم في ليلة لا تُنسى، كساها لون الدماء التي سالت دون تمييز. قتلت الشيوخ بلا رافة، وألقت الأطفال في ظلام لا نهائي، لم يكن سوى بداية لمزيد من الجرائم التي لم تعرف الشفقة. لكن تذكروا أن العدل يجب أن ينطلق من هدف نقي، لا من الانتقام وحده فالعدل هو ضوء في طريق الظلام، لكن إن انحرف عن مساره، فقد يتحول إلى ظلٍ جديد يغرقنا في ظلام آخر.

نظر جرميس إلى هاتور بتعجب لأنه لم يعرف قراءة ماضيها أو شأنها فلم يستطيع ان يخترق عقلها، فقد كانت مجهولة له . التفت الى باقي الحكماء في صمت غير قادر على فك اللغز الذي يحيط بها.

في هذه الأثناء، كان حمزة ومصطفى وزيدان غارقين في معاني الحكمة التي قدّمها لهم الحكيم جرميس تأملاتهم تتداخل مع تعاليمه في صمت عميق.

رفعت هاتور صوتها فجأة وكأنها تقطع الصمت الذي كان يعم المكان: وماذا بعد؟ هل أذهب إلى سيرال وأطلب منه الباب الخامس؟ أم ماذا سيحدث؟

أجاب برديس :

سيرال يا لا يقبل طلبات أحد. إذا طلبت منه شيئاً، فسُتعتبر قد أظهرت عزيمة، حتى وإن كانت صغيرة هو يريد أن ينزع الأمل من شعبه، ولا يريد أن يرى منهم الا اليأس، ولهذا من يطلب منه شيء يقتله بدم بارد.

حمزة :

ماذا نفعل إذاً هل نقاتل؟ نحن مستعدون.

برديس :

نعم يجب أن نقاتل ولكن بحكمة فلن نندفع في معركة طاحنة لدينا القوة والأمل ولن نسمح لسيرال أن يواصل حكمه بالدماء. القتال ليس فقط من أجلنا بل من أجل كل من عانى اليوم ستكون بداية النهاية له.

أضاف جرميس :

_بحمكتنا وفطنتنا جمعنا 500 فرد من شعب أوريانث. استطعنا أن نزيل اليأس من قلوبهم، وهم مستعدون للقتال معنا.

قالت هاجر:

_ولا تنسَ روزي، يا أبي هي تريد الانتقام أكثر من الجميع. لقد تحملت ما لا يُحتمل، ولا شيء يعيدها إلى صوابها الآن سوى أن ترى العدالة تُنزل على من ظلموها.

أكمل برديس، وهو ينظر إلى الحاضرين بعينين حادتين:

_غداً هو يوم احتفال اليأس المدوي الذي يقام سنويًا حيث يجمع سيرال جميع القواعد التي فرضها على شعبه في ليلة واحدة. مسيرة الخضوع، العمى المقدس، علامات اليأس، طعام الرماد، قفزة الظلام، واحتفال النار السوداء. سيكون يوماً دمويًا، مليئًا بالعذاب والموت لشعب أوريانث. سيموت الآلاف في هذا اليوم.

تابع وقد امتلأ صوته بعزمٍ وحزم:

_يجب أن نهجم قبل أن نخسر المزيد من الأرواح .

صعدت هاجر على السلم الحجري بخطوات واثقة، ثم عادت بعد قليل وهي تحمل قماشة سوداء تلتف حول مجموعة من الأسلحة، كل منها يشع بلمعان خاص يحمل سحرًا خفيًا.

تقدم جرميس نحو زيدان وقال:

_ خذ هذا القوس يا زيدان إنه قوس صنع من خشب شجرة برهوتا القمرية قوة القمر محفورة فيه، وهو ليس كأى قوس آخر.

ثم نظر إلى حمزة، ومدّ له سيفًا حادًا مشعًا قائلاً:

_ وهذا السيف لك صنعته بنفسى، وساعدنى الحكماء جميعهم فى صنعه ليكون قوةً حقيقيةً فى يد من يستخدمه.

أخذ كل حكيم سلاحه منهم من اختار عصا، ومنهم من حمل سلاحًا آخر يناسبه أما مصطفى فاختر خاتمه وحده.

قال برديس :

_ علينا أن نغادر قبل أن تشرق الشمس و يلحظنا أحد.

_ فتح الباب بهدوء، وخرج الجميع من مقرهم خلسةً فى ظلام الليل.

امتطى برديس وحمزة وزيدان ومصطفى ظهر "السيرنوفاف" بينما استقرت هاتور مع هاجر على ظهر "الجرهيب" كائن ضخم يشبه الثور لكنه برأس متعدد القرون وعضلات متينة، وجلد صلب كالدروع. يتميز بحاسة شمّ للماء من مسافات بعيدة وعينين حسّاستين للحرارة، ما يجعله مثاليًا للتنقل عبر الصحاري المريخية الواسعة، قادرًا على حمل راكبين وأمتعة ثقيلة دون عناء.

أما جرميس وفرحيس وشرنيس، فقد امتطوا

"الأرضور" كائن ضخم يشبه حيوان المدرع لكن بقوة وسرعة أكبر. جلده الخارجي مدرعاً من الصلب الطبيعي، يلمع تحت ضوء القمر كدرع غير قابل للاختراق. أقدامه الضخمة المغطاة بمخالب قصيرة، تساعد على التحرك بسهولة عبر التضاريس الصخرية، بل وكان قادراً على الحفر بسرعة عالية عبر الأنفاق الأرضية، مما يجعله وسيلة مثالية للعبور في المناطق الوعرة. هذا الكائن العملاق كان بمثابة الحليف الأمثل لرحلتهم القادمة، حيث قدم لهم سرعة ومرونة في التنقل لم تكن متوفرة عند غيره من الكائنات.

زحفت الحيوانات على أطرافها يركضون في صمت الليل، وكأنها تخشى أن تُكتشف عبروا الأراضي المهجورة التي تقارب المملكة حتى وصلوا إلى دمنة معزولة، يتربع عليها السكون المطبق، وتوقفوا في مكان بعيد عن الأنظار.

وقف جرميس، الذي كانت نظراته الحادة تراقب كل شيء بعين الحكمة، وأمسك بعصاه، ليلطم بها الأرض مرتين، ثم جثا على ركبتيه، وقدماه تلامسان الأرض. ضرب بيده ثلاث ضربات على الأرض، فاهتزت الرمال تتحرك تحت الأقدام.

قال جرميس بصوت عميق، كأن كلماته تتناثر من أعماق الأرض نفسها:

_ فرداً أبي الخضوع خير من شعب ذل نفسه.

..في لحظة واحدة خرج الثوار من تحت الرمال، كالأشباح القادمة من أعماق المريخ.

كانت جلودهم قد أخذت لوناً أحمر غامقاً، وكأن الكوكب المريخي قد ألبسهم ثوبه ودمغهم بدماء أرضهم، أما أذرعهم فقد ازدانت بأوشام متعرجة، رموزاً لقسوة المعارك التي لم تتوقف قط. ومن بين حشودهم، يمكن رؤية آثار جروح قديمة وحروق، إذ لم ينج أحد منهم من سطوة بطش سيرال، كأن أجسادهم هي ذاكرة حية لكل جريمة ارتكبتها ضدهم.

وقف برديس أمامهم:

_ شعبي حكماكم بما يرضي الحق، ما كان لنا سوى الخير في نفوسنا وفيكم. لكن جاء سيرال ذلك الأعمى الملعون وجلب لنا خاتم اليأس، وبه أغرق أرواحنا في العذا وجعل منكم وضعاء كالحوانات المذلولة التي تسير على قدميها تحت وطأته.

صمت لحظة، ثم أكمل:

سيرال ملأ الأرض بدماء لا يمحوه الزمان، قتل من شعبنا من قتل،
وزرع الجثث في كل مكان حتى تحولت أراضينا إلى مستنقعات من
الموت.

اكمل هذه المرة بغضب لا يوصف:

لقد غرقنا في بحور من الرعب، كانت الأجساد تتناثر كقطع خشب
عائمة، والسكون الذي حل بالأرض كان يجعل الموتى يصرخون
بأسماننا في كل لحظة. سيرال جعل من شعبنا هياكل عظمية متناثرة
تحت قدميه، وكل من كان يظن أنه سيعيش ليشهد فجراً جديداً، كان
يكتشف في النهاية أنه لا شيء سوى خرافة.

جرميس موجهاً كلامه لثوار:

أنتم لستم وحدكم، أنتم أبناء النور وحراس الحق لقد قتل سيرال كل
من تجراً أن يحلم بالحرية لكنه نسي أن الحلم لا يقتل، بل ينمو في
صدوركم أقوى من قبل تذكروا من رحلوا، وتذكروا أن دماؤهم لم
تذهب سدى. دماؤهم زرعت في قلوبكم الشجاعة، شجاعة من يستحق
العيش بكرامة فلتكن معركتكم ليست فقط ضد سيرال، بل ضد كل يأس
زرعه في قلوبكم.

ثم نهض شرنيس، حارس العدل:

_ اليوم سنعيد للحق هييته وللعديل سلطانه. سيرال سلب منكم كل ما هو ثمين لكنكم أحياء، وما زلتم تمتلكون القوة والكرامة. اليوم سنعيد العديل لهذه الأرض سيرال يريد إخضاعكم لكننا سنثبت له أنكم ترفضون الذل والخضوع. فلنقف صفاً واحداً، ولنكن كالسيف الذي لا ينكسر!

تقدم أحد الجنود بخطوات مترددة وقال بصوت خافت يكاد يُسمع:

_ لكن... كيف لنا أن نواجه سيرال؟ جيشه لا يُعدّ ولا يُحصى، وقوته تفوق كل تصور نحن... لا نملك مثل جنوده ولا مثل أسلحته فكيف لنا أن ننتصر على طاغية كهذا؟

كان صوته يرتجف، ووجهه يشحب، وكأن تلك الكلمات أرهقته، فأطرافه بدت كأنها تميل تحت ثقل الخوف المتراكم في أعماقه.

دخل مصطفى بين صفوف الثوار بشموخ، ناظراً في وجوههم بعزيمة وصرخ:

_ أعلم أني من البشر وأنتم من الجن لكننا اليوم في خندق واحد في قريتي انا وأصدقائي وجهنا أهوال النداهة، تلك اللعنة التي التهمت أرواحنا، واقتلعت منا أعلى الأحبة أخذت مني ابنتي بثينة لم أكن لأقبل بهذا المصير، فطاردناها في كل زاوية دون أن نرتدّ أو نمل... وعندما لم نستطيع أن نعثر عليها.. توجهنا في رحلة لي ايقافها. لم تكن رحلتنا سهلة فقدنا رفاقاً عظاماً، لكننا لم نستسلم اخترقنا عوالم خطيرة، كنا

على حافة الموت مراتٍ ومراتٍ، وفي كل مرة كنا ننهض من جديد، مصممين على النجاة. لم نسلم لليأس بل جعلناه عدونا، وكان أمننا دليلاً الوحيداً.

اليوم، نقف معاً لا فرق بين مريخي وبشري نقف من أجل هذه الأرض، نقف من أجل حرية شعبها فإن كان الغرباء يدافعون عن أرضكم، فأنتم أولى بذلك قاتلوا بكل ما في قلوبكم، وأبعدوا اليأس عن أرواحكم كونوا حماةً لأرضكم، فهذه المعركة هي التي ستخلد أسماءكم.

بدأت صيحات الثوار تعلو، واختلطت مشاعر الغضب بالحماسة، واستعد الجميع لخوض المعركة، عيونهم متطلعة إلى لحظة الانتصار.

الفصل الثالث والعشرون: "عزف النهاية في اوريانث"

كان زيدان مستنثداً إلى ظهر حمزة عندما قال حمزة بصوتٍ خافت:

_ كنت أفكر فيما قاله فرحيس... إنه يرى أن علاقتك مع هاتور قد تحدث خللاً، ربما تُضعف التوازن بين العالمين.

زيدان:

_ لا أرى فرقاً في هذا العالم البعيد ولا يهمني ما يقوله الآخرون. قلبي خفق لها، ولن أوقفه مهما كان أنسيت أين نحن؟ نحن في عالم غير

عالمنا، على كوكب لا يتنفسه البشر وتحدثني عن التوازن؟ كل هذا الموت والدمار، وتسميه توازنًا؟

_ أحيانًا يا زيدان، أشعر أن حبك لها تمرّد على الحزن والظلام، وكأنها اليد التي تمد لك لتنتشل قلبك من بحور العذاب لكنني أخشى عليك... أخشى أن يكون هذا الحب طريقك إلى الهلاك وربما ليس حبًا، ربما هو اندفاع في لحظة ضعف.

_ لقد قُلتها وسأقولها أنا كنت أحلم بها منذ زمن، كأنها النبع الصافي الذي يعكس أشعة الشمس. لم تخطف قلبي فحسب، بل سمعتها تهمس لي: أنا لك وأنت لي فلا تطلب مني أن أعتبره تسرعًا.

رد حمزة محذرًا:

_ أنا لا أشك في مشاعرك، ولكنني أحذرك لقد انضمت لنا منذ شهر أو أكثر لكن هل نعرفها حقًا؟ هل نعني لها شيئًا كما تعني لها؟

استدار حمزة نحوه بوجهٍ جاد بعد أن كان مستندًا بظهره وقال:

_ حدثني مصطفى عن هاتور كثيرًا...

تساءل زيدان بهتمام:

_ وماذا قال لك؟

أجاب :

_ قال إن هذه العلاقة لا يجب أن تستمر. إنه يشك في نواياها، يشعر أن وراءها أسرارًا كبيرة قد نجهلها، أراد أن يخبرك بهذا منذ البداية، لكنني منعتُه أردت حمايتك يا زيدان... لأنني رأيت حزنك ووجعك من قبل عندما فقدت من تحب، وعندما وجدتك قد بدأت في استعادة نفسك، فرحت.

_ لا تقلق يا حمزة وأخبر مصطفى بذلك أنا أعلم مصلحتي، وكل ما يهمني هو أنها تملأ قلبي بخفي لم أعرفه من قبل.

كانت هاتور تجلس بين الحكماء حول نارٍ تتراقص ألسنتها، حتى لاحت إليهم بعينيها ثم رفعت يدها بإشارة صامته، تدعوهم للانضمام إلى هذا المجلس .

همس حمزة بقلق: إنها تشير إلينا... هيا لنرى ما تود إخبارنا به.

أوما زيدان بحزم ثم وقف.

تقدم حمزة وزيدان نحو الجمع فكان مصطفى يجلس بهدوء قرب النار، وعيناه تراقبان كل حركة بدقة واهتمام. حين اقترب زيدان مد مصطفى يده بثبات، وأمسك بيده ثم أشار له بالجلوس بجانبه.

بعدها همس بصوت خافت :

_ اجلس... الحكماء يضعون الآن خطة للهجوم علينا أن نستمع لهم جيداً.

أخذ برديس زمام الحديث، :

_ غداً سنضرب الطاغية في عقر احتفاله وسنطلق شعبه من قيوده الثقيلة.

مدّ فرحيس يده نحو الأرض قائلاً:

_ سنحفر تحت أوريانث شبكة من الأنفاق، تتقدم بها حيوانات الأرضور بصمت إلى الساحة الكبرى، حيث سيكون سيرال مشغول باحتفاله. سنكون هناك دون أن يدرك أحد، جاهزين للحظة الهجوم.

تقدمت هاجر عيناها تلمعان بالحماسة فتحدث إليها جرميس قائلاً:
_ هاجر مهمتك ستكون تحرير الأسرى، سنتسليين مع مجموعة صغيرة فور وصولنا تحت الساحة.

قالت هاجر بثقة: _ علم

التفت فرحيس إلى حمزة :

أنت قائد المجموعة الأولى، ستكون في المقدمة عبر الأنفاق، وحين تصل إلى أسفل الساحة ستعطي الإشارة الخفية بانتظار لحظة الهجوم.

ثم التفت إلى زيدان متابعًا:

أما أنت فمسؤوليتك إبعاد الحراس، بسرعة اعبر خطوطهم دون أن تترك لهم مجالاً للتفكير.

زيدان:

_ سيعرفوننا من صمتنا وسفاجئهم كالعاصفة.

ثم التفت شرنيس إلى مصطفى:

_ أنت ستقود اقتحام المنصة حين تبدأ الفوضى. حين يشعر سيرال بأن أرضه تهتز، ستكون في المقدمة.

هز مصطفى رأسه بثقة : سأقود الهجوم ولن أترك له ملاذًا.

فقال شرنيس، وهو يطيل النظر إلى هاتور:

_ دورك في هذا الهجوم لا يمكن أن يكون مجرد متابعة أو إشراف على الجوانب التكتيكية. أنت ابنة ملك مملكة العوالم، وما تحملينه من قوة وسحر يفوق الوصف. ستقفين في الخط الأمامي مع مصطفى، ولكن ليس كأبي محارب عادي. قوتك هي مفتاح النصر، وستكونين الأداة التي تقلب الموازين في اللحظات الحاسمة.

ثم أضاف برديس بنبرة جدية:

_ في اللحظة التي يشن فيها الهجوم، سيكون هناك تحديات من حيث المواجهات المباشرة والخصوم الأقوياء. قوتك كجنية تتمتع بقدرة لا تضاهي على التحول، والسرعة الفائقة، والتحكم في العناصر المحيطة. يمكنك أن تستخدم ذلك لصالحنا، سواء بايقاع الفخاخ على العدو أو حتى إشعال النار في مكان معين لإرباك صفوف سيرال.

نظر الجميع إلى هاتور، التي بدت عيونها تتوهج بحماس وثقة.

قالت بصوت منخفض، لكن مليء بالقوة:

هاتور:

_ سيرال لن يعرف ما أصابه.

ثم أضاف الحكيم فرحيس:

قال الحكيم برديس، وهو ينظر إلى الحاضرين بنظرة حادة:

_ روزي ليس معنا لكنها تعرف دورها جديداً ستدخل الحفل مع سيرال، الجميع سيظن أنها مجرد زوجته المحفلة، لكن مهمتها هي أن تجذب انتباهه وفي لحظة انشغال الجميع بالاحتفال، ستكون هي من يحرك سيرال إلى النقطة التي نحددها، حيث لا يستطيع الهروب. كل حركة منها ستكون محسوبة، وكل كلمة ستلقى ستكون لصالحنا. عندما يصل سيرال إلى موقعه، ستنقض عليه سهامنا في لحظة لا يتوقعها.

رفع الجميع أسلحتهم نحو السماء، وفي تلك اللحظة كان العزم والإرادة حاضرين. كأن صرخات النصر تقول الليلة لن تكون كالليالي السابقة.

في عمق غرفة مظلمة، حيث لا يطفو سوى الظلال التي تلامس الأرض جلست روزي أمام مرآتها العتيقة زجاجها المعتم يعكس صورة شبحية لها، غير واضحة تمامًا، وكأنها محاصرة بين عوالم عدة. كانت عيناها، رغم الحزن الذي كان يملأها تحديقان في صورتها القاتمة تبحثان عن شيء مفقود في داخلها. تحسست يدها طرف خصلات شعرها الأسود الطويل، الذي كان ينسدل حول وجهها وكأنما يغلفه بالحزن، وبدأت تتنفس ببطء. تلمست ملامحها، فطافت بها الذكريات السوداء، ذكريات الألم والخذلان تحديق كما لو كانت تفكر في كيفية التخلص من كل هذا الظلام الذي يغلفها.

ترتدي ثوبًا أسود ضيقًا على الخصر، ينسدل بأناقة ثم يتسع ليغطي ساقيها، منسجمًا مع الظلام الذي يحيط بها.

مرت دقائق من التأمل العميق فجأة، دُفِع الباب بصوت عالٍ، فتسارعت الأنفاس في صدرها وعرفت أن سيرال قد دخل. على الرغم الضوء الخفيض وظلام الغرفة التي يحيط لها كانت قادرة على الإحساس به، وكان هو أيضًا يشعر بوجودها، يلاحق كل حركة منها.

اقترب منها بهدوء، عينه العمياء لا ترى، لكن قدرته على الإحساس بحركة الهواء من حوله جعلته لا يحتاج للبصر ليعلم مكانها. كان خاتم اليأس الذي يزين إصبعه هو ما يجعله يشعر بكل شيء، وكأنه يرى كل تفصيل يحيط به.

لم تلتفت إليه واستمرت البحلقة في المرآة، وقف خلفها، يراقبها بهدوء. كان يشعر بعجزه وهو يراقبها تعيش في جرح لا شفاء منه.

روزي:

_ماذا تريد؟

سيرال:

_أريد منك شيئاً كنت دائماً تخفينه عني. روزي لماذا لا تفهمين أنني أحبك فعلت كل شيء من أجلنا... من أجل أن نكون معاً. لكنك دائماً ترفضين ذلك.

لكن روزي، كما لو كانت أصواته لا تصل إليها كانت عيناها ثابتتين على انعكاس وجهها في الزجاج وعقلها يغلي بالغضب. لم يكن هناك شيء في كلمات سيرال يمكن أن يخفف ألمها أو يغير مشاعرها.

قالت :

_ أنت لا تعرف معنى الحب إذا كنت تعرفه لما دمرت حياتي. لما قتلت والدي بسحر اليأس، لما جعلتني أعيش في جحيم لا ينتهي.

لقد دمرت كل شيء من أجل غرورك، من أجل رغبتك في أن أكون ملكتك وكل هذا على أنقاض حياتي.

كانت كلماتها تخرج مثل الرصاص، تدمي قلبه أكثر من أي وقت مضى.

وفي لحظة من الغضب اقترب منها وجذبها من شعرها بقوة، ثم سحبها نحو صدره. كانت يدها تقبضان عليها وكأنهما كانتا تحاولان كسر الحاجز بينها وبين مشاعره.

_ أنت لا تفهمين... كل شيء فعلته كان من أجلنا... لا أحد سيحاول أن يحبك مثلما أحببتك حتى لو كنت تكرهيني ستظلين في قلبي.

كانت عيناها مليئة بالكراهية ولم تتغير فشكل بشيء يتحطم في قلبه:

_ كيف يمكن أن تكرهيني بعد كل هذا؟

دفعت يده بعيداً عنها بكل قوتها وابتعدت قليلاً لتعود إلى المرأة وتحقق فيها من جديد ثم تمتعت.

_ لن أسامحك أبداً، كل شيء سينقلب عليك قريباً سأجعلك تدفع ثمن كل قطرة دم، كل لحظة ألم، كل روح دمرتها.

نزلت منها بعض القطرات الدافئة فمسحت دموعها بسرعة:

سيرال ظل صامتًا، لكنه كان يشعر بما لا يمكنه رؤيته.

مع انبلاج الفجر، انطلقت حيوانات الأرضور تحفر الأنفاق بصمت تحت أرض أوريانث، تشق طريقها بتوذة وثبات تحت الساحة الكبرى وتمر عبر الخطوط الحيوية تحت أسوار القصر تنسج ممرات سرية تحت مواقع الجنود كان هذا عملٌ دقيقٌ وسريٌّ لا يحتمل الخطأ.

وقفت هاجر على مقربة، تُراقب بعيونٍ يقظة سير الحفر، وبعد ساعات طويلة راحت رؤوس حيوانات الأرضور تطلّ من فوهات الأنفاق، مُبشّرةً بأن الممرات قد اكتملت وها هي تفتح الطريق أمام أول المحاربين.

وقف مصطفى عند مدخل أحد الأنفاق وقال :

_ أن أوان الانطلاق.

تسلّل المحاربون خفية يتوزعون على المواضع المرسومة لهم جماعة تتقدم صوب مواقع الحراس لضربهم بغتةً قبل أن يتأهبوا، وجماعة تتخذ موقعها قرب النفق المؤدي مباشرةً إلى قلب الساحة حيث سيُقام الاحتفال. كانوا يتحركون بخفة كأنفاس الريح، متيقنين أن سيرال لم يحسب حساب هذه المناورة.

أدارت هاجر نظراتها إلى جارولان رجل من رجال الثوار ، وهمست
_ الحرية قريبة ولن يكون هناك تراجع يا جارولان.

مع أول ضوء للشمس كانت الفرق قد استقرت مواقعهم منتظرين تلك
اللحظة المحددة للهجوم .

غرق احتفال سيرال في طقوس الظلام دقت أصوات الطبول القاسية
تتردد في الهواء. تناوبت أنغام الطبول مع أغانٍ يائسة وألحان
مشؤومة، ترتفع من حناجر الباقين وهم يرددون ترانيم الاستسلام.
كانت أشباحهم تمشي بخطى ثقيلة، عيونهم المظلمة زائغة كأنها
كُسرت، وأرواحهم تتعذّر بثقل العذاب.

اجتمع الحشد في ساحة قذرة لا تملأها سوى الدماء المتجمّدة تحت
أقدامهم، بقايا أحلامٍ ممزّقة وأجسادٍ لم تُدفن بعد، وقفت روزي، جوار
عرش سيرال، وكأنها حجرٌ صامتٌ يلزم بالمشاهدة تشهد بؤساً دون
قدرة على التغيير.

تم تقديم طعام الرماد. وعلى الحضور أن يلتهموا بقاياها، وكل من
يرفض أن يتجرّع تلك المهانة، يعاقب أمام أعين الجميع

ارتفعت صيحات القادة المزيفة أولئك المقدّسون الذين اختاروا نزع
أعينهم ليكرّسوا أنفسهم لخدمة سيرال. وقفوا في طوابير، أيدي فارغة
وعيون معتمة منزوعة، مسحورين بخرافة العمى المقدس، منقادين

كأنما يُطوّعون للظلام بشكلٍ لم يعرفوا سواه. كانوا يهتفون بعبارات
تجمّد سيدهم، ينحازون للطغيان ويسبحون باسمه دون وجه أو حياة،
فقط بصمة من اليأس على جلودهم.

حتى جاء وقت قفزة الظلام ارتعدت أجسادهم كأنها تودع نفسها،
واصطفوا عند الجرف العالي، حيث أمرهم سيرال بالقفز في هاوية
الموت. ومن بين الأصوات المختلطة وصيحات السقوط، تجمّد من بقي
واقفاً وصاروا يرفعون هتافاً جديداً.

وسط هذا الجحيم تحركت حركة التحرير تشتعل بين صفوف الحشد،
يتبادلون إشارات خفية، يتنقلون بينهم بهدوءٍ مدروس بينما الطبول
تخفق أصواتهم، وألحان الاستسلام تخفي همساتهم لم تكن هذه مجرد
خطط بل كانت شرارات تتحرك من يدٍ إلى يد، ومن نظرة إلى نظرة
تحمل أملاً مفقوداً في عيونٍ متعبة.

فجأة وقف سيرال وحوله ألسنة لهب سوداء يتلاعب بالخاتم على
إصبعه الذي يزداد توهجاً كلما عمق سيطرته على قلوب الخاضعين.
فالخاتم يشدّ قلوبهم و يبتلع أسرارهم، ويحوّل ألمهم إلى طاقة تزيد من
قوته.

كان الاحتفال يشند ويعلو دوي الطبول أكثر فأكثر همست هاجر:

_الآن هو الوقت... لنحرر إخواننا .

تسللت مع مجموعة من الثوار نحو السجون ثم نفذت تعاويذتها السحرية، فنتشرت أسنة نيران حولها، وسقط الحراس واحداً تلو الآخر مكبلين . بعدها تم تحرير أكثر من مئتي أسير استدارت هاجر نحوهم وهي ترفع قبضتها قائلة:

_ اليوم ننال الحرية إخوتنا في الساحة ينتظرون دعماً... الليلة ستكون آخر ليالي سيرال.

في الساحة الكبرى وقف زيدان وحمزة مع الثوار حول الحراس المتناثرين في كل مكان، كلٌّ منهم يوجه سلاحه نحو حارس، مُلقين عليهم نظراتٍ حادة . في هذه اللحظة خفت توهج خاتم اليأس في إصبع سيرال فشعر بشيء غريب ينقصه، لكنه لم يكن واثقاً مما يحدث فتردد نظراته يبحث عما يخلّ التوازن الذي صنعه.

فاقتربت روزي بخبث محاولة تشتيته:

_ إنك على حق هذا الشعب الأحمق لا يستحق سوى القسوة؟ فهم يستحقون كل ما فعلت بهم وأكثر.

استدار نحوها، متأملاً وجهها بانسراح فواصلت حديثها :

_ لقد أدركت الآن لما تعذبهم لأنهم حثالة... واستطيع قولها الآن أنا أحبك كما أنت بجبروتك وقوتك.

كلماتها التي انهمرت كالمطر على أذنه جعلته يتوه للحظة.

_حقًا؟ بدأتني تفهميني؟ احتضنته روزي وأخذت تداعب شعره

ثم همست له:

أجل افهمك وأنا لك وأنت لي وسنظل دائمًا معًا ثم ألصقت شفثيها بشفثيه . لكن عينيها زاغت نحو زيدان الذي كان قد رفع سهمه للتصويب بإشارة من إصبعها.

فوجه السهم بخفة، ورماه نحو سيرال لكن في حركة خاطفة ومكر خبيث، أمسك سيرال بيد روزي وجذبها أمامه، ليصيب السهم ظهرها ويخرج من صدرها اتسعت عيناها من الصدمة بينما ظلت للحظة ثابتة والألم يحرقها من الداخل.

سيرال لم يتردد في التحديق بها وهو يقول:

_ظننت أنني لن أرى؟ قد أكون أعمى ولكن قلبي يرى الخيانة في أعماق الأرواح.

كانت تتنفس بصعوبة وعينيها تفيض بالحزن والخوف لكنه تابع، ممسكًا بيدها التي ارتخت شيئًا فشيئًا:

_لقد أحببتك ياروزي وظننت أنك ستكونين مخلصاً لي، ولكن اختلط عليك الأمر... لقد اخترت الخيانة.

هزّ رأسه ببطء، بينما ظهر الحزن على وجهه ثم سرعان ما انقلبت ملامحه إلى غضب محتدم:

_ رفع صوته وأعلن للحضور:

_ هذا ما يحدث لمن يخونني. سأقلب هذا المكان إلى مستنقعٍ من الدماء... سيغرق كل من تجرأ أن يقف ضدي لن أترك أحداً ثواراً كانوا أم راضخين.

صرخاته أضافت جواً من الهلع والرعب بين الحشد، بينما التفت مصطفى وهمس لحمزة،

_ حان وقت التحرك، لا يمكننا ترك هذا الطاغية يفلت.

فجأة أطلقت هاجر صرخة مدوية عندما وقعت عينيها على روزي "لااااااا! ملأ صوتها الساحة بصداه. سقط القوس من يد زيدان، وقد تملكه الذهول.

انطلق سيرال كوحش مفترس، زمجر بصوت مرعب وكلماتٍ تقطر دموية، كسرعة البرق، كان يجتاح الساحة، ممسكاً ضحاياه بقبضات حديدية، يقتلهم بوحشية، ملتقطاً ذرات الخوف وكأنها ترياق يزيده قوة.

في لحظة قاتمة، انقض سيرال على أحد الحراس، قفز فوق كتفيه، واقتلع رأسه بحركة وحشية، ثم رفعه عاليًا، يلحس الدم المتساقط على

شفتيه بابتسامة تزيد من رهبة المشهد. كان كأنه يستمد الحياة من كل قطرة دم ومن كل صرخة خوف في أعين من حوله، كلما زادت رهبتهم، زادت قوته، وازداد توهج خاتم اليأس بعدها استدعى سيرال صخوراً حادة ارتفعت من تحت الأرض، متساقطة فوق رؤوس الجميع. حمزة حاول الهجوم عليه لكنه تلقى ضربة قاسية ألقت به بعيداً، فيما حاولت هاجر نفخ نيران سحرها على وجهه، ولكنه ابتسم، وكأن تلك النار كانت له نسيمات علية في وسط قيظ الصيف واتبعتها بضربه اسقطتها ارضاً.

ثم تحرك بين الجميع كرياح الموت، يقتل بلا رحمة حتى أولئك الذين أطاعوه طاعة عمياء ونزعوا أعينهم من أجل تمجيده، لم يسلموا من قبضته. اصبح كسراً من الشر لا يعرف الرحمة.

صرخ مصطفى:

قد يكون معك خاتم اليأس، ولكن أنا معي خاتم الدمار.

رفع يده نحو السماء، فتشوقت لتظهر برقاً، كوّن سيفاً مشحوناً يمسكه مصطفى ويهجم به بكل قوته على سيرال غير أن ضرباته كانت تصطدم بسيرال كصخرة لم تتأثر.

وسط هذه الفوضى لم يتوقعوا هذا المشهد لقد استندت روزي حتى
وقفت وقد كان السهم لا يزال في صدرها يحمل أنفاسها الأخيرة. ثم
همست بصوتٍ باهتٍ متقطع :

_الأمل... الأمل يضعفه... لا تيأسوا... حافظوا عليه... وسيموت
الخاتم... سيموت الخاتم.

كلماتها رغم ضعفها إلا أنها أثارت بريقًا خافتًا في قلوب الجميع عندها
وقف حكماء حراس النور وبدأوا يرددون أنشودة من كلماتهم :

[[من بعد ظلام دامس يشرق النور

سنعود ونحيا بسلام يجوب الحضور.

ملك الظلم زائل وسلطان الشر مكسور

ونبع الحياة لن ينضب من جديد للدهور....

تردد صدى الأنشودة في الساحة فكل الحضور أسرى وثوارًا وحتى
عبيدًا أصبحوا ينشدونها بصوت متحدٍ لإسقاط سيرال.

كل لحظة كانوا يرفعون فيها أصواتهم كان الخاتم يضعف شيئًا فشيئًا،
وكانت قوة سيرال تتآكل أمام أعينهم.

استمر مصطفى في توجيه ضرباته لسيرال، فيما كانت تعاويز السحر تتساقط عليه من كل جانب. ومع كل صرخةٍ وعلو صوتٍ من الحشد كان جسده يهزل وتصبح قبضته أضعف.

وفي لحظة حاسمة انطلق مصطفى كالسهم ووجه ضربة قاسية من الخلف، فسقط سيرال على الأرض، ولم يعد يشعر بأي قوة وتحولت هيئته من جسده ممتلئ إلى جسد هزيل وعاجز حتى عن حمل نفسه. حاول النهوض مرارًا، لكنه لم يستطع. ومع اختفاء قوته بدأ خاتم اليأس يمتص منه ما يريده من طاقة سلبية يُطعم نفسه من يأس سيرال الخاص، حتى مات ولم يبقى منه سوى عظام هشّة تحكي قصة الطاغية الذي كان يومًا ملكًا لا يُقهر.

ركضت هاجر بسرعة نحو روزي، وهي تحملها بين ذراعيها بحنان، وتضع رأسها على حجرها بينما عيونها مليئة بالدموع:

_ لا تموتي انتهى كل شيء انتهى سيرال وستعود المملكة كما كانت...
ارجوك اصمدي لا تفقدي الأمل.

أجابت في نفسها الأخير:

_ الموت هو سُنّة الحياة، يُخلق المرء ليعيش قليلاً، ثم يموت حتى وإن عاش لآلاف السنين، سيظل الموت مصيره المحتوم.

بكت هاجر بصمت فجأة صوت تمتمة الحكماء الأربعة علا حولهم. كانوا قد التتموا حول روزي وبدأوا في ترديد تعويذة قديمة... حينها بدأ السهم الذي اخترق قلب روزي يذوب تدريجياً، وجرحها يلتئم، وكأنما كان السحر يجلب لها الحياة من جديد.

توقفت عن التنفس وعم السكون لوهلة ولكن لم يكن الوقت طويلاً حتى بدأت تكح بشكل ضعيف، وبدأ قلبها ينبض من جديد، فابتسم الجميع في فرحة عارمة برجوعها إليهم .

تحركت هاتور نحو خاتم اليأس وقالت بنبرة حازمة:

ذلك الشر لا يجب أن يبقى هنا سأخذه إلى ملك العوالم وسيعلم كيف يتخلص منه ثم أدخلته بهدوء داخل سحرها، ليختفي كما لو لم يكن موجوداً يوماً.

بعد أيام قليلة، بدأت المملكة تنبض بالحياة من جديد. السلام عاد ليغمرها، والشعب عاش في تناغم مع الطبيعة، أصبحت الأرض من جديد خصبة والنباتات تنمو في كل مكان والشوارع امتلئت بالأشجار الأيورا.

عاد المجلس الحكماء إلى دورهم في الحكم بعدها عاد كل شيء إلى مكانه ((وظهر من كل هذا أن الأمل هو ما يبني الشعوب، بينما اليأس لا يبني سوى الرماد))

الفصل الرابع والعشرون "لعنة إيفيرمور"

تحت وهج النجوم المتناثر في سماء الليل وقفت هاجر بجانب روزي تتأملان الأفق ويدهما متشابكتان كأنما تصنعان حائطاً من القوة لا يقوى أحد على اختراقه. خلفهما اصطف حكماء النور وفي الوقت نفسه كانوا قادة أورينيث.

على مقربة ظهر باب العالم الخامس تشابكت أيادي الحكماء حول الباب، مشكّلين دائرة من النور، فانبعث من وسطهم صندوق مهيب، يشع بنورٍ خافتٍ فتقدمت هاتور نحو الصندوق ثم انحنت واخذته من الأرض بعدها فتحتة فعثرت على مفتاح قديم ونقوش محفورة على ورقة بجانب المفتاح.

وضعت المفتاح داخل الباب كما تفعل كل مرة ثم رفعت الورقة ونظرت إلى الحاضرين وقالت بصوت عميق :

يا باب الخفاء انفتح لمن حملن الشعلة بعد أن انطفأت يد الرجال لمن جعلنا الفراق عهداً والصمت قوة باسم نساءٍ لم ينته عندهن الطريق، بل بدأ حيث انتهى الآخرون.

ما إن لفظت هط الكلمات حتى اهتز الباب وبدأ يفتح ببطء. تصاعدت أضواء غريبة من الداخل كأنها شظايا تدعوهم لعبور العتبة والدخول الى العالم الخامس .

بعد عبورهم وجد مصطفى وحمزة وزيدان وهاتور أنفسهم في مملكة ساحرة تخطف الأبواب غارقة في بهاء فيكتوري يختلط فيه الطابع الجليل بالسر المتقن

تتموضع تلك المملكة في وادٍ عميق، يكتنفه هدوء الغابة وروعها. طرقاتها تتلوى كأفاعٍ حجرية، مغطاة بحجارة بيضاء تشوبها آثار الزمن، مزينة بإطارات معدنية دقيقة بلون البرونز المائل للصدأ، مما يضفي على المكان طابعاً مهيباً وعريقاً الأزقة تكسوها لمسات من الزمرد الأخضر، حيث تتخلل الشوارع أعشاب برية تتراقص تحت أقدام المارين.

المباني هنا تتميز بجدران دافئة بنيت من حجرٍ محلي يميل لدرجات العسلية العتيقة، تُعكس عليه أضواء مصابيح الشوارع الزيتية التي تومض بضوء مائل للذهبي. النوافذ واسعة، أطرها من خشب البلوط

الداكن، وقد عُلقت ستائر مخملية عميقة بلون الأحمر القاني، تعكس مزيجًا متناغمًا بين الأناقة والدفء. وتفوح من النوافذ روائح النباتات الجبلية التي تُعطر الهواء وتبعث في النفس إحساسًا بالسكينة والراحة.

الألوان تتدرج عبر المدينة بتناسق فيكتوري ناعم درجات من البني، البرونزي، والأخضر الزمردي تتداخل مع ألوان غامقة كالغنابي والأزرق الكحلي، مما يمنح المكان كيانًا دافئًا يتناغم مع الغابة التي تحتضنها. تظهر فوق المباني أبراج صغيرة مزينة بزجاج ملون بألوان البنفسجي والأصفر الشمسي، تتلألأ تحت أشعة الشمس وتضيف رونقًا أسرًا على الأجواء العامة.

هناك أيضا جبال تلتف حول الوادي يسميها الجميع هنا جبال الحُراس فهي تتألق كدروع طبيعية رمادية. أيضًا ينساب من قممها شلالات تعرف باسم دموع الفجر تتدفق مياهها الزرقاء الباهتة لتمر عبر صخور شفافة كأنها كريستالات نحتها يد فنّان.

داخل المدينة تسير العربات التي تجرها الخيول المزينة بريش أرجواني، تجوب الشوارع وسط دفء وجمال، ناقلة المسافرين بين مراكزها المختلفة، حيث تبرز الحانات الخشبية العريقة، والحوانيت المتراسة بعناية، التي يقدم فيها شتى المصنوعات اليدوية والبضائع الغريبة.

سار الأصدقاء عبر الأزقة مبهورين بجمال المباني والمحلات المحيطة، تلك التي يغمرها دفاء غريب للعينين، وكأنها تشع نورًا حنونًا لا يرى إلا في تلك المملكة.

لكن مع مرورهم في شوارع المدينة لاحظوا شيئًا عجيبيًا المكان يعج بالنساء وحدهن، دون أي أثر للرجال النساء هن من يقدن العربات التي تجرها الخيول الأنيقة، وهن من يتجولن في الشوارع، يتبادلن الحديث ويشترين البضائع، يملأن الحانات والمحلات، يضحكن ويمارسن كل أنشطة الحياة اليومية.

في الحوانيت، كانت البائعات يقدمن السلع بمهارة ولباقة، وفي الحانات، لا يوجد صوت سوى همسات النساء وضحكاتهن المتبادلة. استوقفهم هذه المشاهد، وكأنهم في عالم لم تكتب له قوانين الرجال، وكأن المدينة قد صنعت لنفسها إيقاعًا خاصًا، يحاكي طبيعتهن ويمنحهن الحرية المطلقة.

سأل مصطفى :

_ أين نحن.

اجابت هاتور:

_ نحن في مملكة ايفيرمور.

أوقفت هاتور عربة برفق، لتلتفت السائقة نحوهم ببطء، مظهرةً وجهًا
ذا ملامح حادة وعينين زرقاوين . شعرها الفضي الطويل مُجدَل بِإِتْقَانٍ،
ينتهي بأطرافٍ زرقاء باهتة.

قالت هاتور بصوت هادئ:

_ نحتاج الذهاب إلى قصر الحاكم. هل يمكنك إيصالنا؟

ابتسمت السائقة بدهشة ورفعت حاجبها قليلاً، وهي تحديق في حمزة،
وزيدان، ومصطفى، كما لو كانت ترى شيئاً، وقالت بنبرة مليئة
بالذهول:

_ رجال هنا؟ لم أرى الرجال منذ قرن... كيف؟

نظرت هاتور إلى السائقة بثبات وأعدت طلبها:

_ ما الذي تقصدينه، نحن نحتاج فقط إلى إيصالنا، فهل توافقي؟

ضحكت السائقة برفق متأملة الرجال مرة أخرى أ كأنهم كائنات غريبة،
وقالت:

_ سأوصلكم... لكن سيكون الأجر خمسة بانكور.

أومات هاتور موافقةً:

_ حسنًا، اتفقتنا.

فتحت باب العربة المصنوع من خشبٍ داكن مزخرف بنقوشٍ نحاسية وارتفعت خطواتهم على الدرج الخشبي إلى داخل العربة، حيث كانت المقاعد مغطاة بمخملٍ أحمر داكن يعكس أجواءً ملكية راقية. جلست هاتور بجانبهم، فيما قادت المرأة العربة بخفة.

وأثناء تحرك العربة سأل زيدان بصوت فضولي.

_ ما البانكور؟ لقد سمعتكِ تذكرين هذه العملة في أكثر من مملكة.

أجابت:

_ البانكور هي العملة التي نتداول بها في جميع عوالم الجن. هي الأكثر استقرارًا، ومشحونة بقدرات سحرية تجعلها مرغوبة بين الأقاليم المختلفة.

مصطفى:

_ دعونا نترك الحديث عن العملة. ألم تلاحظوا ما قالتها السيدة؟ تقول إن الرجال غير موجودين هنا.

أوما حمزة بجدية قائلاً بصوت ملؤه القلق:

_ أجل، يبدو أن هناك سرًّا دفينًا وراء هذا المكان فالمملكة تعجّ بالنساء فقط دون أي أثر للرجال.

نظرت هاتور نحو الطريق من النافذة ثم قالت وهي تتطلع نحو قصر الحاكم الذي بدأ يظهر في الأفق:

_ سنكشف هذا السر قريباً، ولكن علينا توخي الحذر في كل خطوة.

بعد قليل توقفت العربة أمام القصر حيث ارتفعت أعمدته الرخامية نحو السماء و امتزجت في المكان رائحة الأرض الرطبة بنسيم المساء. ترجل الجميع من العربة واحداً تلو الآخر، فنسجم وقع أحذيتهم على الحصى مع أصوات الطبيعة المحيطة.

_ لقد كان الطريق طويلاً وشاقاً، وأداؤك كان رائعاً.. قالت هاتور وهي تمد يدها للسائقة بخمس بانكور ثم اتبعت بسؤال عن اسمها رفعت السائقة رأسها قليلاً وقالت :

_ اسمي لوسيتا.

كررت هاتور الاسم بهدوء، وكأنها تحاول حفظه:

_ لوسيتا... اسم جميل.

هاتور:

_ يبدو أنك تعرفين الخيول كما يعرف الرسام لوحاته. هل تقضين معظم وقتك معها؟

أمالت لوسيتا رأسها نحو الخيول وقالت :

_ الخيل يا سيدتي تُعَلِّمك أكثر مما تُعَلِّمك الحياة. إنها وفية لا تخون ولا تكذب.

_ وماذا عن بني جنسك؟ ألا تجددين بينهم من يشبه وفاء الخيل؟

انحرفت زاوية فم لوسيتا بابتسامة ساخرة:

ربما لو كان هناك رجال في إيفيرمور لبحثت بينهم عن وفي.

هاتور:

_ الكنوز تظهر عندما لا نتوقعها و ربما تجددين ما تبحثين عنه يوماً ما.

رفعت لوسيتا حاجبها باستخفاف مرح، ثم أمسكت بلجام الخيول بإحكام.

_ إن حدث ذلك، فسأصدقك لكن حتى ذلك الحين، سأكتفي بخيولي.

شدت على السوط وضربت الهواء، مما جعل الخيول تصهل بحماسة.

وقبل أن تنطلق، التفتت إلى هاتور مرة أخرى وقالت بصوت عالٍ:

_ حافظي على هؤلاء الرجال معك، فالزمن يأخذهم منا أسرع مما نعتقد.

ثم اندفعت الخيول بقوة كأنها تسابق الريح، وارتفعت معها أصوات

العربة التي راحت تبتعد شيئاً فشيئاً. ثبتت هاتور قليلاً في مكانها،

تراقب العربية وهي تختفي تدريجياً في الأفق، تاركة خلفها أثراً من الغبار وكلمات محفورة في ذهنها.

الحراس عند بوابة القصر كانوا جميعهم من النساء، يرتدين دروعاً بسيطة ولكنها متقنة الصنع، ويمسكن برماح فضية. تقدمت إحداهن بخطوات ثابتة، لكن وجهها لم يخفِ صدمة عميقة عندما وقعت عيناها على حمزة، وزيدان، ومصطفى حتى تسارعت كلماتها بصوت صارم: ماذا تريدون؟

هاتور:

_ نريد رؤية الملك.

قطبت الحارسة حاجبيها وأجابت بحدة:

نحن لا يحكمنا ملك... هذه المملكة تحت حكم الملكة أوغستا.

تبادل الجميع النظرات في صمت، حيث ظهر الاستغراب واضحاً على وجوههم. الملكة؟ كان هذا مخالفاً لكل توقعاتهم. قالت هاتور مرة أخرى: وأين نجد الملكة أوغستا؟

ردت الحارسة:

_ هذا ليس من شأنك.

لم تتراجع هاتور، بل ازدادت إصراراً وقالت بصوت ثابت: انا هاتور اميرة مملكة العوالم وأريد مقابلة من يحكم هذه المملكة فلدينا أمور هامة تستوجب لقاءها.

تبادلت الحارسة نظرة طويلة مع زميلتها الواقفة بجانبها، ثم أومأت لها، لتفتحا معاً بوابة القصر.

_ اتبعوني.. قالت الحارسة متقدمة بخطوات واثقة.

دخلوا خلفها عبر ممرات حدائق القصر، التي زينتها الأشجار المشذبة والورود التي انتشرت بألوانها المختلفة.

وصلوا إلى مدخل القصر الفسيح، حيث نادى الحارسة على إحدى الخادما:

_ أخبري الملكة أوغستا أن هناك من ينتظرها.

اختفت الخادمة بين الجدران ولم تمر دقائق حتى ظهرت الملكة على الدرج الحلزوني الذي تصدر القاعة.

كان مشهدها ساحراً ترتدي ثوباً داكن اللون ينسدل خلفها كظلٍ ممتد، وتزين رأسها تاجٌ يليق بامراة تحكم بعظمة وجلال. ملامحها حادة وقوية، لكن عينيها كانتا تشعان دهشة مختلطة بالغضب.

توقفت الملكة في منتصف الدرج، ونظرت إلى الجمع المائل أمامها بعينين متفحصتين. وفجأة انطلق صوتها :

_ هذا مستحيل لقد مات جميع الرجال هنا بسبب الوباء فكيف أنتم أحياء؟

تبادل حمزة، وزيدان، ومصطفى نظرات مليئة بالدهشة، لكنهم التزموا الصمت. كان واضحاً أن الملكة لم تكن تتوقع رؤية رجال على الإطلاق، وكان وجودهم هنا خرق لقوانين الطبيعة.

نظرت هاتور إلى الملكة مباشرة وأجابت بثبات:

_ نحن لسنا من هذه المملكة اسمي هاتور تهان.

تغيرت ملامح الملكة:

_ هاتور بنت تهان... بنت ملك العوالم؟

أومات:

_ نعم وهؤلاء أصدقائي من البشر.

اكملت نزول الدرج وكل حركة منها تعكس هيبة امرأة تعودت أن تكون في موقع السلطة. عندما وصلت إلى نهاية السلم، انحنت قليلاً أمام هاتور وقالت:

_ مرحباً بك يا أميرة. شرف لنا أن تزورينا.

ثم رفعت رأسها وعينيها ما زالتا تحدقان في الرجال الذين خلف هاتور
وقالت :

_ هذا يفسر وجودهم أحياء. لأن جميع رجال إيفيرمور... ماتوا لقد
اجتاحهم وباء مميت يُدعى لعنة الظل. لم يترك أحداً منهم على قيد
الحياة.

قطبت هاتور حاجبيها وقالت باستغراب:

_ ما هذا الوباء؟ وكيف حدث ذلك؟

ارتعشت يد الملكة وهي تشير إلى المقاعد في القاعة الفسيحة. طلبت
منهم الجلوس، لكنها بقيت واقفة وقالت بصوت خافت يكسوه الألم:

_ لم يكن أيُّ منا مستعداً لما حدث. كان يوماً عادياً مثل أي يوم آخر في
إيفيرمور. الملك أرماديوس الرجل الذي أحببته أكثر من أي شيء، كان
جالساً على عرشه، يخطط لإحدى الحملات لكن فجأة بدأ بالسعال.

ارتعش صوتها وهي تضيف:

_ في البداية ظننت أنه برد عابر. اقتربت منه ووضعت يدي على كتفه
وسألته إن كان بخير. لكنه رفع رأسه وعيناه... عيناه كانتا مليئتين
بالدموع وشفتيه ترتجفان. قال لي... أوغستا هناك شيء خاطئ وقبل

أن يكمل بدأت حرارة جسده ترتفع بشكل جنوني. كان مثل الجمرة. حاولت أن أطلب الحراس، لكنه أوقفني بإشارة، ثم...

توقفت، ووضعت يدها على صدرها قبل أن تكمل بصوت متهدج:

_ انتفخ جسده فجأة، كأن هناك قوة شريرة تحاول تمزيقه من الداخل. بطنه... بطنه انفجرت أمامي، وخرجت منها حشرات سوداء صغيرة، حاولت الهروب منها، لكن صوته وهو يصرخ ظل يلاحقني. سقط جسده أمامي بلا حياة.

رفعت عينيها الممتلئتين بالدموع، وقالت وهي تلتفت نحو الرجال:

_ أرسلت خادمة أطلب الحراس لكنها عادت لتخبرني أن ما حدث للملك أصاب جميع الرجال. الحراس في الباحة، الجنود في الحصن، وحتى الخدم الذكور... كلهم بدأوا بالسعال، وارتفعت حرارتهم، ثم جاء الانفجار الرهيب. كانت أجسادهم تتحلل أمام أعيننا، والحشرات تخرج منها، تلتهم كل شيء حولها.

جلست الملكة على أقرب مقعد وأغمضت عينيها للحظة كأنها تستجمع قوتها لتكمل الحكاية ثم قالت :

_ في البداية أصابنا الذعر. كان الجميع يصرخ يهرب في كل اتجاه. الحشرات انتشرت في القصر كأنها طاعون حي. بعض النساء حاولن

القتال، لكن لا شيء كان يوقف تلك الكائنات كلما قتلنا واحدة ظهرت العشرات .

وبعد أيام من الفوضى، لم يتبق سوى النساء لم يكن لدينا خيار سوى دفن موتانا كنت أنا أول من حمل مجرفة ودفننا الملك أرمادايوس في الحديقة الملكية، وكل جندي وحارس في مقابر جماعية خارج أسوار المدينة. كل امرأة منا مهما كانت منزلتها، حملت جسداً أو حفرت قبراً. أيدينا كانت تنزف من كثرة العمل، وعيوننا لا ترى من كثرة البكاء. لكننا لم نتوقف وحين انتهينا من الدفن عدنا إلى القصر الذي كان يعج بالحياة يوماً ما، ووجدناه أشبه بمدينة أشباح أصواتنا كانت ترتد من الجدران، والفرغ يملأ المكان. لم يكن هناك وقت للحداد فكرت في الأطفال ماذا سيحدث لهم؟ كيف سنحميهم؟ فقمنا من تحت الأنقاض حولنا أنفسنا من نساء إلى محاربات عاملات، قاضيات بدأنا نزرع الحقول بأيدينا، نبني الجدران، وندير المملكة. أقسمنا أن نعيش ليس فقط من أجلنا، ولكن من أجل أطفالنا أيضاً. كنا نعلم أن لعنة الظل لم تنته كل طفل ذكر يولد هنا يحمل في دمه الموت المؤجل عند بلوغه مائتي عام، تبدأ الأعراض... السعال، الحرارة، ثم الموت.

الفصل الخامس والعشرون "حديث مع الجسد"

وقفت هاتور ثم سارت بخطوات بطيئة نحو الملكة اوغستا وقالت:

_ نقدر ما تمررون به، ونعرف أن الجرح الذي تحملينه أكبر من الكلمات. لكننا الآن لا نستطيع تقديم العون كما ينبغي علينا الوصول إلى العالم السادس ومنه إلى العالم السابع وهناك سأخبر أبي بكل شيء وسيستطيع مساعدتكم.

تنهت الملكة وبدأت على وجهها ملامح الحزن المستكين وقالت:

_ للأسف هذا مستحيل الآن فالباب إلى العالم السادس والمفتاح الذي يفتح البوابة لا يمكن الوصول إليهما لأن المفتاح ملك للوريث الشرعي، وهو ابني كاليستار ولكن...

هاتور:

_ واين هو ليحضر لنا المفتاح.. هل مات ..

_ لا ولكن المفتاح لن يستلمه من العالم الخامس إلا عند بلوغه. وللأسف سن البلوغ هو 200 عام وهو السن الذي يموت فيه الاطفال عند بلوغهم.

ابني سيبلغ بعد أسبوع واحد فقط، وهو اليوم الذي سيُتوج فيه ملكًا... ويكون أيضًا يوم وفاته.

حدق حمزة في الملكة بدهشة وقال:

_ ابنك سيموت .

أجابت اوغستا بصوت مرتعش:

_ كل أم تتمنى أن ترى ابنها في أرفع المناصب، خاصة إذا كان سيصبح ملكاً على شعبها. لكن بالنسبة لي، هذا الحلم تحول إلى كابوس. يوم تتويجه هو يوم فقده سأكسره، كما خسرت كل شيء آخر.

ساد الصمت للحظة، ثم كسره زيدان بسؤال مباشر:

_ إذا كان كل الرجال في المملكة يموتون بسبب هذا الوباء، وإذا كان كل طفل ذكراً يُصاب عند بلوغه فلماذا لم نصب نحن به؟

اوغستا:

_ لأنكم لستم من عالمنا أنتم من البشر هذا الوباء لا يمس البشر كما أن اعماركم لا تتجاوز ١٠٠ عام .

زيدان:

_ ولكننا بالغون وأصبحنا جزءاً من عالمكم بدخوله أليس كذلك؟

ابتسمت اوغستا بدورها وقالت بتساؤل:

_ هل تعني...؟

قاطعهما مصطفى وهو ينظر إليهما بتعجب:

_ ماذا تقولان؟ نحن لا نفهم شيئاً.

أوضحت :

_ ما يقصده صديقكم هو أن الوباء إذا لم يُصب البشر، فقد يكون هناك طريقة للاستفادة من هذه المناعة لحماية شعبنا. وربما يمكننا إنقاذ كاليستار من مصيره إذا عرفنا كيفية تجاوز اليوم المشؤوم.

هز مصطفى رأسه وقال:

_ إذا كان هذا صحيحًا، فكيف نتأكد من أن تجاوز يوم البلوغ يعني النجاة؟ كل من في المملكة مات، وأعمارهم تجاوزت 200 عام.

اوغستا :

_ لا أعلم لكن لدي شعور قوي أن هذه لعنة وليست وباء . لعنة قتلت الاباء وتحكم على الابناء بالهلاك في يوم بلوغهم. إذا تمكن أحدهم من تجاوز ذلك اليوم، أعتقد أنه سينجو.

سألت هاتور:

_ هل لديكم مكتبة هنا؟

أجابت الملكة:

_ بالطبع المكتبة الملكية لكنها مهملة منذ سنوات.

هاتور:

_ عندما كنت في مملكة العوالم، قرأت كتابًا عن الأوبئة واللغات ربما يكون هناك نسخة منه هنا إن وجدناه، فقد نجد الحل لهذه الكارثة.

صرخت اوغستا بأحد الخدم قائلة:

_ أحضري مفتاح المكتبة حالًا.

ركضت الخادمة دون تردد، والملكة تتحرك بخطوات متسارعة عبر الممرات الطويلة، تتبعها هاتور ورفاقها، والقلق الممزوج بالأمل يرتسم على وجوه الجميع.

توقفت أمام باب ضخم مزخرف بأقواس ونقوش غامضة. حتي وصلت الخادمة بالمفتاح وأدخلته في القفل بحذر، ثم أدارته بصعوبة حتى صدر صوت طقطقة ثقيلة دفعت بعدها الباب ببطء، فانفتح كاشفًا عن عالم بدا وكأنه تجمد في الزمن.

المكتبة شاسعة تمتد رفوفها إلى ما لا نهاية، تحفها درجات عالية تصل إلى طوابق أخرى. الغبار يغطي كل شيء، لكن روعة المكان لا تخفى. نوافذ ضخمة بزجاج ملون تلقي ضوءًا خافتًا على الطااولات والكراسي المنتشرة بشكل أنيق، كأنها تنتظر قارئًا منذ قرون.

هاتور لم تستطع إخفاء دهشتها وقالت وهي تنظر حولها:

_ يا إلهي... وكأننا دخلنا إلى قلب الحكمة ذاتها.

بينما قال زيدان، بابتسامة تتسم بالمزاح:

_ أتمنى ألا تكون كل هذه الكتب عن الوصفات الملكية.

اوغستا:

_ هذه المكتبة كانت قلب المملكة. هنا درس العلماء، وكتب المؤرخون، وخطت قوانيننا. وعندما مات رجالنا، ماتت هذه المكتبة معهم.

بدأ الجميع بالتجول في المكتبة، كلٌّ منهم يبحث عن دليل قد يكون المفتاح لفك لغز هذا الوباء. همست هاتور وهي تمرر أصابعها على أغلفة الكتب:

_ لا بد أن الكتاب الذي نبحث عنه موجود هنا.

بينما اقترب حمزة من نافذة ضخمة تطل على حدائق القصر، اما زيدان فتسلق سلمًا صغيرًا ليصل إلى أعلى رفا، حيث كانت بعض الكتب مغبرة بشدة. لكن الملكة جلست عند طاولة طويلة وراحت تتفحص كتابًا بدا مألوفًا لها، وكأنها تستعيد ذكرى عزيزة.

جلب هاتور كثير من الكتب التي قد اختارتها بنفسها ثم وضعتها على إحدى الطاولات وجلست لتتفحصها. بدأت تقلب صفحاتها بعناية، مبحرة في عالم الكلمات كانت البداية مليئة بالإحباط، إذ قرأت عن لعنات غريبة لم تتعلق بما تبحث عنه لعنة تجعل الليل لا ينتهي،

وأخرى تتسبب في ذبول الأرض وتحولها إلى صحراء، ولعنة الدم المتحول التي تقتل عبر الأحلام.

كلما قلبت المزيد من الصفحات، ازدادت ملامح القلق على وجهها.

_ لا شيء هنا يطابق ما نواجهه.. تمتت وهي تضع أحد الكتب جانباً.

مضى الوقت، وبدا التعب يسيطر على الجميع لكنها واصلت بحثها بإصرار حتى رفعت رأسها أخيراً:

_ وجدته.

رفعت كتاباً قديماً بغلافٍ جلدي أسود ونقوش ذهبية بالية. كان العنوان محفوراً بحروف غريبة ((أسرار اللغات الملكية)) فتحت الكتاب وبدأت تقرأ بصوت عال، فتغيرت ملامحها فجأة وقالت:

_ ها هي هذه اللعنة التي نبحث عنها.. اقترب الجميع لينصتوا لما تقول

...

_ حين تنفصل الحماية عن العرش، تُطلق الدماء صرخاتها ويصبح الجسد وعاءً للألم الأبدي. بين البداية والنهاية يقف حامل العهد الأخير، شاهداً ومفتاحاً للخلاص، والطريق لا يفتح إلا ببقاء عابر للعوالم. الشاهد والمُطلق في كيانٍ واحد، أما الحل فهو النقاء المفقود، ومواجهة العاصفة التي أيقظت الظلال.

توقفت هاتور عن القراءة، ثم رفعت نظرها إلى الملكة وقالت:

_ ما معنى هذا؟ النص يبدو وكأنه لغز.

جلست اوغستا على أحد المقاعد ووضعت يدها على جبينها تفكر بعمق،
ثم قالت بصوت متردد:

_ الشاهد والمُطلق... هذا يعني أن أول من أصابته اللعنة هو الجذر، هو
نقطة البداية لكل شيء. جسده يحتفظ باللعنة لكنه أيضاً المفتاح
لإنهائها.

قال مصطفى محاولاً فهم النص:

_ وماذا عن النقاء المفقود؟ ماذا يعني ذلك؟

نظرت اوغستا إليه بتأمل وأجابت:

_ النقاء المفقود قد يكون إشارة إلى عنصر خارجي... شيء أو شخص
لا ينتمي لعالمنا لديه نقاء من اللعنة مثلكم.

قال مصطفى:

_ لا اصدق ان زيدان يعقل وتنبا بمعلومة صحيحة .

زيدان ساخرا:

_ انا الأذكي بينكم ولكنكم اضعف من ان تعترفون بتلك الحقيقة .

تابعت هاتور قراءة النصوص، وعيناها تتسعان:

_ اللعنة لا تُولد إلا بلمسة الظل، والظل لا يستيقظ إلا بنفوسٍ حاقدة.
فالطقوس القديمة تُدفن، لكنها لا تموت لأن إيقاظها يكون بيد عبثت
بالخيوط المخفية، وسيظل الباب مغلق إلا لمن صنع المفتاح.

انكشمت ملامح الملكة وهي تتابع التفسير:

_ هذا يؤكد شكوكي المشعوذة التي تبعد عن القصر... هي من استغلت
الطقوس القديمة وعبثت بها. كانت تحقد على المملكة ولطالما تحدثت
عن لعنة ستسقط الرجال.

قفز زيدان واقفًا وقال:

_ إذا علينا أن نجد المشعوذة أولاً لأنها المفتاح.

هزّت الملكة رأسها ببطء وأضافت:

_ لكن النص يشير إلى أن المواجهة ليست سهلة. العاصفة التي أيقظت
الظلال... ربما تعني أن المشعوذة ليست مجرد امرأة عادية. قد تكون
استمدت قوتها من شيء أعمق.

قرأت هاتور نص اخر.

_الظل لا يواجه وحده، إنما يُبدد بالنور. والعهد المقطوع يُجبر حين يُكسر القيد الأول. طريق الخلاص يمر بجسد الاول. والعنصران متحدان لكن لا يُسلمان دون ثمن. ارتعشت يد اوغستا وهي تتحدث:

_الجملة الأخيرة... العنصران متحدان... تعني أن الحل يتطلب الجسد الذي يحمل اللعنة، وجانبًا خارجيًا من عالم مختلف. أنتم مفتاحنا، لكن هذا أيضًا يعني أن المواجهة مع الساحرة ستكون أخطر مما نتصور. نظرت هاتور إلى الملكة وقالت:

_ أين دفنتم الملك السابق؟

أجابت:

لقد قلت لكم في حديقة القصر.

قال حمزة :

_لن نتراجع إذا كان هذا هو الطريق الوحيد لإنقاذ المملكة والوصول الى العالم السادس، فلنمضِ إليه.

تحت أضواء القمر الباهتة قادت الملكة اوغستا المجموعة إلى حديقة القصر الخلفية. توقفت عند بقعة هادئة وأشارت إلى الأرض بحزن عميق، قائلة:

__ هنا... هنا يرقد الملك.

تقدمت إحدى الحارسات بصمت، تحمل بين يديها ثلاث مجارف قدمتها إلى حمزة ومصطفى وزيدان. أمسكوا بها وتبادلوا نظرات مترددة قبل أن يبدأوا الحفر.

اوغستا وقفت عيناها مثبتتان على الأرض التي تحتوي رفات زوجها. نظراتها حملت مزيجًا من الحزن والرغبة:

__ لم أتخيل يومًا أن أراه يُخرج من مرقده... لكن لا خيار آخر لدي فإذا كان هذا هو السبيل الوحيد لإنقاذ ابني وشعبي، فلا بد أن أواجه هذا الألم.

قالت هاتور بلطف، محاولة تهدئة اوغستا:

__ نحن هنا بجانبك لن نكون وحدك في هذا.

الأرض قاسية والجذور ملتفة كأنها تحاول حماية ما دُفن تحتها. العرق يتصبب من جباه الرجال بينما كانت أصوات الحفر تتداخل مع صمت الليل الثقيل.

وبينما اقتربوا من عمق القبر، أوقفتهم اوغستا بيد مرتجفة وقالت:
_تمهلوا... اقتربتم كثيراً. انحنت على ركبتيها لتراقب ما يظهر من
الأرض.

حين لمسوا الصندوق الحجري الذي احتوى الجسد، توقفت أنفاس
الجميع للحظات حتى فتح حمزة الغطاء بحذر، وضعت الملكة يدها على
قلبها كأنها تحاول تهدئة ضرباته المتسارعة.

ظهر الملك في حالته التي توقفت بها الحياة عنه، جسده يحمل آثار
الوباء التي وصفها لوسيتا من قبل. بطنه المنتفخ الذي انفجر ذات يوم
لم يعد إلا فراغاً مشوهاً، وعيناه المغلفتان كانتا تحكيان فصول الألم
الأخير.

تراجعت اوغستا خطوة إلى الوراء، وغطت وجهها بكفيها، وقالت
بصوت مختنق:

_كنت أتمنى ألا أضطر أبداً لرؤية هذا المشهد مرة أخرى...

همست هاتور:

_سنعيد الأمور إلى نصابها وعدّ مني ثم أضافت:

_الآن علينا أن نفهم، ونتبع التعليمات بدقة.

قال زيدان مشيراً إلى اوغستا:

_ لو كنتِ لا تريدين رؤية هذا، فنحن أكثر منك لا نرغب بذلك. ولكن هذه ليست مسألة رغبة بل ضرورة.

رفعت الملكة رأسها ومسحت دموعها :

_ أعلم ذلك... أعلم وسأفعل ما يلزم فقط... فقط أحتاج لحظة.

قال زيدان :

_ خذي لحظتك، لكن تذكرني أن الوقت ليس في صالحنا.

بعد قليل اشارت لهم فبدأ الرجال برفع الجسد المتحلل من القبر ببطء بينما الرائحة الكريهة اخترقت أنوفهم مما جعلهم يشعرون بالغثيان . حاولوا جاهدين تجاهل منظر الجسد المشوه وآثار الوباء التي نهشته

أمسك مصطفى بشعلة مضيئة، واقترب ليمنح هاتور الضوء الكافي. بدأت تفحص الجسد بعناية وملاحظها تحمل مزيجاً من التركيز والأشمزاز استخدمت أدواتها بحذر، متجنباً لمس الأجزاء التي بدا أنها قد تتحلل بمجرد ملامستها.

اقترب حمزة متماسكاً بقدر استطاعته وقال بنبرة ساخرة :

_ لم أخيل يوماً أن ينتهي بي الحال هنا، أراقب جثة متحللة في وسط هذا الليل البارد.

رد مصطفى وهو يحاول كتم أنفاسه:

صدقتي، كنت أفضل أي شيء على هذا المشهد.

لكن هاتور لم تكن تسمعهم. كانت منصرفة كلياً إلى الجسد دفعت أصابعها إلى داخل الجمجمة المتشقة بحذر وعيناها مغلقتان، تهمس بكلمات غريبة فجأة، ارتجفت كأنها ترى شيئاً لا يمكن تصديقه.

فتحت عينيها ببطء وقالت بصوت مشوب بالرهبة:

رأيت معاناته... المرض لم يترك له فرصة رأيت كيف التهمه من الداخل وكيف اختنق ببطء حتى النهاية.

هناك شيء أراه ما هذا... لم تكمل الحديث.

أكملت الفحص أناملها تمر على العظام المتهاكلة، تتفحص التفاصيل التي قد تحمل الإجابة. أضاء سحرها الأزرق المكان للحظات.

فتوقفت فجأة ثم رفعت رأسها ونظرت إلى الجميع بادهشة:

_ الملك... لم يكن أول من أصابه الوباء.

تبادل الجميع نظرات الدهشة والقلق.

سأل حمزة :

_ إذا لم يكن هو الأول، فمن كان؟

أجابت هاتور وهي تنهض ببطء:

_ هناك شخص آخر... شخص أُصيب أولاً جسده يحمل الإجابة التي نبحث عنها. إن لم نجده لن نعرف كيف بدأت هذه اللعنة، ولن نعرف كيف ننهيها.

قالت اوغستا وهي تحاول استيعاب الأمر:

_ لكن... من يكون؟ وكيف نجد من بدأ هذه الكارثة؟

صمتت هاتور للحظة ثم قالت:

_ علينا أن نجد الأصل حتى ننهي على الفروع.

اوغستا بصوت متهدج :

_ ربما تجدي الإجابة في المقبرة الجماعية هناك حيث دفنا جميع الرجال الذين ماتوا باللعنة إن كان هناك أول من أصابه هذا الشر، فسيكون بين هؤلاء.

نظرت هاتور إلى الملكة ثم سألت:

_ وأين تقع هذه المقبرة؟

ردت اوغستا وهي تشير بيدها على الأفق:

_ في الغابة السوداء، هي على بعد نصف يوم من هنا. سأرسل معكم حارستي الشخصية، إنها الأوفى بين الجميع وستقودكم إلى هناك بأمان. نهضت الملكة نحو إحدى الحارسات الواقفات خلفها امرأة قوية البنية ذات نظرات حادة تعكس ولاءها الذي لا يتزعزع.

قالت لها بصوت حاسم:

_ سيلفارا أنتِ مرافقة لضيوفنا كوني دليلتهم وحاميتهم حتى يصلوا إلى المقبرة.

انحنت الحارسة برأسها احتراماً وأجابت :

_ أمرك يا مولاتي.

تحرك الجميع نحو عربة تنتظر عند بوابة القصر. كانت العربة ذات تصميم فاخر، لكن مغطاة بطبقة من الغبار تدل على قلة استخدامها. كانت السائقة امرأة عجوز ذات يدين خشنتين، تمسك بلجام الخيول بمهارة واضحة، نظرت إلى الركاب بنظرات متفحصة قبل أن تشير لهم بالدخول.

جلست هاتور بجانب سيلفارا التي أمسكت بسيفها بثبات، بينما جلس مصطفى وزيدان وحمزة على المقاعد المقابلة، يتبادلون نظرات قلقة.

قال مصطفى محاولاً كسر الصمت:

_ الغابة السوداء... تبدو كأنها من قصص الرعب. هل سبق لأحد أن عاد منها سالمًا؟

ردت سيلفارا دون أن تلتفت:

_ الغابة مظلمة ومخيفة، لكنها ليست قاتلة بحد ذاتها لكن ما يخيف النساء هو ما يروونه عن أشباح الرجال الذين ماتوا باللعنة. البعض يقول إن أرواحهم لا تجد الراحة، فتظهر لتطارد من يقترب.

علق زيدان بنبرة ساخرة:

_ أرواح الرجال الغاضبة، يبدو أن المغامرة تصبح أكثر إثارة.

نظر مصطفى إلى زيدان مبتسمًا بخبث وقال:

_ الآن نتحدث عن الأشباح والرعب بكل حماسة أين كان هذا الحماس عندما نادتك النداهة كنت تتمم وتصرخ كطفل صغير:

_ لقد نادتنى لقد نادتنى.

رد زيدان متجهماً:

_ كنت أذركم الصراخ كان استراتيجية دفاعية.

قهقهه مصطفى وقال:

استراتيجية دفاعية؟ يا رجل صوتك كان أشبه بزئير قطة ضُربت بالماء
أين الدفاعية في ذلك؟

تدخل حمزة ضاحكًا: وأين كانت استراتيجيتك عندما كنت تدفعني للأمام
و تقول كن في المقدمة النداهة لا تحب أصحاب العضلات.

رفع زيدان حاجبيه وقال بثقة مصطنعة:

كنت أختبر شجاعتكم، ما فعلته كان تدريبًا عمليًا على قيادة المواقف
الصعبة.

مصطفى بصوت متهم:

_ قيادة المواقف الصعبة تقصد قيادة الهروب لقد كنت أسرع من
الخيول، بل كنت تسبق صراخك نفسه.

رد زيدان :

_ دعونا لا ننسى، الفارس الجيد ينسحب ليعود أقوى.

مصطفى وهو يضحك حتى كاد يسقط:

_ أنت لم تنسحب، أنت طرت.

ضحك الجميع بصوت عالٍ، حتى أن زيدان نفسه لم يتمالك نفسه وقال:
_ حسناً أعترف... النداهة كانت مخيفة جداً.

توقفت العربة فجأة تاركةً هدوء الغابة يلتهم الأصوات. أطل مصطفى
من النافذة، وجهه يفيض بالقلق ثم سأل:

_ ماذا يحدث؟ هل وصلنا يا سيلفارا؟

أجابته بقلق:

_ لا... لم نصل بعد.

اندفع مصطفى خارج العربة، ليجد المرأة العجوز التي كانت تقود العربة
مكبلة بالسلاسل وجهها شاحب، وعيناها غارقتان في خوفٍ صامت.
نادى على من في العربة، وحاول بكل جهده فك تلك السلاسل الثقيلة.

بينما كان مصطفى يناضل مع القيود سأل العجوز:

_ من فعل بك هذا يا عمتي.

رفعت المرأة رأسها ببطء، نظرتها تائهة لكنها ثابتة على نقطة واحدة
ومن بين الظلال الكثيفة برزت لوسيتا تسير، كما لو أنها ملكة ذلك
الظلام.

قال مصطفى متراجعاً قليلاً بدهشة:

_ أنتِ... أنتِ المرأة التي أوصلتنا إلى القصر

خرج بقية الركاب وعلى رأسهم هاتور، التي نظرت إلى لوسيتا بتحدٍ واضح، وسألته بصوت بارد :

_ ماذا تفعلين هنا؟

اقتربت لوسيتا قليلاً قائلة بنبرة ساحرة:

_ لقد قلت لك ذات مرة حافظي على الرجال، لأنهم ثروة ولكن ما كنت أقصده حقاً... أن تحافظي عليهم مني.

ومع كلماتها، ظهرت خلفها مجموعة من النساء، وجوههن تحمل علامات الحزن والحرمان وأعينهن تعكس حاجة لم تُشبع لعقود.

تابعت لوسيتا:

_ لقد حُرمتنا من الرجال لعشرات السنين. لم يعد فينا صبر نحن لا نريد سوى الحنان، أن نشعر أننا نساء مرة أخرى لقد اشتقنا لوجود الرجال بيننا.

ردت سيلفارا بحدة:

_ أنتِ مجنونة هؤلاء الرجال تحت حماية الملكة لا يمكنك حتى التفكير بالاقتراب منهم.

ضحكت لوسيتا بسخرية مرة أخرى وقالت:

_ حماية أي حماية؟ هل حمت زوجي من الوباء الذي اجتاح المملكة؟ هل منعت ابني من الموت عندما بلغ 200 عام؟ هل ستوفر لي ابنتي زوجًا في المستقبل أين كانت ملكتك عندما فقدنا كل رجالنا؟ ملكتك لا تستطيع حماية حشرة الرجال سيبقون معنا، وسنأخذهم بالقوة إذا لزم الأمر. فنحن عشنا ما يكفي من الوحدة والعجز.

قال زيدان بصرامة:

_ قد تعانون من الوحدة، وقد تكون حياتك مليئة بالألم. لكن ذلك لا يعطيك الحق في خيانة شرفك الشرف أئمن من أن يُباع في لحظة ضعف أو يُدنس بدافع شهوة عابرة.

لم يبدو أن كلمات زيدان أثرت في لوسيتا، بل ردت بابتسامة خبيثة:

_ فات الألوان نحن قررنا ولن تمنعنا الكلمات بعد الآن.

ضحك حمزة بسخرية خفيفة وقال:

_ لا نريد أن نستخدم قوتنا ضدك، يبدو أنك تجهلن من نحن.

تقدمت هاتور خطوة وجهها يفيض غضباً مكبوتاً وقالت:

لقد تماديتن تحركن فوراً وإلا سترون ما لا يعجبكن.

ردت لوسيتا :

_ إذا لم نأخذ الرجال، سنقتلكم جميعاً ثم نأخذهم على أي حال.

ضحكت هاتور بهدوء، نظرتها ثابتة في عيني لوسيتا وقالت ببرود :

_ أنتم من طلبتم هذا المصير.

خطت سيلفاراً الى الأمام ، ثم نظرت إلى الرجال قائلة:

_ هذه معركة النساء اجلسوا واستمتعوا بالمشهد ولا تتدخلوا .

صمت المكان للحظة، قبل أن تنفجر السماء بصيحة من هاتور التي ارتفعت عن الأرض فجأة كأنها عاصفة هوجاء تجسدت في جسد امرأة. عيناها أضاءتا بوهج أبيض مخيف ولامحها تبدلت لتتشع قوة وغضباً. طارت بسرعة جنونية نحو النساء، كالنسر الذي يهاجم فريسته، وبدأت تضربهن واحدة تلو الأخرى، كل ضربة كانت كأنها صاعقة تسقطهن أرضاً دون مقاومة.

لكنهن لم يكن سهلات المنال. النساء، رغم سقطاتهن الأولى، بدان بالتحرك بتناغم كأنهن جيش مدرب، خطواتهن موحدة، وحركاتهن مصممة لخلق حصار حول هاتور. هجماتهن كانت قوية ومنظمة، كل

واحدة تسدد ضربتها في توقيت مثالي، وكأنهن يحاولن السيطرة على الغضب الذي أصبح جسداً أمامهن.

لم تنتظر سيلفارا طويلاً. دخلت وسط المعركة بسيفها الطويل الذي لمع تحت ضوء القمر. ضرباتها كانت حاسمة وسريعة، تشتبك مع واحدة، ثم تلتف لتصد هجوم الأخرى. كانت كالرياح القاطعة، تنتقل بينهن بخفة وقوة، ترفع صوتها كأنها قائدة جيش تنادي بأمر النصر.

على جانب المعركة، وقف زيدان مستنداً إلى العربة، يراقب المشهد بابتسامة عريضة وكأن كل ما يجري أمامه مجرد تدريب ممتع. رفع صوته بتشجيع واضح، وقال:

هذه هي الشجاعة الحقيقية يا حبيبتي، اهزميهن أريهن من هي هاتور أنت من ستدافع عن كرامة أطفالنا في المستقبل. هيا يا ملكتي، لا تخيبي ظني!

ابتسامة هاتور رغم انشغالها في القتال، ظهرت للحظة عندما سمعت كلمات زيدان. لكن لم يكن هناك وقت للإلهاء. هجوم النساء كان يزداد ضراوة، وكلما سقطت واحدة، كانت أخرى تهاجم من الخلف.

وفي لحظة، توقفت هاتور في الهواء، كأنها تحولت إلى تمثال من الرخام، وأغمضت عينيها. رفعت يديها ببطء، وبدأت كلمات غريبة تتردد في الهواء. أصوات غير مفهومة خرجت من شفثيها.

فظهرت سلاسل ذهبية من سحرها تضيء في الظلام التفتت حول النساء واحدة تلو الأخرى، تقيد أيديهن وأرجلهن، وتسقطهن أرضاً كأنهن دمي عاجزة. صرخات النساء تحولت إلى همسات خافتة، وبدأت قوتهن تتلاشى تحت تأثير السحر الذي أحاط بهن.

وقفت هاتور في وسط ساحة القتال وجهها صارم وعيناها تعودان إلى لونهما الطبيعي قالت :

_ لقد حذرتكن وهذا هو جزاء من يعبث معي ومع رجالي.

اقترب زيدان يصفق ببطء:

_ رائع لم أتوقع أقل من ذلك يا حبيبتي. يجب ان نحتفل بك.

ابتسمت هاتور أخيراً، وتنفست بعمق وقالت:

_ الاحتفال؟ فلنهي هذا أولاً ثم نتحدث عن الاحتفالات.

توجه مصطفى نحو النساء المكبلات، ووقف أمامهن . أخذ لحظة ليجمع أفكاره ثم تحدث :

_ لقد وقعتن في فخ ذلك الفخ الذي ينسجه اليأس عندما يفقد الإنسان البوصلة. أنتن لستن مجرد نساء حرم من رجالهن، بل أرواح قاومت المستحيل وبنت مملكة من رماد الحزن ولكن الآن... الآن تتنازلن عن كل هذا أمام رغبة زائفة؟ فقدان الشيء لا يعني الحرمان منه. الله خلق

فينا شوقاً للطرف الآخر لكنه خلقه أيضاً محاطاً بالمسؤولية والشرف. الحب ليس غرضاً يملك ولا رغبة تُشبع، إنه عهد مقدس لا يتحقق إلا في الحلال. أنتكرن هذا العهد؟ أتقبلن أن تتحولن إلى نساء تحركهن شهوة لا تختلف عن غرائز الحيوانات؟

لقد وقفتم وحدكن بعد أن رحل رجالكن، تحملتن الوحدة والعذاب، وأثبتتم أنكن لستن بحاجة إلى منقذ فلماذا الآن تخترن السقوط؟ أنتن أقوى مما تظنن القوة ليست في الاستسلام للرغبات، فإن اخترتن السير في هذا الطريق المظلم، ستفقدن كل ما حققتن وستصبحن عبيداً لرغبة لن تُشبع أبداً.

وقف مصطفى للحظة ونظر إلى لوسيتا مباشرة :

_ اسألي نفسك يا لوسيتا... ماذا ستقولين لطفلتك إذا عدت الليلة وسألتك: كيف حفظت لي كرامتي يا أمي هل ستجيبينها بفخر أم بخجل؟

كانت كلماته كالصاعقة التي مزقت جدران الصمت. دموع الندم بدأت تتسلل إلى عيني لوسيتا، وملامحها التي كانت ملتهبة بالغضب تحولت إلى خجل عميق. لم تستطع النظر في عينيه مجدداً ثم همست بصوت مليء بالحزن:

_ أخطأنا... لم نفكر في أفعالنا أو عواقبها.

قاومت احساس الخجل ورفعت عينيها لتتنظر الي مصطفى الذي أكمل:
 _ الاعتراف بالخطأ هو البداية. ولكن الأهم أن تتعلمي منه، حريتك
 ليست في نزع السلاسل من أيديكن، بل في نزع اليأس من قلوبكن.
 اختارن اليوم بين أن تكونن نساء يفتخر بهن أطفالهن، أو أن تصبحن
 قصة تُحكى كتحذير لمن يضيع نفسه.

قالت لوسيتا بصوت يملؤه الندم:

_ نأسف على فعلتنا... الحرمان جعلنا كأشباح تانهة ابت المبيت في بيت
 الشرف، ولكن الآن أدركنا أن مكاننا الحقيقي داخله ولن نخرج من هذا
 البيت مرة أخرى، ولن نسمح لليأس بأن يقودنا مرة أخرى.

تقدمت هاتور نحو النساء، نظرتها حادة ولكنها بدأت تلين مع كلمات
 لوسيتا. رفعت يدها ببطء، فانحلت السلاسل السحرية التي كانت تكبلهن.

ثم قالت لهن :

_ لقد اخترتن الطريق الصحيح الآن فلا تنسوا هذا الدرس أبداً، فالخطأ
 الأول يمكن غفرانه، ولكن التكرار لن يترك فرصة للرحمة.

بعد لحظة تحركت المجموعة للعودة إلى العربة. وعندما بدأوا
 بالاستعداد للانطلاق، وقفت السائقة العجوز ونظرت إلى زيدان
 بابتسامة خبيثة وقالت:

_ يا فتى... تزوجني.

تجمد الجميع في أماكنهم للحظة، قبل أن تنفجر سيلفارا في ضحكة خافتة وهي تغطي فمها. نظر زيدان إلى العجوز بعينين واسعتين من الصدمة، وقال:

_ اتزوجك؟ ألا ترين أنك بعمر جدتي؟ وإذا بحثت عن عمرك هنا قد اجدك تجاوزت 15000 عام

تابعت العجوز بخبث :

_ لكنني ما زلت مثيرة، أليس كذلك؟

صمت زيدان لبرهة، ثم نظر إليها نظرة تحمل مزيجًا من السخرية وقال:
_ لا أرى فيك سوى أنك مثيرة للشفقة.

ضحكت العجوز وهي تهز رأسها وقالت بابتسامة ماكرة:

_ حتى وإن كان الأمر كذلك، المهم أن هناك إثارة أليس كذلك؟"د

انفجر حمزة في الضحك من خلف العربية، وقال ممازحًا:

_ يبدو أن لديكِ معجبة يا زيدان ربما يجب أن تفكر بالأمر.

رد زيدان وهو يلوح بيده ليصرف الحديث:

_ كفى مزاحًا لدينا أمور أكثر أهمية الآن... ثم تمتم لنفسه: _ اصوم اصوم وافطر على تلك الكهلة.

الفصل السادس والعشرون "حين يبكي القدر"

بعد قليلة من السير توقفت العربة عند أطراف المقبرة. نزل الجميع بوجوه يعلوها التعب والتوجس، ليقفوا أمام صخرة سوداء كبيرة. على سطحها المحفور بخطوط متآكلة ظهرت العبارة ((هنا يرقد رجال مملكة إيفيرمور.))

اقترب حمزة بخطوات بطيئة، عيناه تجولان فوق الأرض المتشققة . حتى قال بصوت جاد:

_ حفرت هناك لأنهم دفنوا الملك... فقد كان شخصًا واحدًا فقط، لكن لن أحفر هنا لي استخراج كل هؤلاء.

رد مصطفى وهو يهز رأسه موافقًا:

_ معك حق الحفر العشوائي لن يُفيدنا بشيء.

سيلفارا، بثقة تقدمت وسط المقبرة حيث كانت الأرض أكثر ظلمة . ركعت، ومدت يديها برفق إلى التراب البارد. كان صوتها عميقًا ومهيبةً:

يا أرض المصائب واللغات، يا شاهدة على موتٍ لم يكن رحيمًا، ويا
حاملة بقايا أرواح أبيدت في صمت. أنا من يخاطبك اليوم بلسان الحياة
وطلب السلام. أطلقني من دفنيتهم كي يُروى الحق ويُغلق هذا الفصل
الملعون استجيب لي كي لا تظلي سجينة للعنة أبدية.

بدأت الأرض تهتز برفق، وكأنها تستجيب، ثم تصاعد الاهتزاز كأن
نبضًا مخيفًا ينبعث منها. فجأة تمزق التراب بصوت أشبه بصراخ
مكتوم، وخرجت الجثث من أعماق الأرض.

الأجساد مشوهة بشكل مروع. تحمل بقايا الرعب الذي عاشوه في
لحظاتهم الأخيرة. كان الطاعون الذي أصابهم قد مزق بطونهم في
حياتهم، تاركًا فجوات كبيرة تشبه الندوب المفتوحة. انتشرت رائحة
الموت والخوف.

أجسادهم كانت متييسة، مغطاة بقروح سوداء متشققة، ومن بعض
الجروح العميقة، لا تزال حشرات صغيرة تخرج ببطء. ملابسهم
تحولت إلى خرق بالية، مبللة بآثار سوائل جفت على مر الزمن.

قالت هاتور بصوت مبحوح:

هذا هو أثر اللعنة... لا حياة ولا موت بل ظلام أبدي.

سيلفارا:

لقد أنجزت الأرض ما طلبته منها.. الآن انهي المهمة قبل أن تغلق الأرض أبوابها عليهم مرة أخرى.

تحركت هاتور بين الجثث . كانت أصابعها ترتجف، ولكنها كانت بحاجة إلى هذه اللحظات لتقرأ أفكارهم، لتكشف سرًا مخفيًا في جوفهم. تنقلت بين الجثث المقززة، تلامس رؤوسهم، تحاول أن تسترق السمع إلى أفكارهم الميتة، لكن لا شيء كان يكشف عنها. كانت تتنقل بسرعة كالشبح، عينيها متسارعتين بحثًا عن أول من أصابه اللعنة.

مرت ساعات طويلة حتى انبلجت اول خيوط الفجر شعرت هاتور بالتعب الشديد وأصابها الإرهاق من كثرة التنقل. وايضًا أصابها شعورٌ قاتل باليأس، وكان الجثث كانت متشبثة بأرضها، لا تريد أن تُكشف أسرارها.

قالت سيلفارا، بينما كانت تشاهدها بتوتر:

ستبتلع الأرض الجثث من جديد، فعليك أن تجدي أول من أصابته اللعنة. الوقت ليس في صالحنا.

هزّت هاتور رأسها في صمت، ثم استجمعت قواها وأكملت. كل خطوة كانت أصعب من سابقتها، ولكنها كانت تعلم أن النتيجة كانت ستكون قاتلة إذا لم تتمكن من الكشف عن أول من أصابته اللعنة.

وفي لحظة، وكان الجثث أصبحت تدور حولها حتى سقطت على ركبتيها، كان زيدان خلفها، شعر بما تعانيه وقف بجانبها وضع يده برفق على كتفها. وقال :

لقد فعلتِ كل ما بوسعكِ فلا تُحملي نفسك فوق طاقتها، وأيِّ كانت أنا معكِ.

رفعت رأسها وابتسمت ابتسامة صغيرة رغم تعبها، وكأنها تستمد قوة جديدة من كلمات زيدان. نظرت إليه بعينيها المفعمتين بالحب وقالت: زيدان، إذا نزلت الجثث الآن فستظل الأرض تحتفظ بهم إلى الأبد لن تتمكن من إعادتها مرة أخرى ولن نعرف من بدأ اللعنة.

رد زيدان بنبرة واثقة حتى وإن كانت مخاوفه واضحة:

لكنني أعلم أنك قوية، وأنت ستجدين الطريق أنا أثق بك أنتِ قادرة على فعلها.

صمتت هاتور لثواني، ثم ابتسمت ابتسامة غامضة وبدأ جسدها يرتفع ببطء عن الأرض وشعاع أخضر يتوهج حولها مكون سحب من الطاقة السحرية تقلب الضوء الأخضر في الهواء بشكل مخيف. كان هذا السحر الذي لم يعرفه سوى القليل.

ثم تكلمت بصوت عميق، أضافت له التعويذة في الهواء المحيط بها. بدأت كلماتها تتردد في الفراغ، وكل كلمة كان لها صدى كالرعد في العقول الميتة كانت كلماتها مسمومة، مشحونة بقوة عتيقة.

قالت بصوت رهيب تتلو التعويذة:

_أيها الأموات الذين امتزجت أرواحكم مع تراب هذه الأرض الملعونة، أيها الذين تسربت إليكم لعنة الموت حتى صارت جزءاً من كياناتكم الممزق... أستدعيكم الآن، بأصوات لا تسمعونها، بأيدي لا تلمسونها. ولو للحظات، سأطرح سؤالاً واحداً، والإجابة واحدة التي ستخرج من بين شفاهكم الباردة من بدأ هذه اللعنة؟ من منكم كان أول من أصابه السم الذي يلعن الزمن؟ أجيبوني... أجيبوني بما تحتفظ به قلوبكم الميتة، تلك التي أكلها العفن وأطفأها الظلام، ولا تملك سوى أنين العذاب .

بينما كانت تهمس بتلك الكلمات، بدأت الأرض تحت قدميها بالاهتزاز. هالها الضوء الأخضر الذي كان يتناثر حولها وكأنها تسيطر عليه، مثلما تسيطر الرياح على الأوراق المجففة. انتشر السحر في كل مكان، يلتوي حول الجثث كإفعى ضخمة. كانت الجثث ترتعش، وتبدأ في إظهار علامات غير طبيعية، وأصوات غريبة تبدأ في الخروج من أفواههم، وكأنهم يجيبون :

_ من أصابته اللعنة، دفن تحت أرضٍ تعيش فيها من أطلقت اللعنة، ثم كرر الصوت مره اخرى.

_ من أصابته اللعنة، دفن تحت أرضٍ تعيش فيها من أطلقت اللعنة.

صمت كل شيء بعد أن قالت الجثث كلمتهم وفجأة بدأت الأرض تهتز مجددًا، وكأنها تفتح فمها على مصراعيه ثم ابتلعت الجثث مرة أخرى.

قال زيدان :

_ ماذا يعني ذلك؟

أجابت هاتور وهي تفكر مليًا:

_ يعني أن من أطلقت اللعنة هي من دفنت الجسد الأول، وهي الوحيدة التي تعرف طريق إنهاء اللعنة.

نظرت هاتور إلى سيلفارا وسألتها:

_ من الساحرة التي تشك بها الملكة؟

قالت سيلفارا بثبات:

_ إنها الساحرة ديمينا تعيش بالقرب من هذه المقبرة، على بعد نصف ساعة من الشرق.

مصطفى :

يجب ألا نضيع الوقت أكثر. علينا الذهاب إليها فورًا.

اقتربت سيلفارا من السائقة العجوز وأمرتها بلهجة صارمة:

خذينا إلى بيت ديمينا.

تجمدت العجوز للحظة، ثم ابتلعت ريقها بصعوبة، وظهر الخوف جليًا على وجهها. ثم قالت بصوت مرتجف:

_ أمرك يا سيدتي.

ركب الجميع وسارت العجوز بالخيول في صمتٍ ثقيلٍ يخيم عليه التوتر. الرياح تعصف بهمساتٍ مبهمةٍ وكأنها تحذرهم مما ينتظرهم. لم يمر وقتٌ طويلٌ حتى قالت سيلفارا بصوتها الخافت:

_ يبدو أننا وصلنا إلى كوخ الساحرة.

عندما توقفت العربة، نزل الجميع بحذر. لكنهم فوجئوا بأن السائقة العجوز لم تكن على مقعدها والخيول التي تسحب العربة كانت تسير من تلقاء نفسها كأنها مسيرة من قوى خفية.

سأل حمزة بصوت مرتعش:

_ أين المسنة؟؟

ردت سيلفارا بحيرة:

_ لا أعلم.

لكن مصطفى قال بقلق واضح:

_ علينا أن نجدها لا يمكننا تركها هكذا.

سمعوا فجأة صوت غرغرة غريبة قادمة من مكان قريب، كأنها صرخة أخيرة من عالم الموت. هرعوا نحو الصوت، وما وجدوه كان كابوسًا متجسدًا العجوز ممددة على الأرض، بطنها ممزق كما لو أن وحشًا كاسرًا افترسها. كانت الدماء تنزف من فمها وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة.

اقترب مصطفى منها، وسألها بعينين يملؤهما الرعب:

_ من فعل هذا بكِ من؟ أجيبيني!

نظرت المرأة بعينيها المطفأتين نحو سيلفارا، ثم أشارت إليها بيد مرتعشة قبل أن تسقط يدها بلا حياة.

نظرت هاتور إلى سيلفارا بابتسامة ساخرة، وقالت ببرود:

_ ولماذا تشير إليكِ؟ ألم تكوني معنا طوال الطريق؟

ردت سيلفارا بارتباك:

_ لا أعلم... لكن من فعل بها هذا لا يمكن أن يكون سوى ديمينا.

صمت الجميع، وحفروا لها حفرة في التراب الجاف، ودفنوها دون كلمة إضافية. كان زيدان ينفض يديه من التراب وقال:

_رحمها الله كانت امرأة قوية، لكنها أيضًا كانت نحسًا. في المرة الأولى وجدناها مصفدة بالسلاسل، والآن مقتولة بهذه الطريقة.

رد مصطفى بغضب:

_أكانت هي النحس؟ أم نحن من جلسنا في الداخل وتركناها وحيدة؟ أعلم لماذا أشارت إليك يا سيلفارا. لأنها كانت تظن أنك السبب. أنت من أصررت على أن تقود بنا.

همت سيلفارا بالكلام، لكن مصطفى قاطعها بغضب:

_لا وقت للحديث الآن. علينا أن نجد الكوخ وإذا كانت الساحرة هي من فعلت ذلك... سأمزق روحها بيدي.

بعد خطوات قليلة، ظهر الكوخ أمامهم. كان مظلمًا، قابعًا وسط الأشجار وقفوا أمامه ينظرون إلى بعضهم البعض في صمت يثير القلق، وكان كل واحد منهم يحاول قراءة أفكار الآخر. همس مصطفى بصوت خافت:

_ابقوا خلفي ... ثم رفع قدمه ودفع الباب بقوة فكسره ودخل الجميع خلفه.

كان الكوخ خاليًا من الساحرة، لكنه بدا كأنه ينبض بقوة غامضة. العاقاير متناثرة على الأرفف، وكتب السحر مفتوحة على صفحات مليئة بالرموز الغريبة، بينما قدر كبير يغلي فوق نار خافتة، يصدر منه دخان وردي اللون يتصاعد ببطء .

سأل مصطفى وهو يرمق المكان بعينين متفحصتين:

_ هل يمكن أن تكون هربت؟

ردت سيلفارا :

_ لا أظن ذلك ربما خرجت لتجمع الأعشاب لوصفاتها السحرية. عادةً ما تعود إلى كوئها في الليل علينا انتظارها.

جلسوا جميعًا في صمت، متربصين بالوقت لكن الانتظار تحول إلى ملل ثقيل فقالت هاتور :

_ لن أضيع وقتي أكثر انزعوا الألواح الخشبية للأرضية واحفروا. جسد من أصابته اللعنة مدفون هنا كما قال الأموات لي... أو من أصابته اللعنة دفن تحت من أطلقتها.

بدأ الجميع بنزع الألواح وحفروا تحتها لساعات، لكن جهودهم باءت بالفشل فلم يعثروا على أي شيء، لا جسد ولا دليل. تعبوا وأصابهم الإحباط، وعادوا إلى أماكنهم، منتظرين مجيء الساحرة.

وعندما حل الظلام، ولم يظهر لها أثر، قال حمزة وهو يشير إلى الباب:
_ يبدو أنها علمت بقدمونا فهربت...

لم يكمل جملته حتى قُطع حديثه أصوات خطوات تقترب من الكوخ.
همس مصطفى:

_ اختبئوا!

تفرق الجميع إلى زوايا مظلمة داخل الكوخ، يترقبون الداخل. فتح الباب
ببطء، ودخلت ديمينا وقفت للحظة تنظر إلى الفوضى التي حلت بكوخها
سألت نفسها: من كثر الباب وحفر ويعثر كل هذا ارتسم الغضب على
وجهها ثم استدارت لتغادر.

لكن قبل أن تخرج كانت هاتور خلف الباب فدفعته بيد ثابتة وقالت:

_ أهلاً يا ديمينا... يبدو أن هذه الليلة ستكون طويلة جداً.

نظرت ديمينا بثبات إلى هاتور :

من أنتِ؟ أنتِ لستِ من عالمنا... رائحتك غريبة عن جن هذا العالم

بدأ البقية بالخروج من مخابئهم، واحداً تلو الآخر، بوجوه تحمل الحذر
والغضب رفعت ديمينا حاجبيها باستهزاء وقالت:

ماذا تريدون مني؟ لكن عندما وقع نظرها على سيلفارا، ارتسمت ابتسامة خبيثة على وجهها وقالت بسخرية:

_ هل أرسلتكم زوجة أبي لقتلي؟

قاطعتها هاتور بغضب:

_ زوجة أبيك عن ماذا تتحدثين لقد جننا لنعلم أين مكان اول جسد أطلقت عليه اللعنة ثم نقلتك لأنك السبب في كل ما حل برجال شعب إيفيرمور. و عليك أن تخبرينا الآن من كان أول جسد أصيب بلغتك وأين دفنته؟ وإلا... اقتربت هاتور بخطوات ثقيلة وحدثت في عيني ديمينا وأضافت بنبرة حادة: _ سأمزق أحشاءك الآن.

ضحكت ديمينا ضحكة قصيرة وقالت:

_ ومن أخبركم بهذه الأكاذيب؟ ثم وجهت عينيها نحو سيلفارا وتابعت بابتسامة ملغزة:

_ لِمَ لا تقولين لهم الحقيقة انت لم تفارقيها انتِ خادمتها الوفيه وكنت اراك بجوارها دائماً؟ لِمَ لا تخبرينهم من الساحرة الحقيقية هنا؟ ومن التي أطلقت اللعنة؟

تحركت سيلفارا بغضب نحو ديمينا، وضربتها بقوة على وجهها، حتى سال الدم من فمها. صرخت سيلفارا بصوت يقطر غضباً:

_ اصمتي يا كاذبة كفاكِ عبثاً... سأقتلك الآن وأنهى هذه المهزلة.

مسحت ديمينا الدم الخارج من فمها بيدها اليمنى وقالت:

_ لن أصمت ولن أتوقف حتى أخبرهم عن ملكتك المزيفة، وعن حقيقتك التي تحاولين إخفاءها.

أخرجت سيفلارا سيفها بحركة سريعة، واندفعت نحو ديمينا، محاولة ضرب عنقها. لكن في اللحظة الأخيرة تدخل حمزة وصد الضربة بسيفه ودفع سيفلارا للخلف بقوة نظر إليها بغضب وقال:

_ يكفي يبدو أنها تقول الحقيقة، وإلا لما كنت بهذه السرعة في محاولة إسكاتها ماذا تخفين عنا شيئاً سيفلارا؟"

سيفلارا بتوتر:

_ لا... لا أخفي شيئاً... لا أخفي شيئاً على الإطلاق... ولكن صوتها كان هشاً يفضح قلقها.

قاطعتها ديمينا :

اصمتي يا سيفلارا هل تريدني قتلي؟ هل تودين القضاء على وريثة عرش إيفيرمور؟

ارتسمت الدهشة على وجوه الجميع، وسألها حمزة بصوت حاد:

_ كيف يمكن أن تكوني وريثة العرش؟

ابتسمت ديمينا ابتسامة تحمل خليطاً من الكبرياء والألم وقالت:

_ نعم أنا وريثة العرش... ابنة الملك أرماديوس.

اتسعت عينا هاتور وهي تستوعب الحقيقة، ثم قالت بصوت متقطع:

_ هذا يعني... أوغستا هي أمك؟

ضحكت ديمينا بسخرية قبل أن تجيب:

_ بل هي زوجة أبي كانت دائماً ترغب في التخلص مني لأجل الاستيلاء

على العرش، ونجحت بالاستيلاء عليه ولكن هذا العالم لم يمنحها احقية

امتلاكه لأنها ليست الوريثة الشرعية.. لقد خدعتكم جميعاً.

هاتور:

_ أنتِ كاذبة الوريث الشرعي هو كاليستار!

تبدلت تعابير ديمينا فجأة من السخرية إلى الحزن قبل أن تقول:

كاليستار؟ كاليستار كان أخي... لكنها قتلته... زوجة أبي أوغستا نعم

قتلته باستخدام اللعنة كان أول ضحية لها ودفنته أسفل القصر بنفسها.

تبادل الجميع النظرات الصادمة، ثم قال زيدان متأملاً:

_ هذا يفسر لماذا لم نرى كاليستار عندما كنا في القصر...

قاطعتهم هاتور :

_ ولكن هذا لا يثبت أنك بريئة من السحر، وإلا فلماذا نجد في كوخك كل هذه الأدوات السحرية؟

ردت ديمينا :

_ لأنني كنت أحاول البحث عن علاج لهذه اللعنة هربت من أوغستا بعدما حاولت قتلي واختبأت في الغابة مع الحيوانات، أعيش في خوف دائم وأجمع الأعشاب... أبحث عن سبيل لإنقاذ من تبقى.

هاتور :

الآن أصدقك.. ثم التفت الى البقية و اردفت: _ هل تذكرون عندما كنت أقرأ أفكار الملك أرماديوس؟ رأيت شيئاً غريباً وصمت حينها..

قال زيدان متسائلاً:

_ نعم كنت أود أن أسألك عن ذلك، لكنني نسيت.

تابعت:

_ رأيتهم يموت بينما كانت أوغستا تقف هناك، تبتسم ولا تبكي كما كانت تقول لم أفهم حينها لذلك لم أخبركم.

علق حمزة :

_ هذا يفسر مقتل السائقة العجوز الحيوانات هي من قتلتها.

توجهت جميع الأنظار نحو سيلفارا، التي باتت ترتجف في مكانها.
تقدمت هاتور خطوة نحوها وقالت:

_ ماذا ستقولين لتبرري كل هذا؟

انهارت سيلفارا على الأرض وانفجرت في البكاء، ثم قالت بصوت مرتعش:

_ لقد وعدتني أوغستا... وعدتني أن اللعنة لن تمس ابني إذا ساعدتكم على قتل الأميرة لم أكن أملك خيارًا آخر كنتُ خائفة على ابني... أرجوكم سامحوني..

قالت هاتور نأسف لك يا اميرة ديمينا سوف نأتي بعرشك وسنفك اللعنة تعالى معنا وانت ياسيلفارا افعلي شيئاً جيد في حياتك وساعدينا... اذا فكنا اللعنة لن يموت ابنك ولا احد من جديد بهذه اللعنة.

ابتسمت سيلفارا وهي تمسح دموعها وقالت انا اتيه سأساعدكم .

رد مصطفى نحتاج الى الراحة سننام هنا الليلة هل معك طعام يا أميرة.

أحضرت ديمينا طبقًا غريبًا، كان الطعام داخله يبدو كأنه خليط من ألوان عدة قطع صغيرة ذات ملمس لحمي، وبعضها يشبه أوراق النباتات المتداخلة، مع قطرات من سائل برتقالي لامع يتصاعد منه بخار خفيف.

وضعته أمامهم بابتسامة وقالت:

_ تفضلوا طعام بسيط لكنه يحمل شيئاً فريداً.

أمسك مصطفى بقطعة متردداً وهو يشتم رائحتها:

_ طعمه... كأنه لحم مشوي.

ضحك زيدان بينما تذوق قطعة أخرى:

_ لحم؟ لا هذا طعمه يشبه الدجاج مع شيء من التوابل.

رد حمزة وهو ينظر إليهم بدهشة:

_ أنتم تمزحون معي الطعم أشبه بطبق بامية مطبوخة جيداً

أما هاتور، التي كانت تتناول قطعة صغيرة، فقالت بنبرة جادة:

_ بالنسبة لي طعمه يشبه عظماً مغلياً.

ابتسمت ديمينا وقالت:

هذا الطعام يتحول طعمه بناءً على رغبة من يأكله. كل شخص يتذوق ما
يتمنى.

جلسوا يتناولون الطعام ببطء، يتحدثون عن مغامرتهم وما ينتظرهم.

بعد أن انتهوا من الطعام، ناموا جميعًا على أرضية الكوخ، بينما ظلت ديمينا مستيقظة، تراقب النافذة بقلق واضح.

عند بزوغ الفجر استيقظ الجميع وبدأوا الاستعداد للرحيل ركبت سيلفارا مكان السائق وقادت العربة بحذر.

بينما كانت العربة تسير، همس زيدان إلى مصطفى:

_ لو أنك أخرجت ذلك الرجل الذي يُجيب على الأسئلة من خاتمك، لكان وفر علينا الكثير من العناء.

تنهد مصطفى وقال:

_ تقصد ثوكيلد؟ لم يعد يظهر. لا أعلم السبب لكنني أشعر أن خاتم اليأس قد أثر فيه.

نظر حمزة إلى الأفق وقال:

_ علينا أن نعتمد على انفسنا الآن.

اكملت العربة بسرعة جنونية كأنما تحمل على عجلاتها ثقل الأحداث والمصير الذي ينتظر ركابها. وصلت إلى بوابة القصر الكبرى، حيث وقفت سيلفارا بثبات وأمرت الحارسات بفتح الباب انصاعت الحارسات، واندفعت العربة نحو الداخل، تخترق الحديقة المخضرة.

ترجل الجميع من العربة، وخطا كل منهم بخطوات مترددة نحو القصر.

داخل القاعة كانت تجلس أوغستا على عرشها، تراقبهم بابتسامة ملغزة رفعت رأسها قليلاً وقالت:

_ هل قتلتم الساحرة؟ هل فككتم اللعنة؟

قبل أن يجيب أحدهم ظهرت ديمينا من خلفهم بخطوات هادئة، وقالت بصوت جلي:

_ تقصدينني أنا؟ أم أنكِ تتحدثين عن نفسك؟

تجمدت الابتسامة على وجه أوغستا، لكنها سرعان ما استعادت رباطة جأشها وقالت ببرود:

_ لما لم تقتلوهما؟

ردت هاتور بصوت ساخر:

_ هل نقتل الوريثة ونترك الساحرة؟

اتسعت ابتسامة أوغستا، لكنها هذه المرة كانت تحمل نذير شوم قالت:
_ أرى أنكم علمتم الحقيقة كنت أظن أنني سأوقعكم في شباكي، تقتلون ديمينا وأرتاح منها للأبد لكن يبدو أنني استهنت بكم.

تبدلت ملامحها فجأة، واسودت عيناها حتى اختفى بياضهما، وتشقق وجهها كالأرض القاحلة. رفعت زجاجة غامضة اللون كانت تخفيها في يدها وشربت منها بنهم. بدأ جسدها يتغير بشكل مخيف؛ تبرز أسنانها، يكبر حجمها، وصوتها يتحول إلى زمجرة وحشية وهي تصرخ:

_ أنا الموت ذاته قتلْتُ زوجي وابنه وحكمت بالموت على رجال المملكة. كل هذا من أجل العرش، ولن أتنازل عنه الآن أو أبداً.

التف الجميع حول الوحش الذي باتت أوغستا تتحول إليه لكن فجأة صدحت صرخة ألم قطعت أنفاس القاعة. التفتت الأنظار بفرع ليجدوا حمزة مستلقياً على الأرض، صدره ينزف محول المكان إلى لوحة من الألم الأحمر.

واجهت هاتور اوغستا وهرع مصطفى بجنون وكأن روحه قد سبقت جسده، وسقط على ركبتيه بجوار حمزة. رفع رأسه بيدين متشنجتين، كأنهما ترفضان الإيمان بما تراه عيناه همس بصوتٍ مرتعش بالكاد يستطيع السيطرة عليه:

_ حمزة... يا أخي... لا تقل لي... لا تقل إنك راحل... لا تقل إنها الحقيقة. قل إنها كذبة... كابوس سيزول.. فقط افتح عينيك.

اقترب زيدان عينيه غارقتان في بحر من الدموع التي انهمرت بلا استئذان وجلس بجوار حمزة، أمسك بيده وضغط عليها قال بصوت مكسور:

_أجبنني يا حمزة كنت معنا منذ لحظة كيف حدث هذا؟ لا تتركني أعيش هذا الجنون وحدي! كيف تمزق حياتنا هكذا؟

فتح حمزة عينيه بصعوبة، نظراته تحولت إلى مرآة عاكسة لألم عميق لا يوصف. حاول أن يتكلم، لكن كلماته خرجت بصعوبة مثل أنفاس أخيرة تهرب من بين شفثيه:

_سيلفارا... خائنة.

صدم مصطفى وكان الكلمات رصاصية جديدة أصابت قلبه: لا يمكن أن تكون نهايتك هنا بين يدي... لا يمكن.

ابتسم حمزة ابتسامة ضعيفة وقال بصوت متقطع بالكاد يسمع:
_الموت... ليس النهاية... بل بداية... سأرحل إلى ليث... ولييد... وأهلي... لكن... لا تجعل الغضب يأخذك... لا تدع الانتقام يستهلكك.

التفت إلى زيدان، ورفع يده المرتعشة ببطء، كأن كل ذرة من طاقته الأخيرة تجمعت لتلامس دموع أخيه. مسحها برفق وقال:

_وأنت يا زيدان... لا تطفئ ضحكك... ضحكك هي النور الوحيد... الذي يضيء هذا العالم المظلم... لا تتركها تموت... لا تتركني أحملك الحزن في قلبك وأنا أرحل.

وبصمت كنيب، أغمض عيني، تاركًا وراءه فراغًا لا يملؤه شيء رحل بلا صوت، بلا وداع طويل، لكنه ترك صرخات مصطفى وزيدان تعانق سقف القاعة.

صرخ مصطفى، يهز جسد حمزة وكأن رجاءه الأخير كان بإيقاظه:

_ لا تذهب يا أخي لا تتركني أصرخ وحدي في هذا الجحيم! كيف تفعل هذا بنا؟ كيف تختار الرحيل؟ من سيسير معي؟ من سيحمل هذا العبء معي؟

أما زيدان، فقد انهار بجواره، وجعل يهز جسد حمزة بكل قوته وكأنه يحاول أن ينتزع روحه من الموت صاح بصوت يائس، بالكاد يفهم: حمزة استيقظ.. كنت أنت القوة التي تجعلني أضحك، كيف أضحك الآن وأنت غائب؟ كيف أعيش هذا الفراغ وحدي؟؟

الحزن ينهش أرواحهم، كل أنفاسهم تحولت إلى شهيقٍ كنيب، وكأنهم يبتلعون الغصات بدل الهواء. خلفهم، كانت المواجهة بين هاتور وغستا تتصاعد، لكن بالنسبة لهم لم تعد الحياة تعني شيئًا. فقد فقدوا أكثر من أخ وصديق فقدوا سندهم قوتهم وكل ما يجعل للأمل مكانًا في قلوبهم.

اشتعل مصطفى غضبًا عندما شاهد سيلفارا تلحق السيف الملوث بدم حمزة وتفهقه بصوت كريه.

قال مصطفى بصوت يختلط فيه الحزن بالغضب، بينما يحاول أن يكبح دموعه:

_ ارقد بسلام يا أخي... سأأثر لك... سأفصل رأسها عن جسدها وأحضره لك لترى ماذا فعلتُ بها ثم تتمم لنفسه:

_ لن أقتلها بخاتم الدمار ولن أستخدم السحر سأقتلها بسيفك بسيفك وحده يا حمزة.

تناول سيف حمزة من جواره ثم ركض نحو سيلفارا وصرخاته تتردد كعاصفة عاتية هجم عليها بضربة مباشرة، لكنها صدت هجماته بسهولة وهي تضحك بسخرية باردة.

صرخ مصطفى بغضب:

_ لماذا قتلتيه؟ كيف استطعت أن تخدعينا؟ أكنتِ تلعبين بنا طوال هذا الوقت؟"

ردت عليه بصوت يحمل كل معاني الاحتقار:

_ مشكلتكم أيها البشر أنكم تصدقون أي شيء يُقال لكم بسهولة. هل ظننت حقًا أنني سأخون أختي؟

تجمد مصطفى في مكانه للحظة وهو يردد في داخله كلماتها:

_ أختها؟ خرجت كلماته متقطعة من الصدمة: كيف... ماذا تقصدين؟

_ نعم أو غستا هي أختي وصدقني كنت أستمع وأنا أراقبكم تُصدقون أكاذيبي السخيفة عن ولدي وعن خوفاً عليه يا لك من طفلٍ ساذج، مثل صديقك الغبي الذي قتلته والآن سأقتلك وستلحق به.

_ لن أدعك تفلتين بفلتك.

لم يكمل جملته حتى اندفعت سيلفارا بسيفها، تحاول أن تسدد ضربة قاتلة أخرى، لكنه صدها بقوة حتى جعلها التفت من قوته ومن ثم ركلها بقدمه في ظهرها بقوة جعلتها تسقط على وجهها تمددت على الأرض كحياة جريحة، مدت يدها لتلتقط سيفها الذي أفلت من يدها لكن مصطفى كان أسرع وركلة بعيداً ثم التفت إليها منها وقال بجود:

_ لا تقلقي... سأرسل أختك للحاق بك قريباً.

رفع سيف حمزة عاليًا ووجهه مشبع بالغضب والانتقام وبضربة واحدة فصل رأسها عن جسدها تدرج رأسها على الأرض ككرة أقيت بلا اكتراث بينما جسدها بقي متجمداً للحظة قبل أن ينهار بقوة.

أخذ مصطفى نفساً عميقاً ثم نظر إلى رأسها الساقط و إلى جسدها وقال بصوتٍ خافت، بالكاد يسمعه أحد:

_ العدالة... ليست كافية... حمزة... عد لي الآن... عد يا أخي.

حين كانت أوغستا منشغلة بالقتال وقعت عينيها على رأس سيلفارا والدماء تتسرب منها كخيوط من الجمر عيناها اتسعتا، وجسدها انتفض بغضب جامح. أختي صرخت بصوت مخنوق كالرعد، قبل أن يتفجر غضبها.

هاتور التي كانت تقف في مواجهتها لم تفلت من بطش الوحش يد أوغستا تحولت إلى كتلة هائلة من القوة، انقضت على هاتور بضربة واحدة، أطاحت بها أرضاً وجعلتها تسقط فاقدة للوعي.

فلم يعد ما يمنعها الآن من الانقضاض على مصطفى بجنون كأنها إعمار لا يُوقف. مصطفى وقف بثبات وكأنه يدرك أن اللحظة الحاسمة قد اقتربت، تراجع بخطوات محسوبة وب نظرة هادئة، سحب سيف حمزة بحركة خاطفة و غرزه في قدم أوغستا قبل ان ترفع يدها لضربه صرخة الوحش ملأت الأرجاء، لكنها لم تتراجع.

فرفع مصطفى قبضته نحو السماء، و نادى :

_ يا سندان أعطني سيف البرق.

السماء خارج القصر اشتعلت فجأة، والسحب السوداء تلاطمت كأنها استجابت لندائه. فجأة، انشق سقف القصر بقوة عاصفة، وسيف من البرق الصافي انطلق منه، مشعاً بضوء يمزق الظلام، ليحيط بين يديه كأنه قد خلق خصيصاً له.

قال مصطفى بصوت ملؤه الغضب:

_ أوغستا لقد كتبتى نهايتك سأمزقك قطعة قطعة وسأطعم أشلاءك للظلام الذي أنجبك... أنت لست سوى صفحة سأحرقها في كتاب هذا العالم.

ضحكت وردت بسخرية قاتمة:

_ كتبت نهايتي؟ يا لك من أحمق مغرور أنا لست مجرد نهاية، أنا البداية والنهاية معاً، وأنا الآن أكتب فصلاً جديداً... لنهاية أرواحكم البائسة التي لا تستحق سوى العذاب.

قبل أن يتمكن مصطفى من التحرك، تجمدت أطرافه حاول رفع يده ليضربها بالبرق ولكن قوتها جعلته كالعاجز لا يعلم ماحدث له حتى لا يقدر أن يمشي لا يقدر أن يحرك قدمية فقط يشاهد المشهد البشع دون القدرة على التدخل لقد رفعت يدها إلى فمها وعضتها بأسنانها الحادة كأنها شفرة من الجحيم، تمزق لحمها بلا تردد. وسقطت ذراعها مبتوره

على الأرض الدم الأسود سار يتدفق كالشلال يصدر صوتًا أشبه بالغيان .

بدأت تتمم بكلمات أصداؤها ترددت في القصر . رفعت ذراعها المقطوعة عاليًا، وقد تحولت إلى شظية متفحمة من الخراب، وصرخت بصوت يكسر النفوس:

((يا حراس الفناء ويا أسياد الفراغ الأبدى. يا جبابرة الخراب وأسياد العدم بدمائي أفتح البوابة و بجسدي أحيي اللعنة، افتحوا أبواب الجحيم الأعظم لتبتلعوا العالم في لهيبكم. ولتولد أوغستا من جديد... سيدة لكل ظلام.

أثناء ترديدها التعويذة، بدأ الهواء يتكثف حولها، ليصير مشهداً مرعباً من الفوضى. جسدها بدأ يتوهج بنور مظلم كالظلال التي تتسلل في الليل، والدماء السوداء تدفقت من ذراعها المقطوعة كأنه بركان من الشر يثور من أعماق الأرض. ثم في لحظة تزلزل الأرض نفسها، وابتلع الشق الذي تصدع في الأرض ذراعها. ثم من هذا الشق ، بدأت تُسمع همسات مرعبة كأنها أصوات أرواح ملتاعة من الجحيم ، تتألم وتصرخ بصوتٍ لا يهدأ. في تلك اللحظة خرجت أشواك من رأسها بسرعة مروعة، ظهرها انشق ليخرج منه جناحان ضخمان، مظلمان يغطيان السماء، يدها المقطوعة استبدلت بثعبان ضخم ينبض بالحياة

ديمينا نظرت إلى أوغستا بعينين مليئتين بالدموع وصرخت:

_ الا تشبعين من التشوه والقذارة كيف فعلتِ هذ كيف استطعتِ قتل كل رجال المملكة؟ كيف قتلتِ أبي؟ الملك الذي كان أملنا جميعًا وكان زوجك؟

قالت أوغستا ببرود:

أبيك... لقد كان مجرد عائق في طريقي، الجميع هنا مجرد بيادق في لعبة لا يفهمون قواعدها ...

ديمينا:

_ لقد قتلتيهم جميعًا... أبي، إخواني، كل من أحببهم هذه المملكة... لأجل ماذا؟ القوة؟ الملك؟ لا تظني أن هذا سيجلب لكي السلام. لن يهدأ قلبك أبدًا، حتى لو سيطرتي على كل شيء

أوغستا لم تُبدي أي ندم بدلاً من ذلك، ارتسمت ابتسامة قبيحة على شفيتها :

_ تؤلمين رأسي من حديثك تكرررين قتلتي ابي قتلي اخواتي قتلتي قتلتي سأقتلك ايضاً لي ارتاح من صوتك المزعج ...

تحركت أوغستا تجاهها ومع كل خطوة تأخذها تتسبب في حفرة عميقة في الأرض ديمينا شعرت ببرودة تجتاح عظامها ولكنها لم تسمح لهذا

الشعور بأن يقيدها . دون أن تفكر كثيراً مدت يدها بسرعة إلى حقيبتها الجلدية واخرجت القوارير الزجاجية التي كانت تحملها ثم التفتت إلى مصطفى و قالت بصوت متوتر:

_ نحن لا نملك وقتاً إذا لم نتدخل سنكون جميعاً اموتاً.

وقبل أن تنهي جملتها أطلقت القوارير باتجاه أوغستا و في اللحظة التي تلامست فيها القوارير مع الهواء المحيط، انفجرت مكونه عاصفة ثلجية أحاطت بأوغستا وحبست جسدها في مكعب من الثلج ... حينها رجع مصطفى يتحكم في أطرافه تتمم :

_ نحن في مواجهة شيء أكبر من أن نحبسه بهذه السهولة... تابع وهو يصرخ : _ ديمينا حاولي ان تفيقي هاتور قبل أن يذوب الثلج..

لكن فات الأون بدأت شقوق تظهر على المكعب الجليدي وانبعث منه صوت أكثر من مجرد صرخة فجأة الشقوق التي بدأت تتسلل تزايدت بسرعة حتى انفجر الجليد في فوضى و تناثرت شظاياها في كل الاتجاهات .

اوغستا:

_ هل هذا هو كل ما تستطيعون فعله؟ أنتم تغامرون بالنار... وأنا النار التي لا تنطفئ أبداً.

رفع مصطفى سيفه بخمول :

_ مهما كانت قوتك لن تستطيعين طمس النور.

او غستا:

_ النور؟ النور ضعف أما أنا فأنا الليل أنا الكابوس الذي لن تستيقظوا منه أبداً.

زيدان كان لايزال بجانب جسد حمزة المسجى ودموعه لا تتوقف حتى جمع شجاعته ووضع رأس حمزة برفق على الارض وهمس بصوت مكسور:

_ أعلم أنك رحلت، لكنهم يحتاجونني الآن وإن كان موتي ينتظرنى... فسأكون سعيداً بالذهاب معك.

بلمحة من الجنون نهض وركض نحو سيف ملقى بجواره، قبض عليه بقوة وانطلق نحو أوغستا غضبه يسبق خطواته، وصرخة مزلزلة تخرج من أعماقه. لكن أوغستا دون أن تلتفت إليه حتى رفعت يدها بضربة مميتة فاصطدم جسده بعنف وطار في الهواء حتى سقط على الأرض وفقد الوعي.

بدأت تفيق هاتور وعندما فتحت عينها وقعت على زيدان الذي لا يتحرك بصوت مليء بالذعر صاحت:

_زيدان...!

ثم وجهت عينيها نحو أوغستا، وملأت كلماتها الهواء كتعويدة:

_لقد كتبت موتك الآن.

نادت على مصطفى :

_اضربها بالبرق... لا تتوقف.

استجاب مصطفى للأمر، رفع سيف البرق عاليًا وضرب أوغستا بوابل من الصواعق المتوهجة الانفجارات كانت تهز الأرض، لكن أوغستا، بدلاً من أن تصاب، بدأت تضحك.

قالت وهي تضحك:

_أنت تدغدغي..

لكن هاتور لم تكن تنتظر تأثير البرق. طارت بخفة، وارتفعت في الهواء. تحركت بسرعة كطيف خفي، متجاوزة أوغستا لتقف خلفها

مباشرة في تلك اللحظة، امتدت أظافر هاتور وكأنها تحولت إلى خناجر حادة بغضب همست في أذن أوغستا :

_ لقد أذيتِ أعلى شخص في حياتي... وبهذا حكمتِ على نفسك بالموت.

قفزت على كتفها وتشبثت برقبته كحيوان مفترس يرفض الإفلات من فريسته. بدأت أظافرها تخترق جلدها و تمزقه دون رحمة، الدماء السوداء انفجرت كنافورة ملوثة.

صرخت أوغستا و تحركت في كل اتجاه، تضرب جسدها بوحشية لمحاولة التخلص من هاتور، لكنها لم تستطع.

ظلت هاتور متمسكة بها، وكل حركة كانت تزيد من عمق الجروح صرخت أوغستا:

_ لن... تقتليني أنا الخلود... أنا الخلود.

هاتور لم تعد تسمع شيئاً سوى دقات قلبها الغاضب، دفعت بأظافرها أعمق وأعمق حتى شعرت برقبة أوجستا تضعف تحت قبضتها. في لحظة أخيرة، دفعت بكل قوتها فقطعت الرأس بالكامل.

سقط جسد أوغستا الضخم على الأرض كأنما سقط جبل، والرأس المقطوع تدرج بعيداً عيونها مفتوحة على اتساعها، تفيض بالغضب والرعب الذي لم ينقذها.

هبطت هاتور بينما أنفاسها تتلاحق ودموعها تختلط بدماء المعركة ثم نظرت إلى زيدان الذي ابى النهوض وتوقف عن الحركة اقتربت منه ببطء:

_ انتهى الأمر... لقد انتهى.

ثم ركعت بجانبه ولا تزال أنفاسها متقطعة عيناها تائهتين بين الخوف والحزن، يديها المرتجفتين تمتدان ببطء نحو وجهه الشاحب.

وضعت رأسه برفق على حجرها، وبدأت دموعها الساخنة تنساب كأنها تروي الأرض الجافة، تسقط على وجهه الملطخ بالتراب والجروح. همست بصوت مرتعش يكاد يتلاشى بين شهقاتها:

_ زيدان... أرجوك... لا تتركني... لا أستطيع أن أفقدك لا يمكنني العيش بدونك...

ثم انحنت نحو رأسه وأغمضت عينيها وهي تهمس كأنها تناجيه:

_ اصبحت قوتي... اصبحت النور الذي يهديني وسط الظلام... لا تتركني لا تتركني وحدي اغرق في ظلامي.

و مع آخر قطرة سقطت على خده، ارتعشت جفونه ببطء وفتح عينيه بصعوبة نظر إليها وابتسامة ضعيفة تزين شفثيه المرهقتين.

_ هاتور... قال بصوت خافت :

_ كنت أعلم أنك ستأتين لأجلي...

شهقت من المفاجأة، وضمت يديه بقوة:

_ لا تتحدث لا تجهد نفسك.

لكنه رغم ألمه رفع يده المرتعشة ببطء ولمس وجهها ليمسح دموعها بأصابعه، وقال بابتسامة باهتة:

_ لا تبكي يا أعلى ما أملك رؤيتك تبكين... هي الألم الحقيقي بالنسبة لي.

ثم تابع ساخرًا:

_ إذا كان هذا هو ما أحتاج أن أتحملة لأرى وجهك قرب وجهي لما ترددت في فعله منذ أن كنا في عالم الأموات ..

انحنت برأسها وهي تضحك ثم وضعت جبينها على جبينه لتشعر بحرارته ثم هممت:

_ أعدك لن أتركك أبدًا ولن أسمح لأي شيء في هذا العالم أن يأخذك مني.

مصطفى كان يراقب المشهد بصمت لا يريد ان يقطع عليهم المشهد وبعد وقت قليل تقدم نحوهما ومد يده لزيدان بابتسامة :

_ قم يا بطل... أخذ زيدان يده ووقف بثبات، ثم سار هما الأثنان إلى
جسد حمزة

في هذا الوقت نزلت ديمينا للقبو الذي يقبع اسفل القصر وقفت بجلال
وحزن عميق في يدها رأس أوغستا وما زالت القطرات الداكنة تسيل
من عروقتها المقطوعة. حفرت الأرض بصبر حتى وصلت إلى حيث
جسد أخيها لوغستا انحنى نحوه بعينان دامعتان تلمعان في ضوء
القناديل الخافتة.

ثم رفعت الرأس عاليًا، وسمحت للدم أن يتقاطر على الجسد المتحلل
مرددة :

_ أول من أصيب باللعة، يرتوي بدماء من أطلقت اللعة فلينته الظلام
ولتُرفع القبة وليعد الرجال لمجدهم وليعيش الفتيان متجاوزين عام
البلوغ.

مع كلماتها الأخيرة تلاشت قُبه غير مرئيه تحاوط المملكة وتحمل
المرض لكل بالغ.

نظرت ديمينا إلى جسد أخيها ثم همست له:

_ آن الأوان لترتاح يا لوغستا... سأجعلك في مكان يليق بك... ثم حملت
بقاياها بين يديها وخرجت ببطء .

قررت ديمينا أن تبني مقبره تليق بحمزة، ليذكر شعب عالمها التضحية الذي قدمها بشري من أجل انقاذ الجن. اجتمع الرجال والنساء كل على طريقته حمزة بصفته مسلماً غُسل وكُفن وفقاً للشريعة الإسلامية. مصطفى وزيدان صلّياً عليه وقاموا بمراسم دفنه بمهابة واحترام.

أما لوكستا فقد حملته ديمينا مع نساء شعبها إلى الغابة المقدسة حيث أدوا شعائرهم الخاصة، وأحرقوا جسده في محرقة طقسية وسط صلواتهم وأهازيجهم الحزينة التي ارتفعت في أرجاء المكان.

بعد يومين اجتمع شعب إيفيرمور من النساء والأطفال في ساحة القصر، لأول مرة تحت سماء مفتوحة أعينهم كانت تحمل أملاً جديداً، ولكنها مشبعة بالحزن على ما فقده.

وقفت ديمينا بهيبتها الملكية الجديدة على منصة مرتفعة كانت ترتدي عباءة زرقاء مطرزة برموز أسلافها، وشعرها الطويل ينسدل كسيل من الذهب الداكن.

كانت خلفها امرأة عجوز تدعى الكاهنة ميتال كانت تحمل في يديها تاجاً ذهبياً مزيناً بأحجار كريمة تقدمت المنصة وقالت بصوت مرتفع:

يا نساء وبنات وأبناء إيفيرمور، اليوم نعيد النور إلى هذا الشعب. ثم التفت الى ديمينا و اردفت: _ ديمينا... وريثة العرش وراعية السلام لقد حان وقتك لتقودي شعبك نحو مستقبل جديد.

وضعت التاج على رأسها وهتفت بصوت عالٍ:

_تحيا الملكة ديمنا.

ارتفعت الهتافات في كل مكان من النساء والأطفال يصفقون بحماس. ووسط تلك الهتافات التي لا تنقطع، رفعت الملكة يدها نحو السماء فاهتزت الأجواء من حولها وعُزف نغم خفي في الهواء، يسبح في صمتها القوي. ثم في لحظة واحدة شق باب ضخم من العدم وظهر أمامها وكأنما خلقه سحرها المطلق.

فبعد تتويجها مباشرة حصلت على احقية امتلاكها العالم الخامس ومنه حق التحكم في باب العالم السادس ثم أخرجت صندوقاً ذا تصميم عتيق، مزخرف يُشعّ بوهج غريب. رفعت الصندوق نحو هاتور التي تقف بجوارها، ثم قالت بصوت منخفض :

_هذا لك يا رفيقتي .

فتحت هاتور الصندوق ببطء حيث كان المفتاح وورقة قديمة تحوي كتابة بالغة الغموض أخذت المفتاح بيدها اليمنى، وادخلته في الباب، وأمسكت الورقة في يدها اليسرى ثم بدأت تقرأ:

((من الأرض تخرج الحياة، لكن في داخلها تقبع حياة قديمة ... فابحث عنها ولا تغرك المظاهر...))

فانفتح باب العالم السادس.

الفصل السابع والعشرون: غياهييا

وقف الثلاثة في ساحة تحت الأرض غمرها الهدوء الجدران كانت مغطاة بطبقة شفافة من معدن يدعى الأونيكس الحيوي يشع وهجًا خافتًا. المساحات المفتوحة بين الأبنية بدت وكأنها ميادين عظيمة، تلمع أرضها بألوان زاهية بسبب البلورات الصغيرة المنتشرة في كل مكان.

المنازل كانت شامخة لكنها ليست ثابتة. كل شيء بدا متصلًا بلب المدينة، يضج بحياة ماضية تُشعر الناظر بثقل الزمن الذي مرّ عليها. كانت المدينة واسعة لكنها الآن مهجورة.

تأملوا مجموعة من الكريستالات كانت متوهجة ومنتشرة في إحدى الزوايا تتلألأ بلطف وقتها اهتزت الأرض بعنف، البلورات إنطفت نورها دفعة واحدة وخيم الظلام الكثيف.

تشبث الثلاثة بما حولهم الجدران الأرض أو حتى بعضهم البعض، بينما استمرت الهزة طويلا مصاحبة صوت صخور تتشقق في الأرجاء.

وعندما هدأت الهزة أخيرًا، زفر زيدان أنفاسه بصعوبة وقال بتوتر:

_ ما الذي يحدث هنا؟

ردت هاتور وهي تضع يدها على جدار معدني متصل بالكريستالات
تحاول استشعار نبض المكان:

_ هذه الهزات تشير إلى ضعف اللب. المدينة أصبحت غير مستقرة وهذا
يعني أنها هُجرت مؤخراً

نظر مصطفى حوله، مأخوذاً بحالة المكان وسأل:

_ لكن كيف يمكن أن تُهجر مدينة عظيمة كهذه بهذه السرعة؟

أجابت وهي تشير إلى الجدران التي بدأت تفقد بريقها شيئاً فشيئاً:
_ الغمرانيون... سكان هذه المدينة هم جن متنقل لا يبقون في مكان إذا
شعروا بأن اللب يضعف وفور ظهور العلامات الأولى يرحلون يرحلون
بلا رجعة ومن حالة هذا المكان فإن علامات الضعف قد ظهرت منذ
زمن.

سأل زيدان:

_ وأين يمكن أن نجدهم الآن؟

أجابت وهي تركز نظرها على الأرض:

_ علينا أن نتبع الأنفاق التي لا يظهر فيها أي ضعف.

زيدان: وكيف سنعرف تلك الأنفاق..

هاتور: قلب هذا الكوكب وهو مصدر كل الطاقة هنا وجميع الطرق والمدن تتصل به إذا وصلنا إلى مكان مستقر بلا هزات سنجد هناك سكاناً أو على الأقل أدلة تشير إليهم.

سارا الاثنان خلفها بحذر يراقبون التفاصيل التي توحى بأن الحياة كانت هنا منذ وقت قريب. الأنفاق الممتدة بدت وكأنها متاهة لا تنتهي. وفي النهاية وصلوا إلى مفترق طرق يتفرع إلى عدة أنفاق مظلمة.

سأل مصطفى بتردد:

_ أي طريق علينا أن نسلك؟

انحنت وخلعت بلورتين صغيرتين من الأرض ثم ضربتهما ببعضهما بخفة فانطلقت اهتزازات خفيفة ترددت عبر الأنفاق المختلفة فلاحظ الجميع أن معظم الأنفاق اهتزت باستثناء طريقين.

فرفعت رأسها وقالت بثقة:

_ هذان الطريقان آمنان.

نظر زيدان إلى الطريقين ثم أشار إلى أحدهما بابتسامة خفيفة:

_ لنأخذ هذا الطريق. يبدو أقل كآبة.

رد مصطفى :

_ أتمنى أن يكون حدسك صائبًا هذه المرة.

ساروا بعض الوقت في ظلام دامس فأخرجت هاتور نارًا من يديها لتتير الطريق لم يكن هناك في النفق صوت سوى أنفاسهم المتوترة وخطواتهم التي كانت تُسمع فجأة بدأت الجدران تُضاء بحشرات صغيرة بلون أزرق شفاف. كانت تلك الحشرات تزحف بأعداد هائلة، تتكدس على الجدران وتضيء الطريق بشعاعها الخافت بينما مساراتها اللزجة خلفت آثارًا مشعة، جعلت الجدران تتنفس .

وقف زيدان متأملًا المشهد وقال بدهشة:

_ ما هذا الجمال؟ كأننا نسير في حلم.

هاتور :

تلك تُسمى حشرات البردف قرأت عنها في أساطير قديمة يُقال إنها تملك قدرة على شفاء آلام العيون.

نظر زيدان إليها بعينين حائرتين، ثم سأل :

_ وهل للعين شفاء حقًا؟

توقف مصطفى عن السير لوهلة وقال :

_ لماذا تتحدث وكأنك تؤمن بعدم وجود شفاء؟

رد زيدان :

_ لأن العين التي أتحدث عنها ليست تلك التي ترى، بل تلك التي تشعر. عين النفوس... لا أرى ما في نفسك ولا ترى ما في نفسي. هل لهذه العين شفاء؟

مصطفى :

_ تخيل لو أن أفكارك مجرد أفكارك، أصبحت معلنة للناس هل سيكون ذلك عدلاً؟ ثم من رحمة الله أنه لا يحاسبنا على ما في نفوسنا من شر بل على ما نفعه ونقوله الله يعلم ضعفنا، ولهذا يحمينا من أنفسنا.

هز زيدان رأسه وقال:

_ ولكن ماذا عن الذي فعل المعصية؟ من جعل ما في نفسه واقعاً، الا يحق أن نعلم ما في نفسه؟

مصطفى :

_ حتى وإن فعل، فإن الله قد يستره ليعود إليه بالتوبة.

بدا زيدان غير مقتنع تماماً، فقال :

_ لكن ماذا عن حكماء أوريانث؟ ألم يقرأوا عقولنا؟

ضحك مصطفى بخفة وأجاب:

_ لا يا صديقي لم يقرأوا عقولنا. حكماء أوريانث هم نوع من الجن، أذكيا بما يكفي لاستنتاج ما في نفوسنا من تصرفاتنا أو ربما تحدثوا مع فرنانا، أو عرفوا من تفاصيل أخرى. لكن ما في العقول يظل ملكاً لله وحده.

قال زيدان وهو مبتسم:

هل تعلم؟ حين كان الحكيم جرميس يقرأ عقلي كنت العنة في سري ولم اعلم لماذا لم يلاحظ؟

ضحك مصطفى وقال:

_ أنت معضلة حقيقية يا زيدان.

لكن تلك الابتسامة سرعان ما تلاشت عن وجه زيدان، وحل محلها حزن ثقيل. نظر إلى هاتور بعينين ملوهما ألم وقال بصوت خافت:

_ أجل... أنا معضلة أحببت جنية تركت أرملة وأطفالها دون تفكير فقدت أصدقائي واحداً تلو الآخر كل من أحببتهم رحلوا أنا العائق أتمنى لو أستطيع أن أخرج من هذا العالم، لعل العائق يختفي.

هاتور:

_ وهل ترى حبي عائقاً أيضاً؟

زيدان:

_ نعم لأنه حب محكوم عليه بالفشل ماذا سنجني من هذه العلاقة؟ هل سينتزوج البشر بالجن؟ هل سنعيش حياة مستقرة؟ هل ستتوقفين عن التجوال وتبقيين معي؟ كان هناك معلم في قرينتنا قديماً رجل حكيم يزورنا كل عام دائماً ما كان يقول لا تنظر إلى زهرة خلف سياج عالٍ، لأنها إن لم تكن في متناول يدك، فلن تكون لك حتى لو مددت روحك كلها نحوها. وأنت... أنت أجمل زهرة رأيتها، لكنني أخطأت عندما ظننت أنني أستطيع قطفك.

_ هل ترى حبي خطأ؟

هز زيدان رأسه وقال بصوت متهدج:

_ بل هو أجمل شيء حدث لي ولو عاد الزمن، لتمنيت أن أحبك منذ اللحظة الأولى التي خلقت فيها لكن لا أستطيع أن أنكر أننا لن نكتمل أبداً أنت شمس، وأنا قمر كل منا يجري في مداره. هل تظنين أن الشمس والقمر سيتوقفان يوماً ليحتضنا بعضهما؟

أجابته والدموع تترقرق في عينيها، لكنها لم تسمح لها بالسقوط:

_ الشمس تعلم أنها لن تلتقي القمر، لكنها لا تستطيع التوقف عن الحلم بذلك تحلم أن ترى وجهه قريباً، ولو للحظة واحدة.

في تلك اللحظة، همست لنفسها بصوت لم يسمعه أحد:

_ لماذا وعدتني بالحب إن كنتَ تراه وهماً؟

تمهل مصطفى بخطواته عن زيدان وهاتور، متباطئاً عمداً حتى يجد الكلمات المناسبة، ثم التفت إليه فجأة وقال وهو يقترب منه:

_ زيدان لماذا الآن ..

زيدان:

_ لا أفهمك!!

مصطفى:

_ تحبها فجأة ثم تصدها فجأة ماذا تفعل؟ هل تمتلك قلباً وعقلاً، أم أنك تتلاعب بما لا تفهم؟

أجابه زيدان وكان السؤال كان متوقعاً:

_ أنا فقط أتبع وصية حمزة.

سأله في دهشة:

_وصية حمزة؟ وماذا في وصيته يجعلك تتخذ قرارات كهذه؟؟ ثم متى وجد حمزة وقت ليخبرك وصيته؟

زيدان:

_ لا تتعجب فنصيحته اعتبرها وصية، ثم أنت قلت لي الشيء نفسه، يا مصطفى. ألم تكن أول من حذرنى من هذه العلاقة؟ ألم تقل لي إن هذا الطريق لن يجلب سوى الألم؟ حمزة فقط وضع كلماته كخاتمة لما كنت أنت بدأت.

هز مصطفى رأسه بشيء من الضيق وقال:

_ نعم أردت أن أحذرك، وما زلت مقتنعا بذلك لكن هذا ليس سبباً لتقرر الآن أن تطفئ ما أشعلته سابقاً، لماذا هذا التراجع الآن؟"

أغمض عينيه وكان الإجابة تحمل ثقلاً يصعب حمله، ثم فتحهما ونطق بصوت منخفض مليء بالحزن:

_ لأنني أدركت أن الحب... زائل... الحب يا مصطفى جميل لكنه ضعيف أمام الموت، كيف جعلت امرأة تحبني وأنا اعلم انها ستراني أموت أمامها في اي لحظة اما مقتول أو شيخ هرم هزني المرض؟ الموت الذي تفوح منه رائحة الحب أشد قسوة من الموت نفسه لا أريد أن أتذوقه ولا أريد لها أن تتذوقه.

مصطفى:

_ لكن الحب لا يُقاس بما قد يحدث بعده بل يُقاس بما يمنحك إياه الآن.
هذا الهروب الذي تختبئ خلفه لن يحميك من الألم، بل سيزيدك فراعًا.

صمت زيدان بعد تلك الكلمات يفكر ويقيس اثرها عليه.

ارتفع صوت هاتور وخرجت دموعها التي كانت تكبجها:

_ إن كان الحب زائلاً في نظرك، فلماذا وعدتني به؟ لماذا جعلتني أرى
فيه نورًا إذا كنت ترى ظله فقط؟

نظر إليها زيدان للحظة، ثم أشاح بعينه بعيدًا وكأن مواجهتها أصعب
من مواجهة نفسه وقال بصوت خافت:

_ لأنني كنت أصدق الوعد حين قلته... لكنني الآن أخشى أن يكون هذا
الوعد نفسه سببًا في هلاكنا.

لم يمهلها الوقت أن تفكر في كلماته حتى ترد عليها إذ سمعوا صوتًا
غريبًا يتردد في أعماق النفق، تراجعوا في ذهول أرواحهم تكاد تنفجر
من فرط التوتر لم يكن الصوت فقط هو ما فاجأهم، بل المكان ذاته الذي
بدا وكأنه ينبض بالحياة بشكل مريب.

تسارعت خطواتهم ومع كل خطوة كانوا يقتربون من مصدر الصوت،
لكن المفاجأة الحقيقية كانت في الكائن الذي ظهر أمامهم. رأسه كان

أشبهه بكرة زجاجية ضخمة، تلمع بضوء خافت يشبه شعاع القمر على سطح مياه هادئة. داخل رأسه يوجد بحر من الرموز والأرقام تتحرك بلا توقف كأنها أغاز لا تفهم عيناه نقطتان ذهبيتان متوهجتان.

جسده كان طويلاً ونحيلًا، ملفوفًا بوشاح من الضباب الداكن الذي يتحرك كما لو كان يتنفس. بشرته تتحرك برشاقة، تارة تظهر رموز فرعونية وتارة أخرى تندمج مع لغات منسية. يدها الطويلتان بأصابعه الحادة تترك آثارًا مضيئة في الهواء عندما يتحرك.

تكلم فكان صوته يتردد في أعماق عقولهم أكثر من أن يكون مسموعًا بالأذن فقط قال ببطء :

_مرحبًا بك يا زيدان و يا مصطفى، وأنت... يا بنت الجن والشياطين.

الدهشة سيطرت على الجميع، مصطفى وقد اختلطت عليه المشاعر
سأل :

_من أنت؟ وكيف تعرف أسماءنا؟

قال الكائن بصوتٍ رزين، يملؤه اليقين:

_أعرف كل شيء، أعلم كل شيء. أنتم تبحثون عن العالم السابع، عن ملك العوالم ، عن الخلاص من النداهة أليس كذلك ؟

أجاب زيدان:

_ نعم لكن كيف عرفت؟

الكائن:

_ قلت لك انا أعلم كل شيء، تظنون أنكم في طريق النجاة. ولكن الحقيقة أن نجاتكم ليست في العوالم السابعة، بل هي بين أيديكم. أنتم من ستقرررون مصيركم، وليس العوالم التي تظنون أنها ستمنحكم الخلاص.

قالت هاتور بصوتٍ منخفض، يتسرب من بين شفثيها:

_ كيف لنا أن ننجو إذن؟ ما الذي علينا أن نفعله؟

فجأة، رفع الكائن يده في حركة حادة، وكأنما يقطع هواء الليل، ثم قال بعنفٍ غير متوقع:

_ من صفات الجن أن لا يكشفوا أسرار الاميرات فلا تتماذي ثم ضحك ضحكةً مفزعة، وكأنما يستمتع بالعب في عقولهم .

مصطفى:

_ إذ كنت تعرف كل شيء، فماذا تريد منا؟

أجاب الكائن ببرود ونبرة غير مبالية:

_ أنا لا أجب على أسئلة أنا فقط أطرح الألغاز، من ينجح في حلها، له الحق في سؤالي سؤالاً واحداً ومن يفشل، ستكون روحه ملكي إلى الأبد..

مصطفى:

_ لن تكون اروحنا في يدك فهذا ليس عدلاً.

ضحك الكائن مرة أخرى، ضحكةً مليئة بالتشفي.

_ عدل... عن أي عدل تتحدث؟ إنكم أنقذتم العوالم الأولى، الثانية، الثالثة، والرابعة، وحتى الخامسة فهل ستستطيعون أن تنقذوا قريبتكم وتجلبوا لها العدل خرجتم خمسه وصرتم اثنان وامامكم عالمان من يا ترى سيسقط في هذا العالم ومن سيسقط في العالم السابع فلا تتحدثون عن العدل لأنكم لن تتذوقوا... ثم وكأنما قرأ ما في قلب مصطفى فأضاف:

_ انشغلوا بأنفسكم أولاً، فكل ما تحاولون فعله هنا لن يغير شيئاً. جميعكم مجرد نزلاء في عوالم لا تعرفونها فاحترموا آداب الضيافة .

شعر مصطفى بشيء غريب، كأن العالم كله يضغط عليه شعر كأن روحه تسحب منه ببطء أخذ يلهث، محاولاً التنفس بصعوبة، حتى تكلم بصوتٍ ضعيف:

_ أشعر أنني أموت... كأن... كأن... روعي تنسحب مني ثم سقط على ركبتيه .

ركع زيدان بجوار مصطفى، يمرر يده على ظهره في حركات دائرية محاولاً أن يساعده على التنفس ثم سأل بصوت بقلق:

_ بماذا تشعر .. ما الذي يحدث لك؟

تحدث مصطفى بصوتٍ مضغوط كأن الكلمات تخرج من تحت جبل:

_ أنني أختنق... أنا أحتضر... روعي تبتعد.

التفت زيدان إلى الكائن فوجد رأسه تدور حول نفسها فصرخ به:

_ دعه، ماذا تفعل له..

رد الكائن في جمود:

_ قلت لكم دخلتم دائرتي والحل الوحيد هو حل الغازي.

صرخ زيدان :

_ وما هي أغازك؟ قولها ودعه.

نظر الكائن إلى مصطفى للحظة فجأة اختفى الألم الذي كان يعتريه، ونهض وكان شيئاً لم يكن. وقتها تحدث بصوتٍ عميق يملأه الغموض:

الغز الأول، أنا سيد العقول أنا المجهول إن كنت تسأل فأنا الجواب وإن كنت تخاف، فأنا السقوط اقترب لتحلني، أو أحلك من كل يقينك. فمن أنا؟

في لحظة تحولت رأسه الزجاجية إلى ساعة رملية، وصدر صوت من داخله:

_ أمامكم دقيقتان.

بدأت حبات الرمل تتساقط بسرعة هائلة، واحدة تلو الأخرى.

قال مصطفى وعيناه تملؤهما الحيرة:

_ ماذا عساه أن يكون؟

أجابت هاتور بقلق:

_ لا أعرف.

_ زيدان:

_ هذا الكائن من عوالم الجن فلا بد أنك تعرفيه وتعرفي الغازه.

عاد الصوت من الكائن مجددًا بنغمة تهديدية:

_ بقي دقيقة واحدة.

قال مصطفى يائساً:

_ لا يوجد وقت، اسرعي لم يبقَ في الرمال إلا الثلث!

صاحت هاتور:

_ لا أعرف... لا أعرف.

صرخ زيدان هو الآخر لكن بغضب:

_ لا بد أن تعرفي، هذا ليس وقت التردد إما أن ننجو جميعاً أو نتناثر في

هذا الظلام للأبد... لم يعد أمامنا وقت.

التفتت إليه بغضب :

_ هذا ليس من شأنك.

رد زيدان عابساً:

_ أفعَل ما أفعله لأجلنا جميعاً، وأنتِ تقولين ليس من شأني؟ هل أنتِ حقاً

تضعين مصلحتك الشخصية فوق مصلحة الجميع؟ هل ذلك لأنك تُصرّين

على نيران الحب، التي اخاف ان تحرقنا، أم لأنك أنانية لا تفكرين إلا في

نفسك؟

صرخ مصطفى محاولاً تهدئة الموقف:

_توقف أيها الأحمق هذا ليس وقت النقاش أو العراك لنحاول التفكير
جميعاً في اللغز!

ثم توجه إلى هاتور قائلاً:

_ أرجوك لم يعد لدينا وقت الرمل يتساقط بسرعة، ونحن في الثواني
الأخيرة.

رفعت رأسها ثم قالت بصوت عالٍ كاسرةً التوتر:

_ الغاريث... أنت الغاريث.. وحش الألغاز.

رجع وجه الكائن من جديد، واختفت الساعة الرملية، ثم قال بصوت
مليء بالأعجاب:

_ هو اللغز الأول... بقي اثنان.

ثم أضاف غير مكترث بما يجري من حوله:

_ اللغز الثاني أنا وحش بلا جسد، أعيش في عقول البشر. أخلق عالماً
من اللاشيء، وأرعب من يصدقني لا أملك أيدي أو أسنان، لكنني أقيدك
دون قيود أكون صغيراً في البداية، ولكن إن غذيتني، أبتلع عالمك
بأسره فمن أنا؟

مرة أخرى تحولت رأسه إلى ساعة رملية، وأصوات حبات الرمل تتساقط بسرعة مذهلة.

قال زيدان وعينيه تتسعان من الشكوك:

كنت تعلمين حل اللغز الأول وصمت.؟

أجابت :

أرجوك... جرحتي بما فيه الكفاية فلتصمت ولا تحدثني عن شيء.
دعني أعيش في حظامي، في الألم الذي يحرقني.

مصطفى محاولاً استعادة تركيزه:

توقف يا زيدان ولنفكر معاً في هذا اللغز انا لن اقولها مجدداً كفاكم من هذا العبث.

زيدان صمت وراقبه بقلق بينما هاتور اشاحت بنظرها بعيداً وكأنها تخشى أن يلتقي بصرها بعينيه. تصاعد التوتر مع كل حبة رمل تتساقط في الساعة الرملية.

ثم و كمن وجد المفتاح وسط المتاهة رفع مصطفى رأسه فجأة وتمتم:

إنه الشك... كوحش غير ملموس، يولد في ذهن الإنسان كفكرة صغيرة، يتسلل ببطء. لكن إن لم يُحتوى فإنه يسيطر على العقل والفكر،

ينسج عوالم من الأوهام والمخاوف، تلك التي قد تكون أقوى من أي وحش حقيقي." .

ثم التفت إلى الغاريث بثقة وقال:

_ الشك الإجابة هي الشك.

رجعت رأس الكائن كما كانت واختفت الساعة الرملية ثم تراجع قليلاً، وكأن شيئاً أدهشه بعدها قال:

اجابه صحيحة يبدو أنني أمام أنكباء... حتى لو كانت الأجابة تأتي متأخرة .

لكن هذا اللغز الأخير سيكون أعقد مما تتخيلون. هل أنتم مستعدون؟

تحولت رأسه إلى كرة بلورية سوداء هذه المرة، وتوهجت بنقاط متألئة بعدها ظهرت الساعة الرملية. خرج الصوت من داخله:

_ أنا الذي لا يرى، لكني أشعر، أنا موجود منذ البدء، ولكني بلا شكل أستطيع أن أهدم أقوى قلاعكم، وأرفع أثقل أوزاركم كلما شاركتني، تضاعفت، وكما أخفيتني، استوطنتك أنا أعيش في الجميع، لكن لا أحد يريد الاعتراف بي... فمن أنا؟

بدأت الساعة الرملية داخل رأسه بالعمل وبدأ الرمل يتساقط بسرعة وكأنه يعاند الزمن.

قال مصطفى، وقد وضع يده على رأسه محاولاً التركيز:

_ ما هذا؟ شيء غير مرئي لكنه ملموس؟... هل يمكن أن يكون الريح؟

ردت هاتور:

_ لا... الريح لها شكل وتأثير واضح هذا شيء أعمق... ربما... الذنب؟

هز زيدان رأسه:

_ لا.. الذنب لا يهدم القلاع... لكنه... يتضاعف إذا شاركته؟

صاح الغاريث وهو يضحك بصوت عالٍ:

_ بقيت ستون ثانية.. هل هذا كل ما لديكم؟

ازداد التوتر بينهم، ونظر مصطفى إلى الساعة الرملية بعصبية:

_ الوقت ينفذ...

هاتور :

_ أحاول التفكير... لكنه ليس بشيء ملموس ... يبدو وكأنه فكرة أو

شعور... ربما الحزن؟

قال زيدان، وهو يضغط قبضتيه محاولاً تهدئة نفسه:

_ الحزن؟... لا... إنه شيء أكثر خطورة... شيء يلتهمك إن لم تواجهه.

صرخ الغاريث: عشرون ثانية!

انخفضت أصواتهم، وبدأ التوتر يزداد. همس مصطفى وكأنه يتحدث إلى نفسه:

_ ما الذي يعيشه الجميع... ولا يعترفون به؟ ما الذي يدمر القلاع ويثقل النفوس؟

بدأ الرمل ينفد وحباته الأخيرة تتساقط. صاحت هاتور فجأة:

_ الخوف... الخوف هو الجواب.

لكن زيدان هز رأسه :

_ لا إنه أعمق من الخوف. هو شيء يولد الخوف ذاته... إنه الندم.

رفع زيدان رأسه نحو الكائن في اللحظة التي ستسقط فيها آخر حبة من الرمل، وقال بصوت عالٍ:

_ الإجابة هي الندم!

توقفت الساعة الرملية، وعم الصمت المكان. عاد الغاريث إلى هيئته الأصلية، ونظر إلى زيدان وهو يقول:

_ أحسنت يا بشري لقد كدت أفوز بروحك، لكنك نجوت في آخر لحظة الندم هو الإجابة، لكنه قد يكون صديقكم المقبل، إن فشلتم في رحلتكم...

بعد أن انتهت الألباز الثلاثة، استقام الغاريث وكأن الهالة التي أحاطت به اشتدت ظلامًا وعمقًا... قال بصوته الرنان:

_ لقد أثبتتم أنفسكم، ونجوتم من قبضتي فكما وعدتكم، لكم الحق بسؤال واحد فقط لكن احذروا... السؤال هو كل ما لديكم فاختاروا بحكمة.

نظر الثلاثة إلى بعضهم البعض يفكرون في السؤال الذي سيخرجونه. مصطفى كان يشعر بقلق عميق يجتاحه تردد في داخله سؤال واحد:

_ ما سر هاتور؟ وماذا تخفي شيئاً عنا؟... لكنه لم يجروء على النطق به. بدا أن شيئاً في قلبه يرفض خيانتها بهذه الطريقة.

رفع صوته مبعداً تلك الأفكار :

_ أين نجد الغمرانيين؟

أطلق الغاريث ضحكة ساخرة، ثم أوماً برأسه كمن يعرف الإجابة مسبقاً:

_ الغمرايون... ذلك الجنس الذي لا يترك أثرًا إلا حيث تكون الأرض على شفا الضعف والانهيار. لقد غادروا مدينتهم القديمة التي كنتم فيها للتو بسبب ضعف اللب لهذا قد استوطنوا مدينة جديدة.

ثم أشار بأطرافه الشفافة إلى أحد الأنفاق وقال:

_ بعد عدت امتاز سيظهر مفترق اسلكوا النفق الثاني إلى اليسار، وستصلون إلى أطلال مكان كانوا قد هجروه هو أيضًا. هناك ستجدون علامات تدلكم على اتجاههم... لكن احذروا... الغمرايون لا يثقون بالبشر، ولا يحبون الزوار غير المدعويين. قد تندمون على ملاحظتهم.

ثم، وكأنه يتلاعب بمصطفى، نظر إليه مباشرة بعينيه البلوريتين وقال بابتسامة مأكرة:

_ أما عن سؤالك الحقيقي، الذي كتمته في قلبك ولم تسأله، فلن أجيب عنه لأن الإجابة ليست عندي... بل في داخلك أنت.

قبل أن يتمكن أحد من الرد، بدأ جسد الغاريث يزوب كالدخان، وانطفأت هالته تدريجيًا حتى اختفى تمامًا، تاركًا وراءه صمتًا خانقًا وحيرة.

مصطفى تجنب النظر إلى هاتور، لكنه شعر بثقل السؤال الذي لم ينطق به، وكان الغاريث قد أثاره في داخله بمهارة شريرة.

الفصل الثامن والعشرون: دم المختار خلاص غياهبيا

بعد ساعات من السير في الطريق الذي وصفة وحش الألغاز.. بدأت الأجواء تتغير حولهم الجدران الباردة كانت تضيء بوهج أحمر خافت ينبعث من الكريستالات الصغيرة المغروسة فيها، على نور هذا الوهج خرج أمامهم رجل مهيب، طويل القامة بجسد أزرق متوهج بخطوط حمراء متشابكة كأنها شرايين تحمل طاقة الحياة. كانت عيناه ايضاً تتوهجان بلون ذهبي تحدث بصوت عميق وقوي:

_ كيف تجاوزتم حدودكم أيها البشر ودخلتم عالمنا؟

تبادل الثلاثة نظرات حذرة قبل أن تجيب هاتور:

_ نحن لا نسعى للعداء، نحن هنا لطلب المساعدة.

اقترب الكائن بخطوات ثقيلة، وصوته يزداد حدة:

انا لا اتكلم عنك يا أميرة انا اتكلم عن البشر ... البشر لا يجلبون إلا الخراب.

هاتور:

_ تعلم من أنا ورغم هذا توقفتني.

اجاب:

_ انا أركاديوس حارس هذا المعبر وكنتُ اتمنى أن أوقفك لكن لست من يتخذ القرار هنا... سأخذكم إلى قائدنا، لكنه لن يكون متسامحاً إن وجدكم خطراً على مدينتنا.

هاتور:

_ شكراً لك أركاديوس نحن ممتنون.

اردف بسخرية:

_ لا اطلب امتنانك يا اميرة، فقد جلبتي البشر الى عالمنا.

قادم عبر الأنفاق التي بدأت تتسع تدريجياً حتى وصلوا إلى مدينة مخفية تفيض بالطاقة. كانت المنازل مبنية من الكريستالات الحية، تتوهج بألوان تتغير مع مرور الوقت. كان شعب الغمرانيين يتحركون في كل اتجاه، أجسادهم الزرقاء تشع بهدوء، بينما الخطوط الحمراء على جلودهم تنبض مثل دقات قلب جماعي.

لكن الأجواء تغيرت فور رؤيتهم للبشر. توقف الغمرانيون عن الحركة، وهم يحدقون بهم بعيون متوهجة تحمل مزيجاً من الخوف والغضب يهتمون فيما بينهم :

_ بشر؟ هنا؟ كيف سمحوا لهم بالدخول؟

_ لقد انتقلنا لتونا من الخطر فيأتي الينا على الأقدام؟

_ لماذا لم يُغلق المعبر؟ البشر هم سبب ضعف اللب..

تجاهل أركاديوس تلك الهمسات، لكنه نظر بحدة إلى الثلاثة وقال:

_ لا تتحدثوا، ولا تردوا. لن يحميكم شيء إن أثارتم غضبهم.

وصلوا إلى مبنى ضخّم، مصنوعاً من كريستالات شفافة تتوهج باللون الأحمر القاني. عند مدخله وقف قائد الغمرانيين، كان أطول قامة من أركاديوس، بجسد أزرق يفيض بالطاقة، وخطوطه الحمراء تشع بشكل مستمر مثل باقي شعبه يحمل عصا طويلة من الكريستال، وعيناه تشعان بقوة تجعل النظر فيهما صعباً.

قال أركاديوس:

_ سيدي زارون، هؤلاء البشر جاؤوا بطلب من ابنة الملك تهان وأعتقد أنهم يبحثون عن شيء لا يمكننا تجاهله.

نظر زارون إلى الثلاثة نظرة طويلة وصمت للحظة، ثم قال بنبرة متحفظة:

_ أنتم تبحثون عن العالم السابع، أليس كذلك؟

سأل مصطفى متعجباً: _ وكيف علمت؟؟

اردف زارون: كل ما يحدث في العوالم نعلمه في العالم السادس، لأن هنا قلب عوالم الجن.

ثم ابتسم ابتسامة لم تخلو من التهديد وقال:

_العالم السادس ليس مجرد مكان. إنه سر اللب و قلب العوالم السبعة. ضعفه بدأ من البشر أنفسهم، من حروبكم وطمعكم فعالم الجن يتأثر من عالم البشر والآن جنتم تطلبون المساعدة فلماذا نساعدكم بينما أنتم السبب في هذا الدمار؟

اجاب مصطفى :

_أنت لم تمنحنا الفرصة لتعلم إن كنا مصلحون أو مفسدون.

ضحك زارون بمرارة وقال:

_فرصة... لماذا امنحكم فرصة وأنتم اتيتم لطلب المستحيل. هل باب العالم السابع ومفتاحه بهذه السهولة... إن كنتم تعتقدون ذلك فأنتم مخطئون .. تظنون أن اللب مجرد طاقة يمكن التلاعب بها.. لا...إنه الحياة... إنه روح هذه العوالم و ضعفه يعني نهايتها .. ولذلك هنا اللب وحده يملك مفتاح الوصول للعالم السابع و لن يسلمكم إياه ..

حاولت هاتور التدخل:

_اللب تعني ان قلب غياھبيا.

ارداف زارون مقاطعاً:

_ نعم انه حي..

قال زيدان:

_ نحن مستعدون للي اي شيء كي نتجاوز هذا العالم..

تردد زارون ثم قال بصرامة:

_ لكنكم بشر... وشعبي لن يقبل بوجودكم هنا.

سأل زيدان بقلق:

_ وماذا سنفعل؟

اجاب زارون:

_ سأسمح لكم بمقابلة الملك، ولكن عليكم أن تثبتوا أنكم لا تحملون

الخراب... اتبعوني.

سار زارون امامهم وأركاديوس خلفهم، بينما عيون سكان المدينة كانت

تراقبهم والهمسات تزداد اكثر:

_ لماذا يسمح لهم القائد زارون بالبقاء؟

_ هل يثق بهم؟

_البشر دائماً يجلبون الموت معهم.

همس زيدان لمصطفى:

_ لا أشعر بالراحة هنا... يبدو أنهم يعتبروننا أعداء.

رد مصطفى:

_ يبدو... من اخبرك تلك المعلومة اهي فطنتك؟؟ ارحمني مما انا فيه منذ دخولنا هذا العالم والجميع هنا يقول أنهم يكرهون البشر ثم تأتي وتقول يبدو..

نظر زيدان اليه بامتعاض ثم قال :

لن احثك في شيء...ثم وجه كلامه الى زوران سائلا:

_ الى اين تقودنا الم يكن ملككم في الكريستاله الضخمة اقصد البيت الذي كنا امامة .

زوران باشمنزاز:

_ لا ... ولا تسأل عن شيء.

ساروا خلفه في دهاليز مدينة العمرانيين، بدأ زارون يقودهم عبر شوارع ضيقة مليئة بالكريستال المتلألئ. كان الضوء ينبعث من كل زاوية، محدثاً انعكاسات ساحرة على الجدران المضيئة. الشوارع كانت

تزدحم بالغمرائين، الذين كانوا يسرون بصمت، أجسادهم الزرقاء تتناغم مع خطوطهم الحمراء المتوهجة. بدا وكأنهم يتحركون مع التيار، لا يلتفتون إلا على وجوه الغرباء الذين اقتحموا عالمهم.

وصلوا أخيراً إلى قاعة ضخمة، حيث جدرانها كانت مغطاة بالكامل بأحجار كريستالية ناعمة ومتوهجة في قلبها كان هناك عرش ضخم مبني من نفس البلورات، عليه يجلس الملك...

قال زارون بصوت عميق:

_ هذا هو الملك أزغاريس.

ثم انحنى قليلاً امام الملك وقال:

_ مولاي البشر وابنة تهان قد حضروا اخيراً.

نظر الملك إليهم بنظرة عميقة ثم تحدث بنبرة حازمة:

البشر.. أنتم هنا بسبب طموحاتكم الزائفة، تدفعكم رغبتكم في امتلاك مفتاح باب العالم السابع .

قال مصطفى :

_ نحن لا نبحث عن مفاتيح فقط، نحن نبحث عن توازن. نحن هنا من أجل عالمنا... ومن أجل العوالم كلها.

ابتسم الملك ابتسامة باهتة، لكنها كانت تحمل خلفها عاصفة من الغضب المكبوت ارتفعت عيناه الذهبيتان :

_توازن؟ أنتم لا تدركون معنى الكلمة... أنتم البشر بعقولكم الصغيرة تظنون أن العوالم مستقلة، لكن ما تفعلونه في أرضكم يترد صداه هنا، في هذا المكان. كل خراب في قلوبكم، كل طمع يحرك أفعالكم، يتحول عندنا إلى شقٍ جديد في قلب غياھيبا.

وقف من مكانه ثم اقترب خطوة، وكأن الأرض نفسها انكشفت تحت ثقله بعدها تابع:

_حين تحرقون أرضكم، يختنق هواؤنا. حين تريقون دماء بعضكم، يصرخ لبّ هذا العالم. عقولكم تصنع آلاتكم، وآلاتكم تنقب جدار العوالم. أنتم لم تدخلوا عالمي اليوم فقط، أنتم تسكنون جراحه منذ قرون.

حاول زيدان أن يتحدث، لكن صوته انطفأ حين التفت الملك نحوه بحدة، ثم نظر إلى الثلاثة جميعاً وقال بصرامة:

_قلوبكم تحمل الخراب..

خطت هاتور الى الامام قبضتها مشدودتان ووجهها يشتعل بالغضب ثم هتفت بصوت مدوّ:

_ لا يحق لك أن تصف بنت ملك العوالم بهذا الوصف لقد تجاوزت كل حدودك، أيها الملك اللعوب.

ارتجت القاعة من صرخة أزغاريس:

تجروين أن تصفيني باللعوب... أنا ملك العالم السادس، يقال لي هذا القول؟

رفعت ذقنها بشموخ ويدها امتدت نحو صدرها كأنها تحمي شرفها:

_ وأنا أميرة العالم السابع، ابنة ملك العوالم وسيدك أنت، ولن أقبل أن أهان أمامك لقد قلت إن قلبي يحمل الخراب... وأنا أقول لك الآن ما حمل قلبي خراباً قط بل ملكك المتصدع هو الذي يقطر عتمة..

تجمد لحظة كأن سهم كلماتها اخترق صدره، ثم لوح بيده بعصبية، محاولاً تهدئة الموقف:

_ كنت أقصد البشريين... لا أنت.

هاتور رفعت يدها في وجهه بصرامة :

_ كفك تبريرات واهية نظرت إلي والكلمة قد خرجت ولن تُمحي..

التفت الملك أزغاريس ببطء نحو زوران :

_ ماذا جلبت إلي يا زوران؟

انحنى زوران بخوف بينما العرق يتصبب من جبينه، وصوته يرتجف:

_ سامحني يا مولاي... لم أعلم أن الأمر سينتهي إلى هذا الحد.

هاتور دفعت كلمات زوران جانباً وهي تصرخ بحدة:

_ لا تتحدث إليه... تحدث إليّ أنا... أنا من تريد، وأنا من تطلب. أريد مفتاح العالم السادس، اعتبره طلباً، اعتبره أمراً، اعتبره ما شئت... لكنني سأحصل على المفتاح.

ارتسمت على وجه الملك ابتسامة ساخرة، ثم رفع يده فجأة وأشار إليها بإصبعه كالسهم:

_ أنا لا أؤخذ بالتهديد، يا ابنة العوالم. ولولا أنك ابنة تهان، لفصلتُ رأسك عن كتفيك الآن... وعلقتها على بوابة قصري لتكون عبرة لمن يجروا على مخاطبتي بهذا الصلف. ولكن... والدك وحده من يحجب عنك عقابي.

ثم تابع بصوت أشد قسوة:

إن تريدني مفتاح العالم السادس؟... المفتاح لن يُمنح إلا لمن يُصلح قلبه... لمن يعيد نبضه إلى التوازن إذا أردتم المفتاح حقاً... فانزلوا إلى

أعماق غياهيبها أصلحوا ما أفسدتم، طهّروا القلوب التي دنّستها
خطاياكم أو استعدوا لتكونوا جزءاً من ظلام هذا العالم إلى أبد الأبدین.

_ قال مصطفى:

نحن مستعدون لأي شيء... كي نصل إلى العالم السابع ولكن... كيف
نُصلح اللب... أو القلب الذي تتحدث عنه؟

التفت الملك نحوه، ثم أجاب بصوت بارد :

_ إصلاحه لا يكون إلا على يد المختار.

هاتور:

_ ومن هذا المختار؟ وماذا يكون؟

جلس الملك أزغاريس فوق عرشه مرة ثانية وضرب الأرض بعصاه
الثقيلة فانطفت أضواء المنبثة من الكريستال واشتعلت النقوش على
الجدران كأنها تستيقظ من سبات عميق. قال بصوت يخرج من أعماق
الأرض:

منذ الأزل انكسر قلب غياهيبها بسبب أفعال البشر جرح أبدي لا يندمل،
ومنذ ذلك اليوم صار قلب العالم السادس يتغذى على الدماء، فدمه نرف

في العوالم وعوضه لا يكون إلا من دم المختار. كل جني من الغمرانيين يولد بخطوط حمراء على جسده، تلك الخطوط هي لعنة الدم التي تربط أرواحنا باللب، لكن مرة كل ألف عام يولد استثناء، يولد واحد بخطوط ذهبية، أو تبدأ خطوطه حمراء ثم تتحول مع السنين إلى ذهب متوهج، وهذا هو المختار. روحه ليست روحًا واحدة مثلنا، بل روح بألف روح، ودمه ليس كدمائنا بل دم ذهبي يشبه النور السائل، وجوده وحده يكبح جنون القلب ويهدئ غضبه ويخمد تأثير البشر والعوالم الأخرى على غياهيبيا. كلما خطا المختار نحو نضجه، بدأت خطوطه في التوهج ليلاً، جسده يقاوم ظلام اللب، لا يضعف ولا يمرض مثلنا. وعندما يكتمل نموه يُقاد إلى قلب غياهيبيا نفسه، فإن قدّم دمه طوعاً هدأ اللب، وانطفأت عواصفه، وتنفس العالم السادس قرناً جديداً من البقاء، أما إذا رفض قدره وتمرد، فإن الذهب يتحول إلى سم أسود، ويثور القلب غضباً، فلا يكفي دم آلاف الأرواح لتهدنته، وعندها يتلع اللب العوالم واحداً تلو الآخر، يبدأ بغياهيبيا ولا يتوقف حتى يصل إلى عالم البشر. هكذا عاش الغمرانيون في دورات أبدية، بين ميلاد مختار جديد وموته قريباً، وكلما سال دمه الذهبي على الشقوق هدأ القلب الممزق، ونجت العوالم... حتى يحين موعد المختار القادم.

قال زيدان:

قصة جيدة ولكن لم نعلم منها ماذا سنفعل :

اجاب الملك:

_دورة المختار الجديدة بدأت منذ خمس سنوات فكان من المفترض أن يظهر المختار الجديد وقتها ولكنه امتنع من اظهار نفسه والكشف عن هويته، مهتمكم ان اردتم المفتاح ايجاده واقناعه بتقديم دمه للقب..

خرج الجميع من القاعة، والأفكار تتزاحم في رؤوسهم. كيف يمكنهم البحث عن شخص قد يكون لم يولد بعد؟ وكيف يقتعون أحدًا بالتضحية بحياته لأجل عالم بالكاد يعرفونه؟ بدت المهمة مستحيلة، لكنهم لم يكن لديهم خيار.

ثبت زارون فجأة، ونادى بصوت جهوري على جنديين كانا يقفان على مقربة:

_زيك... زاك.. تقدموا.

اتى الجنديان على الفور، متشابهي الملامح بشكل مدهش، وكأنهما انعكاس لبعضهما البعض. كانا طويلين، بأجساد صلبة كالصخور، لكن عيونهما تحمل بريقًا من الطرافة التي جعلت من الصعب أخذ جديتهما بعين الاعتبار.

قال زارون مشيرًا إليهما:

_ هذان زيك وزاك، الأخوان الذكيان، أو كما أحب أن أسميهما الأسدان. يفهمان كل شيء عن عالم غياهييا، وسيكونان مرشدين لكم هنا. لا تتخدعوا بمظهرهما قد يبدوان مهرجين، لكن لا أحد يعرف خبايا هذا الشعب مثلهما.

نظر مصطفى إلى زيك وزاك بشيء من الشك، بينما انحنى الأخوان بانسجام مبالغ فيه وقالوا بصوت واحد:

_ سنكون عيونكم وآذانكم... وربما عضلاتكم، إن اجتمعتم.. ثم أضاف زاك مبتسماً:

_ لكن خدماتنا ليست مجانية... نحب الطعام الجيد.

هموا على اصطحابهم إلى السوق الكبير حتى يتسنى لهم العثور على المختار كان السوق يعج بالحياة وكانت الأكشاك مصفوفة بعناية على جانبي الشارع، وكل بائع ينادي بأعلى صوته على بضاعته.

_ كرسناتلات الأحلام... تبعث رؤى المستقبل في نومك... صاح أحد البائعين وهو يرفع بلورة صغيرة مشعة.

_ رداعات الخلود ارتديها ولن تشعر بالتعب أبداً... صرخت امرأة أخرى وهي تعرض عباءات مزينة بخيوط فضية.

_ عصا القوة العظمى ضربة واحدة تكسر الصخور.. قال رجل عجوز
بنبرة مغرية وهو يلوح بعصا ضخمة.

كان السوق مليئاً بكل ما هو غريب وغير مألوف: أكواب تصدر
موسيقى عند الشرب، حقائب تتغير ألوانها حسب مزاج حاملها،
وأساور تبعث دفناً في البرد ونسيماً في الحر.

وقف زيك وزاك أمام أحد الأكشاك المليئة بقطع الكريستال التي تشبه
قطع الحلوى. التقط زيك واحدة وقال بجديّة مصطنعة:

هذا يا أصدقائي ليس مجرد كريستال. إنه كريستال الصبر. كلما انتظرت
وأنت تحمل هذه القطعة، ستشعر أن الزمن يمر أسرع.

رد زيك مازحاً:

_ وهو أيضاً يجعل الطعام طعمه أفضل، أو هكذا قال لي البائع قبل أن
يخدعني.

ضحك الجميع قليلاً، لكن الجو كان مشحوناً بالتوتر. وبينما كانوا
يتنقلون بين الأكشاك، تساءل مصطفى بصوت عالٍ:

_ كيف نجد المختار في هذا العالم المزدهم؟ كيف نعرفه أصلاً؟"

ابتسم زاك وقال بسخرية:

_ الحل بسيط نسأل كل شخص نراه هل لديك خطوط ذهبية... وإن لم يكن لديه نسأله هل تعرف أحداً لديه؟

تابع زيك بخبث محمل يلاستهزاء:

_ أو ربما نسأل من نقابله هل أنت المختار؟ إذا قال لا ننتقل لغيره.

توقف زيدان مرة واحدة أمام أحد الأكشاك التي تعرض خناجر صغيرة لامعة، كل واحد منها محفور بنقوش غريبة تبدو وكأنها تروي قصة قديمة. كان أحد الخناجر يتميز بمقبض أسود تتخلله خطوط ذهبية تتوهج بخفوت مع حركة الضوء.

حدق زيدان بالخنجر بإعجاب وقال:

_ هذا يبدو رائعاً... كم سعره؟

رد البائع :

_ احسنت الاختيار وثمانها أربع بانكور فقط... هي قطعة نادرة جداً، صنعتها أيدي أمهر الحرفيين.

تراجع زيدان قليلاً، ورفع حاجبيه بدهشة:

_ أربع بانكور؟ ومن أين لي بهذا؟

اقترب زيڪ وأخرج أربعة عملات لامعة من جيبه ناوله إياها قائلاً:
_ سأدفع لك ولكن تذكر اتفقنا أن نساعدكم هنا لا أن نصبح بنكاً متنقلاً.

تناول زيدان العملات بابتسامة محرّجة وقال :

_ اشكرّك ولا تقلق سأردها لك... ربما.

دفع زيدان النقود للبائع، الذي ناوله الخنجر: اختيار موفق، يا سيدي.
قد يكون هذا السلاح صغيراً، لكنه يستطيع أن يوقف أكثر المخاطر
فتكاً..

تدخل زاك بابتسامة عريضة:

_ أوه سلاح سحري الآن؟ لا تنس، أن تشكر زيڪ عندما تنقذ حياتك
بواسطته.

قلب زيدان الخنجر بين يديه يتفحصه باهتمام.

ليكمل زيڪ وهو يرفع يديه:

هذا آخر قرض مني. المرة القادمة عليكم تدبير أموركم بأنفسكم... أو بيع
شيء من أغراضكم!

اكملوا التجول في السوق يفتشون بين الدكاكين والطرق المكنّظة،
يسألون الباعة والمارة عن أي خبر يتعلق بالمختار. لم يكتفوا بالسؤال،

بل كانوا ينزعون الأغطية عن وجوه الناس ليتأكدوا من ملامحهم، فلا يتركون وجهًا مستترًا إلا كشفوه. بعض التجار حاول الاعتراض أو الاحتجاج، لكن الأخوين كانا يردان بحزم:

_ هذا أمر السلطان... ومن يعترض كأنه يعترض على إرادته.

وهكذا سكت الجميع تحت رهبة الاسم، واكتفى كثيرون بخفض رؤوسهم خشية أن يقع عليهم الشك.

كان الجو في السوق مشحونًا بالتوتر يتخلله صمت ثقيل كلما مرّ زيك وزاك بين الصفوف.

وبينما يواصلان بحثهما الحادّ، لم يغب عن أعينهما أن الزمن يفرّ من بين أيديهم، وأن صدى كلمات الملك ما زال يلاحقهم:

_ ابحثوا عن المختار... فالوقت ينفد.

خرجوا من السوق حتى اصطدموا بمشهد يقطع القلب الغمرانيون في الطرقات يجرون أجساد موتاهم بأذرع مرتجفة، بعضهم ينشج بصمت، وبعضهم يرفع بصره إلى السماء، يبحث عن معنى وسط الفاجعة. كانت رائحة الموت تملأ الهواء، والهمسات المدعورة تنتشر بينهم كما تنتشر النار في هشيم يابس.

سألت هاتور أحد الغمرانيين العجائز الذين يتأملون المشهد:

_ ما هذا؟ لماذا يموت شعبكم هكذا؟

تنهد الرجل بعمق وأجاب بصوت متقطع:

_ لا نعلم... كنا نعيش آلاف السنين بلا موت، بلا مرض لكن الآن... لا أحد منا سالم فجأة يسقط الغمراني ميتاً، بلا سابق إنذار البعض يقول إنه ضعف قلب غياهييا... والبعض الآخر يظن أنه غضب الآلهة... كان صوته مليئاً بالخوف، وكأن كل كلمة كانت تقتطع من روحه قطعة

تقدم زيدان بخطوات بطيئة نحو زيد وقال له وهو يشير إلى الجثث:

_ وأنت يا زيد ما تفسيرك لما يحدث؟

اجاب زيد ببرود يخفي سخريته :

_ ربما أكلوا جميعاً من كريستالات الحياة المقلدة التي تباع في السوق...دائماً هناك تخفيضات على الأشياء المشبوهة.

انفجر زاك في ضحكة مكتومة قبل أن يدفع زيد بكتفه قائلاً:

_ توقف عن هذا الهراء، إنهم يعانون، وأنت تحاول صنع كوميديا من المأساة!

رد زيد وهو يرفع يديه دفاعاً عن نفسه:

_ على الأقل أضحك قلوبهم قبل أن تتوقف تمامًا!

نظرت هاتور إليهم بوجه متهجم ثم التفتت إلى الرجل المسن مجددا
وتابعت :

_ كم عدد الذين يموتون كل يوم؟

أجاب الرجل بنبرة متعبة:

_ أعدادنا تتناقص سريعًا وكل يوم يمر يأخذ معه أرواحًا أكثر من ذي
قبل وإذا لم يتغير شيء من هذا قريبًا... لن يبقى أحد ليحمل ذكرى هذا
العالم.

مصطفى:

_ علينا الإسراع. إن كان قلب غياهيبا يطلب المختار ليهدأ، فعلينا
العثور عليه قبل أن يفقد هذا العالم أنفاسه الأخيرة.

زيدان:

_ نريد أن نستريح ونأكل شيئًا الرحلة هذه باتت تُثقل كاهلنا.

زاك:

إن أردتم ان تستريحوا يمكننا أن نساعدكم ولكن عليكم أن تصبجوا
مثلنا، على الأقل شكليًا...نستر وجوهكم... وماذا ايضًا!!!

نظر زيك إلى زاك بتعبير يشوبه التردد:

_ هل فقدت عقلك؟ إذا غطوا وجوههم ورافقونا، ستظن والدتنا أنهم من العُمرانيين. لكن إن اكتشفت حقيقتهم، ستغضب كثيرًا.

رد زاك بثقة:

_ والدتنا لن تعرف وحتى لو كشفتهم قلبها رحيم، وستوافق على استضافتهم.

اختفى زاك فجأة، وعاد بعد بضع دقائق حاملاً ملابس غريبة مصنوعة من خامات لامعة:

_ البسوا هذه الأغطية، ولن يشك أحد في أمركم.

نظر الجميع إلى الملابس بارتباك، لكن لم يكن لديهم خيار آخر...

بعدها قادهم زيك وزاك نحو منزلهما طرق زاك الباب بحذر.. بعد لحظات فتحت امرأة زرقاء بخطوط حمراء سمينه الجسد مهيبة المظهر، ذات وجه ممتلئ وحنون احتضنت زيك وزاك بقوة، وقالت بمودة:

_ أخيرًا عدتما..

ثم توقفت مندهشة عندما رأت الثلاثة يقفون خلفهما بوجوه مغطاة، قالت وهي تحديق فيهما بريية:

_ من هؤلاء؟ ولماذا يخفون وجوههم؟

رد زيك بتوتر :

_ هم اصدقاء الملك.

_ ولماذا يغطون وجوههم؟؟

اجاب زاك:

_ إنهم يعانون من حُمى النَجَاميس...

_ حمى النجاميس؟؟

تابع زاك:

_ أجل مرض خفيف يُصيب العُمرانيين عندما يتعرضون لجرعة زائدة من ضوء الكريستالات. لا شيء خطير، فقط يحتاجون إلى الراحة في الظل حتى يهدأ تأثيره.

رفعت الأم حاجبيها بحذر، ونظرت إليهم بامعان ثم قالت:

_ حسنًا... طالما أنه ليس معديًا، ادخلوا واستريحوا. سأعد شيئًا يُعيد لهم قوتهم.

غمز زاك لزيك بخفة وهمس:

مرض؟ حُمى النَّجَامِيس؟ منذ متى أصبحت طبيبًا؟

رد زيك بسخرية:

_ منذ أن قررت أنقذ رقبتك ورقابهم!

المنزل كان البسيط، جدرانه مغطاة بمعدن الأورنيكس اللامع، مما يضفي عليه لمسة من الغموض والأناقة في ذات الوقت. الضوء الذي ينساب من النوافذ الشفافة ينعكس على الأرضية، ليخلق ظلالاً تتحرك مع كل خطوة. الأثاثات متواضعة، لكن مريحة مع أغطية ناعمة تغطي المقاعد في زاوية الغرفة طاولة طويلة من الحجر الأسود، جلس الجميع بصمت، مراقبين بعضهم البعض.

لتدخل الأم بعد قليل تحمل طبقًا ضخماً من الطعام المتنوع. كان الطعام يعكس التنوع الثقافي لعالم غياهييا، حيث تنبعث منه روائح غريبة، بعض الأطعمة تحتوي على حشرات لامعة، بينما البعض الآخر عبارة عن خضروات غريبة الشكل.

وضعت الطبق على الطاولة بحركة حائية، وابتسمت بوجههم وهي تقول بصوت هادئ:

_ تناولوا الطعام، إنه مُعد خصيصاً لكم فلا تخلجوا.

نظر زيدان إلى الطبق أمامه، حيث كانت الحشرات تتحرك داخله ببطء مثير للاشمئزاز. قال بتردد وهو يحاول كتم شعوره:

_ عمتي أم زيك وزاك... لست جائعًا، ما هذا؟ إنه... يتحرك!

تغيرت ملامحها على الفور، وتحولت من الحنان إلى الغضب. رمقت زيدان بنظرة حادة وقالت بلهجة مخيفة:

_ آخر من رفض طعامي، صنعت منه حساءً بيدي، ولن يمنعي أحد إن اضطررت لذلك مجددًا. كُـل الآن، وإلا ستصبح أنت الطبق الرئيسي الليلة.

شحب وجه زيدان، وابتلع ريقه بصعوبة. رفع الغطاء عن وجهه بحذر، وكأن كل حركة تكلفه شجاعة مضاعفة، وقطف جزءًا صغيرًا من الطعام بأطراف أصابعه. مضغه ببطء، بينما كانت عينا تالورا تراقبانه بلا رحمة.

حينها، التفتت الأم نحو الآخرين وقالت بحدة:

_ ماذا تنتظرون؟ كلوا لن يخرج أحد من هنا قبل أن ينتهي طبقه.

بدأ الجميع يأكلون على مضض، في حين كان زيك وزاك يضحكان بشراهة ويأكلان دون تردد. إعادة الأم نظرها إلى زيدان بعدما رأته يُجبر نفسه على البلع، وابتسمت فجأة بحنان وهي تقول:

_ أوه، هكذا الأولاد يجبرونك على إخراج أسوأ ما في داخلك ليأكلوا!
إنها طريقتهم، دائماً يدفعونك للجنون ليصبحوا راضين.

فجأة لم يتحمل زيدان وقفز عن كرسيه وركض إلى إحدى زوايا
الغرفة حيث وجد علبة من الكريستال. انحنى فوقها وبدأ يتقيأ بصوت
مسموع.

راقبته بصمت لثوانٍ، ثم تقدمت نحوه بخطوات بطيئة. مدت يدها
ورفعت الغطاء عن وجهه دون تردد. حدقت في ملامحه لفترة قبل أن
تقول بصدمة:

_ بشري!

نظرت إلى زيك وراك بنظرة تجمع بين الحزن والغضب، وصاحت
بصوت مخنوق:

_ هل هذه تربيتي لكم؟ تضحكان على والدتكما وتخفيان بشريين؟

حاول زيك التدخل قائلاً:

_ أمي، أنت لا تفهمين...

قاطعت حديثه:

_ ما الذي لا أفهمه... أدخلتم البشر إلى منزلي؟ البشر الذين كانوا سبب دمار عالمننا؟ ومن هذه أشارت إلى هاتور فكشفت عن وجهها وقالت بتردد: جنية من العالم السابع؟

أخذت الأم نفسًا مرتجفًا، كأن صدرها يختنق بالوجع، واغرورقت عيناها بالدموع وهي تقول بصوت مبحوح:

_ ما كنت يومًا مستعدة لهذه الحياة وحدي... لكن القدر لم يسألني رحل ابيكما بارفوس عني سريعًا، وترك لي وصية من لحم ودم، أنتما... كنتما الشيء الوحيد الذي منعي من الانكسار تمامًا. كلما نظرت في عيونكما شعرت وكأنني أتشبث بما تبقى لي من روح.

توقفت لحظة تحاول كبج دموعها ثم تابعت بمرارة:

_ عملت حتى نزفت يداي، كابدت الجوع والصمت والوحدة، لكن صوت ضحكاتكما كان يردني من حافة السقوط. لم يكن أمامي خيار سوى أن أبقىكما على قيد الأمل، حتى لو مت من الداخل ألف مرة.

اقتربت من زيك، رفعت كفها المرتجفة إلى وجهه:

_ أنت... كنت أكبر من عمرك دائمًا. تحملت ما لا يُحتمل كنت جدارًا أسندت ظهري إليه وأنا التي كان يجب أن أكون سنداك كنت أخشى أن

أنظر في عينيك لأنني كنت أرى رجلاً صغيراً يكتم خوفه كي لا يزيد خوفي.

ثم استدارت نحو زاك وتابعت:

_وأنت... كنت تحاول أن تضحك على الموت، أن تجعلني أصدق أن الغد أجمل مما هو عليه. كم مرة ضحكت من قلبٍ محطم فقط لأنني لم أتحمّل أن أطفئ نورك؟ لم أكن أقوى أم كما كنت تقول... كنت أمًا تترنّح على جراحها وتختبئ وراء ابتسامتك.

تراجعت إلى الخلف خطوة:

_كبرتُما وأصبحتما رجلاً يحتمي الملك بظلّ سيوفكما. لكنني... الآن حين رأيت البشر تحت سقف بيتي شعرت وكأن كل تضحياتي تحولت رماداً هؤلاء الذين مزّقوا عالمنا، الذين سرقوا كل شيء من بين يدي، كيف استطعنا إدخالهم إلى هنا؟ ألا يكفي ما ذقته بسبب ضعف قلب غياهييا؟....

اقترب زاك منها وقال بهمس :

_أمي... سامحينا لم نرد أن نفتح جرحك من جديد كل ما فعلناه أننا نحاول أن نعيد شيئاً من التوازن لعالمنا... نحن لا نشق بهم، لكننا مضطرون والقائد زارون هو من وضعنا في هذه المهمة

تنفس زيك ببطء، ثم نظر إليها بعينين ترتجفان من الدموع المكبوتة
وقال :

_كنت دائماً تقولين إننا قوتك، لكن الحقيقة... أنك أنتِ قوتنا. لولاكِ ما
كنا شيئاً فلا تخافي يا أمي... نحن لن نخذلك أبداً.

عانتقتهما الأم فجأة، كأنها تريد أن تطمس العالم كله بين ذراعيها
وتبقيهما معها وحدها ثم بدأت تبعد ذراعيها ببطء وقالت :

_إن كان ما تقولانه حقاً... فأنا أثق بكما ثم التفتت إلى زيدان
ومصطفى وتابعت:

_استريحوا هذه الليلة ولتعلموا... أنني سأبقى عيناً لا تنام.

بعد فترة وجيزة غرق المنزل في سكون غريب، إلا أن هاتور ظلت
مستيقظة، تحديق في السقف وكأنها تفكر في شيء بعيد.

في الجهة الأخرى، كان زيدان قد غط في نوم مضطرب. فجأة، وجد
نفسه مرة أخرى في ذلك الحلم المزعج. كانت النداهة ، تقف أمامه في
الظلام، شعرها يتمواج كسائل أسود، وعيناها كشمعتين مضاءتين بنور
شريير. اقتربت منه بخطوات بطيئة وهي تهمس:

_ زيدان... تعالَ إلى جدتك ثرين ألا تريد العناق... وقبل أن يدرك ما يحدث، هجمت عليه بشراسة، وأحكمت قبضتها على رقبته، كانت أصابعها باردة كالموت، وضغطها يزداد صرخ وهو يحاول التحرر منها:

_ اتركيني! اتركيني!

استيقظ فجأة وهو يصرخ، يمسك رقبته بقوة، وكأن أثر قبضتها ما زال يلتف حوله هرع مصطفى إليه بسرعة وجلس بجانبه ثم سأله بقلق:

_ زيدان ما بك؟ ما الذي حدث؟

ما زال لهائه يُسمع وهو يجيب:

_ لقد حلمتُ بها... مجددًا... النداهة... في شكل جدتي ثرين لم تعد تتركني منذ أن نادت علي. كأنها تطاردني حتى في نومي.
مصطفى:

_ لا تقلق يا صديقي كل هذا سينتهي فلم يتبق لنا سوى هذا العالم ونصل إلى مرادنا ولن تراها مجددًا.. سنعود إلى العاقير وسنعيش كما كنا في سكينه.

ثم أضاف بابتسامة مطمئنة:

_ تخيل معي، قريتنا تعود للحياة، الزوار يتدفقون من كل البلدان، ونصبح مركزًا للتجارة مرة أخرى. الكتان للشام، التوابل للعالم... سنزدهر، وستصبح كل هذه الكوابيس مجرد ذكرى.

هدأت أنفاس زيدان قليلاً وهو يتخيل المشهد امام عينيه لكنه ظل محدقاً في السقف وكأن شيئاً ما بداخله يخبره أن هذه النهاية لن تكون بهذه السهولة.

بعد ساعتين أيقظ زيدان وراك الجميع من سباتهم.

تثاءب زيدان وقال بصوت خافت:

_ متى الوقت فلا أعرف إن كنا في الليل أم النهار هنا... هذا الضوء لا يتغير أبداً.

ضحك زيدان وقال:

_ هكذا هو غياهييا، دائم الإضاءة بفضل البلورات فلا شمس ولا قمر هنا.

تجهز الجميع وقبل أن يخرجوا، تقدمت الأم نحو ولديها. احتضنتهما بقوة، وكأنها تحاول أن تنقل لهما شيئاً من قوتها تراجعت قليلاً، أمسكت بوجهيهما بيديها، ثم استدارت نحو زيدان ومصطفى وهاتور وقالت :

_ هؤلاء أبنائي، هم ما تبقى لي من هذا العالم وإن أصابهم أذى من خلفكم، سأجعلكم تتذوقون ألم مئات السنين التي عشتها في عذاب.

ثم عادت تنظر إلى زيك وزاك. مدت يديها لتحيط وجهيهما بحنان، وضمت كلاً منهما على عجل، وقالت بحزم:

_ كونوا لهم عوناً، لكن لا تضحوا بأنفسكم. أريد أن أراكم تعودون لي سالمين. لقد عانيت كثيراً فلا تجعلوني أفقدكم الآن.

هز زيك وزاك رأسيهما معاً وهمسا بصوت خافت:

_ لن نخذلك يا أمي سنحميكِ وسنحمي عالمنا.

الفصل التاسع والعشرون: خلاص القلب

بعد خروجهم بوقتٍ قليلٍ قالت هاتور بصوت هادئٍ يحمل حيرة:

_ إلى أين سنذهب الآن؟ هل هناك أحد من الغمرانيين يمكنه التنبؤ بالمستقبل؟

ابتسم زيك بخبث وقال:

_ هناك شخص يدّعي أنه مازال يستمع إلى أخبار أهل السماء . يمكنني أن آخذكم إليه.

تدخل مصطفى معترضاً:

_ هل أنتم أيها الجن تؤمنون بهذه الخرافات أيضاً؟ إن الغيب لا يعلمه إلا الله.

رفعت هاتور حاجبيها وقالت:

_ وماذا سنفعل؟ المختار هو أملنا الوحيد فدعنا نحاول.

تنهد مصطفى قائلاً:

_ حسناً لنحاول لكن لا تتوقعوا أن أدم هذا الرأي.

أخذهم الأخوان إلى مكان منعزل مظلم ومحاط بجدران مليئة بالرموز الغريبة:

قال زيك بصوت مرتفع:

_ مرحباً يا بدقرات!

ظهر بدقرات من بين الظلال، كما كيان غريب الشكل، عيناه تلمعان بلون زمردني، وابتسامة غامضة ترتسم على وجهه قال بصوت هادئ عميق:

_ مرحباً بزيك وزاك... وبينت تهان والبشريان.

اندهش زيدان وقال بسخرية:

_ يبدو أنه يعلم شيئاً بالفعل. ربما هذا التنبؤ ليس هراءً كما توقعت.

تقدمت هاتور بخطوة وطلبت:

_ نريد معرفة من هو المختار. هل ظهر؟ وإن كان موجوداً، أخبرنا أين يمكن أن نجده.

ضحك بدقرات ضحكة غامضة، ثم قال وهو يجلس على كرسيه المزين بالكريستالات السوداء:

_ سؤال جميل... لكن حسابه كبير... أطلب خمسين بانكور.

قالت هاتور دون تردد:

_ لا يهم الثمن، فقط أعطنا الإجابة.

نظر زيدان إلى مصطفى بابتسامة ساخرة وقال:

_ يبدو أننا لسنا الوحيدين الذين لديهم أناس يصدقون الخرافات. هنا حتى الجن لا يعلمون، ويستعينون ببعضهم البعض.

بدقرات لم يرد على تعليقاتهم، بل بدأ يتمم كلمات غامضة، والجدران من حولهم بدأت تتوهج ببطء... حتى انه وقف واخذ يلف ويدور حولهم خطواته ثقيلة ومصحوبة بزفرات غريبة، كلما اقترب من أحد الجدران كانت الرموز المتوهجة تزداد لمعاناً. فجأة توقف في منتصف الغرفة، ورفع يديه نحو السقف، وصدر عنه زفير طويل، قبل أن تتوهج عيناه بلون زمردي أكثر إشراقاً. تمتم بكلمات غير مفهومة، ثم قال:

_ المختار سيظهر بعد خريفين من أراض البشر... سيكون ظهوره مذهلاً وسيعود من بعد خروجه السلام لعالمنا... أول حرف من اسمه هو ميم... وآخره قاف.

صمت الجميع للحظة، قبل أن ينفجر مصطفى قائلاً بسخرية: مخرق؟!

ضحك زيدان وقال بتحد:

ولماذا لا يكون حرفاً آخر؟ مثل الألف بدل الميم؟

ضحك مصطفى بصوت أعلى وقال: تقصد أخرق؟

هز زيدان رأسه وقال:

_ أخرق... مثل هذا الأحمق الذي يعتقد أنه يتنبأ! سأثبت لك أنه لا يعلم شيئاً.

تقدم بخطوات ثابتة نحو بدقرات ورفع صوته:

_ يا بدقرات، إن كنت حقاً تتنبأ ولديك قدرة على معرفة الغيب، فلتثبت ذلك لي الآن لدي طلب، وإن استطعت تحقيقه سأعترف بقدراتك.

ابتسم بدقرات ابتسامة ساخرة وقال:

_ وما هو طلبك يا بشري؟

قال زيدان بابتسامة مأكرة:

_ لو كنت حقًا تعلم الغيب، لكنت علمت مطلبي قبل أن اطلبه وداعًا أيها الأحمق!

التفت إلى هاتور وقال بنبرة جادة ممزوجة بالسخرية:

_ لا تدفعي له شيئًا... إنه مدّعي..

مصطفى:

_ هذا هو أخي زيدان الذي أعرفه..

بدقرات تمت بكلمات غامضة ثم بدأ ينسحب نحو الظلال وكأنه يحاول الهروب أو التخفي. هرع زاك خلفهم بقلق وقال:

_ لقد أثارتم غضبه، لا أعتقد أن هذا سينتهي على خير.

ضحك مصطفى بلامبالاة وقال وهو يصفق بيديه:

_ أتمنى ذلك... فربما أخيرًا نحصل على شيء مثير.

في طريقهم ظهر رجل غريب، بلحيه لامعة وملابس مهترئة زادت غرابته و عيناه تحملان بريقًا مزيجًا من البلاهة والحكمة، وكان العالم بأسره سرًّا يعلمه لكنه لا يكتثر.

قال بصوت غريب متقطع:

_تحركوا... تحركوا... ابحثوا عن المختار... آه... لن تجدوه تحت
الحجارة أو خلف الأبواب... المختار ليس شيئاً... أو ربما هو كل
شيء... من يدري؟

توقف قليلاً، ينظر بعينين متسعيتين إلى زيك وزاك، ثم تابع وهو يشير
إليهما بحركة عشوائية:

_أنتم... أنتم هناك أراه فيكم... أو ربما لا؟ لا، لا... لا أراه لكنه
يختبئ... يختبئ كما يفعل القط حين يخاف، أليس كذلك؟ ههه، المختار
يظهر عندما لا تبحثون عنه، لكنه لا يختفي... هو فيكم... فيكم أنتم،
أم... ربما في أحدكم؟

نظر للجميع بخبث طفولي وقال:

احذروا... أحياناً... عندما تبحثون عن المختار تجدون... النهاية بدلاً
من البداية... اختاروا بحكمة... أو بغباء فالطريق واحد ههه، أليس
كذلك؟

ثم استدار فجأة وكأنه نسي وجودهم، وبدأ يبتعد ببطء، يتمتم بكلمات لا
معنى لها، حتى تلاشى كأنما لم يكن هناك أبداً.

نظرت هاتور إلى ظهر الرجل وهو يبتعد وقالت باستخفاف:

_من هذا الأبله؟

أجاب زيڪ:

_ لا تقولي إنه ابله فقد كان يوماً من كبار أثرياء غياهييا، اسمه كاليسين، رجل حكيم وعالم مرموق لكن .. لا نعرف ما الذي حدث له. فجأة فقد كل ما يملك وأصبح مجنوناً... وتخلّى عنه الجميع.

مصطفى :

_ لا أحد يبقى على حاله... الحياة تدور، والمرء لا يعلم متى يسقط أو ينهض."

تفرق الجميع في أرجاء غياهييا بعد ذلك، يترقون الأبواب ويتحدثون مع العُمُرانيين، يسألون بلهفة عن المختار، يبحثون في الوجوه عن علامات مميزة. لكن الإجابات كانت مخيبة للأمال؛ البعض تجاهلهم، والبعض الآخر أغلق الأبواب في وجوههم بخوف، إذ لم تكن رؤية البشر مألوفة في هذا العالم.

كان زيڪ وزاك يسارعان إلى تهدئة الموقف، يطلبان من زيدان ومصطفى تغطية وجوههم، قائلين:

_ غطوا وجوهكم العُمُرانيين سيتحدثون إن شعروا بالأمان.

ومع ذلك، لم يجدوا أي خيط يقودهم للمختار، بل واجهوا جدراناً من الصمت والتجاهل.

وفجأة، وسط البحث المستميت، اهتزت الأرض تحت أقدامهم. صوت مدوّ شق السماء، كأنه غضب من الأعماق. البيوت الكريستالية بدأت تتحطم واحدة تلو الأخرى، صرخات العُمرانيين ملأت الهواء، والذعر عم المكان.

في خضم الفوضى، هوت بلورة ضخمة من السقف نحو هاتور تجمدت مكانها للحظة، عاجزة عن الحركة لكن زيدان قفز دافعاً إليها من تحت البلورة فسقط الاثنان أرضاً، بينما البلورة انفجرت إلى شظايا حولهما. فتساقطت الصخور الصغيرة على زيدان لكنه لم يتحرك، جعل من جسده درعاً يحميها.

نظرت هاتور إلى وجهه، نظرات مليئة بالدهشة والامتنان، وكأنها ترى زيدان لأول مرة قالت :

__ لماذا تدافع عني؟

زيدان.

__ انا لا ادافع عنك بل عن قلبي فلن اتحمل فقدانك.

قبل أن يسقط حجر آخر، رفعت هاتور يدها، مستدعية طاقتها الداخلية، وكونت درعاً من الطاقة أحاط بهما، يلمع بوهج ذهبي منع الحطام من الاقتراب منهما.

تنفس زيدان بعمق وقال بابتسامة:

_ نسيت أنك تملكين أكثر من مجرد الكلمات.

ردت هاتور بابتسامة خجولة:

_ لا أظن أنني كنت سأتمكن من استخدام هذه القوة لولاك... لماذا تبتعد عني؟

زيدان:

_ أنا أحبك... لكن لن يتزوج بشري بجنية.

همست:

_ ولماذا تقول هذا الآن؟

_ لأن الحقيقة أفضل من الوهم.

ثم استدار بعيداً تاركاً إياها في صمت مثقل بالمشاعر.

توقف الزلزال، لكن المشهد أمامهم كان أشد قسوة من الهزة نفسها. الأرض امتلأت بشظايا البلورات المحطمة، وامتزجت بدماء داكنة تميل إلى اللون الأزرق النيلي، لون دماء الغمرانيين. الجثث متناثرة في كل مكان، بعضها مطمور تحت الحطام، وأخرى مرمية بوضعيات مؤلمة وكأنها تعبر عن لحظاتها الأخيرة.

صرخات الأطفال في كل مكان و بعضهم يركض بلا هدف، أصواتهم تختلط بأنين المصابين الذين بالكاد يتحركون. الأمهات يبحثن بجنون عن أبنائهن، يصرخن بأسماء لا يُجاب عنها سوى بصمت القتلى.

أما زيدان، فقد كان ينظر إلى جثة طفل غمراني صغير ممسكة بلعبة مكسورة، دموعه متجمدة في عينيه، لكنه لم يتكلم. مصطفى، الذي بدا أنه يحاول الحفاظ على تماسكه، قال بصوت منخفض:

_ لا وقت للأسى الآن، علينا المساعدة.

بدأوا جميعًا يتحركون، يبحثون عن أحياء تحت الأنقاض، بينما عيونهم تراقب السماء الكئيبة التي بدت وكأنها تبكي مع هذا العالم المنكوب.

ظهر كاليسين الرجل المجنون بين الحطام كظلٍ مثقل، خطواته كأنها تحمل ثقل عالم كامل. عيناه الغائمتان تجولان في الموت المبعثر أمامه، كأنهما تعرفانه عن قرب... لكنه لا يقترب منه وقف فجأة، رفع رأسه إلى السماء الشاحبة، ثم قال بصوت يختلط فيه اليأس بالتمرد:

_ لقد تعبت... تعبت من حمل ما لا يُحمل، من السير في طريقٍ لا نهاية له. كل النظرات تحكم عليّ قبل أن أنطق، وكل يوم يقطع من روعي ما يكفي ليميت رجلاً آخر. لماذا لم يقتلني هذا العالم بعد؟ لماذا يتركني حيًّا لأتجرّع نفس المرارة مرارًا؟

صمت لحظة، كأن نفسه ضاقت به ثم أضاف:

_ أحتاج أن أضحك، ولو ضحكة زائفة تخدع قلبي بأن الفجر سيأتي.
لكنني أعرف أنني أسير حياةٍ ليست لي... كأنها ودیعة في يد شبح
غادرني منذ زمن.

كلماته انسابت بين الركام كأنها طعنات في صدر الحاضرين. وقفوا في
صمت مشلول، لا يدرون أهي حكمة عاشها أم نزيف روحٍ تتلاشى.

قال زيدان وهو يرمقه بعينين متسعيتين:

_ هذا الرجل ليس مجنوناً... نحن المجانين..

قال مصطفى بنبرة حاسمة:

_ لا وقت لنزيف الكلمات إن بقينا هنا سندفن معهم، الطريق الوحيد هو
القلب... قلب غياهيبيبا... هناك سنجد الحقيقة، سواء حملت لنا الخلاص
أو الهلاك المختار لن يأتي إلينا، والوقت لن يرحمنا. إن أردنا إجابة فلن
نجدها إلا هناك... بعد ان انهى حديثه اشار لزيك:

_ خذنا إلى القلب.

زيك:

_ لكن بدون المختار سنموت.

مصطفى:

_ وإن بقينا هكذا سنموت أيضاً..

نظر زيك إلى زاك في تردد ثم تقدم وأشار بيده. فانفتح جدار صخري خرج منه ممر طويل غارق في العتمة. دلفوا واحداً تلو الآخر دون تردد.

الجدران ملساء سوداء، تسطع فيها خطوط ضوئية تتحرك ببطء، والهواء ثقيل يضغط على الصدر. الأرض تتغير مع خطواتهم، بلا انتظام؛ صلبة، ثم رخوة، ثم حادة الحواف وأصوات خافتة تخرج من الأعماق. لم يكن هناك أثر للريح أو الرطوبة، فقط ثبات خانق يملأ الفراغ.

استمروا في السير ومع كل خطوة يخطوها يدنوا من نعمة ثابتة تزداد وضوحاً، نبض يتردد في الجدران وفي عظامهم. الأصوات تداخلت حتى صارت طنيناً ممتداً، وكل واحد منهم أحس بالاهتزاز يسري في جسده.

ظلوا على هذا الحال حتى انشق الطريق عن هاوية، فوقها جسر بلوري ممدود في الفراغ يشع بضوء أحمر داكن، كأن الدم يسري فيه.

وعندما عبروا، انفتح أمامهم فضاء هائل قبة لم تُبْنَ بل نمت، جدرانها من بلورات حية تتنفس مع كل نبضة. وفي مركزها كان القلب كتلة عملاقة لا تشبه الحجر ولا النار بل خليط من الاثنين، ينبض بضوء متقلب بين البنفسجي والقرمزي ومع كل نبضة كان الفضاء كله يرتجف.

قال زيك بابتسامة قاتمة وهو يرمق المكان:

_ هنا... حيث يتقاطع كل شيء. وهنا تتلاقى كل الأرواح.

نظر مصطفى إلى القبة بشدة وقال بصوت ثابت:

_ هل داخل القبة يضحى المختار بنفسه، أليس كذلك؟

أجاب زيك:

_ نعم.

مصطفى:

_ إذن سأدخل.

قال زيدان وهو يحاول منعه:

_ توقف أيها الأحمق هل تدرك ما الذي قد تفعله بنفسك؟

_ ادرك جيداً فكما هؤلاء الشعب يعاني أهلنا وأهل العاقير هناك يعانون. سأفتح هذا الباب، لو تطلب الأمر دمي لست أقل من هؤلاء الذين ضحوا بأنفسهم من أجل العاقير، لبيد، ليث، حمزة والكثير غيرهم أنا أخوكم الأكبر، ولست مجرد صديق لكم ولن أراجع.

لكن هاتور تدخلت وهي تتابع مصطفى بنظرة مشددة:

_ أنت لا تفهم شيئاً من يضحى بنفسه يجب أن يكون من هذا العالم لا أنت.

رد مصطفى دون أن يتراجع:

_ وإن كان كذلك، سأحاول لا أستطيع الوقوف هنا دون أن أفعل شيئاً.

أجابته هاتور بصوت حاد:

_ وإن لم يكن الأمر كما تتوقع، ستضيع تضحيتك سدى.

في تلك اللحظة، تدخل زيدان وقال بلهجة هادئة محاولاً تهدئة الموقف:

_ هاتور تقول الصواب يقول الله تعالى: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة.

تراجع مصطفى عن الخطوة التي كان يهّم بها وهمس:

_ ونعمة بالله.

نظرت هاتور إلى زيدان وقالت:

_ لقد سمعنا أن هذا القلب حي هل هذا صحيح؟

أجاب زاك:

_ هو كذلك

تقدمت بضع خطوات وعندما اقتربت من قلب غياهييا، انخفضت الأصوات حتى يثن لها الحديث وكأن القلب يعلم بوجودها :

_ يا أيها القلب، أريد أن تحدث معك.

تردد صوت مهيب، من الأرض نفسها :

_ هل معكم المختار؟

أجابته هاتور:

_ لا... لم نأتِ بالمختار، ولكننا نبحث عن الإجابة.

قال القلب بصوت كأنه ينبعث من الجحيم:

_ أي إجابة؟ إن لم يكن معكم المختار فقد جلبتم لأنفسكم الموت.

تدخل زيك بابتسامة غامضة وقال:

_ أنا هنا.

تابع زاك :

_ سئمت من المراوغة... هنا أنا أيضاً هنا.

رفعت هاتور عينيها نحوهما يعلوها الارتباك والحيرة وهي تقول:

_ عن ماذا تتحدثان؟.

أجاب زيك:

_ حين وُلدتُ أنا وأخي، جننا بخطوط ذهبية خافتة، لكن الخوف تملّك
أمنّا من أن يقتلنا شعب الغمرايين. لم تجد سوى أن تضعنا بين يدي
الحكيم كاليسين، الذي ألقى علينا تعويذة غيّرت خطوطنا إلى الحمراء.
منذ تلك اللحظة، فقد الحكيم عقله، لأنه تجرّأ أن يعبث بطبيعة غياهبيا.
أما أمي، فقد فعلت ذلك خوفاً من أن تفقدنا، كما فقدت أبي من قبل.
ونحن حباً بها أخفينا حقيقتنا. سرنا بينكم كأننا نبحث عن المختار...
بينما كنا نحن المختار. أخفينا ذلك فقط كي لا تكتشفونا.

هاتور:

_ إذن... المجنون كان يقصدكما؟ حين قال إن المختار في دخلنا!!

أجاب زيك وزاك معاً، كأن صوتهما خرج من قلب واحد:

_ نعم... لكن حين رأينا مصطفى يضحى بنفسه من أجل قريته، ومن أجل
عالم ليس عالمه، أدر كنا وفهمنا أن المختار ليس من وُلد بالعلامة فقط،
بل من اختار أن يحمل النار عن الجميع.

مدريك يده نحو يد زاك، فاشتَبَكَا، وتقدما معًا نحو قلب غياهبها. وفي لحظة خاطفة، انفجر نور شديد غمرهما، ومسح خطوطهما الحمراء، لتعود ذهبية متوهجة. تبادلًا نظرة صامتة ثم التفتا إلى من حولهما وقالا بصوت واحد :

_لا تدعوا أَمْنَا تحزن ما سنفعله الآن هو من أجلها... ومن أجل غياهبها... ما حاولت أن تخفيه خوفًا... كشفه القدر لأنه كان أقوى من كل خوف..

مع دخولهما إلى القبة تحاوط القلب تحول المكان إلى عالم من الضوء القوي و بدأ لون القلب يتحول إلى الأحمر القاني وتكتمل الصورة مع أنغام الهمسات المرعبة.

مسك زيك خنجره وزاك قابله بخنجر مماثل، قبضتاهما مشدودتان حتى يبيض المفاصل، وكل منهما وضع نصله البارد على عنق الآخر في لقطة تُجمد الدم في العروق. ابتسامة خبيثة ارتسمت على وجهيهما تحدي صامت استعداد كامل لأن يسيل الدم.

لكن قبل أن يكتمل المشهد الدامي اخترق مصطفى القبة واندفع بسرعة تفوق النظر ودفع زيك وزاك بعيدًا بكل قوته ليحطم توازنهما في لحظة واحدة

لم ينتظر ثانية رفع سيف البرق عاليًا وضرب قلب غياهيبا بكل عنف.
اهتزت القبة وانفجرت أصداء الضربة في كل أركانها
ثم... حدث ما لم يتوقعه أحد امتص القلب البرق واخذ يتلوى و يتفتت،
ثم يتشكل من جديد...

أذرع تنبثق، سيقان تتكوّن، كتلة الظلام تتحول لوحش هائل يقف
أمامهم، عيناه جمرتان وفي قبضته، خاتم يشع بضوء غريب، كأن
الموت نفسه يتنفس من خلاله.

صرخة هاتور قطعت الهواء:

_إنه... إنه يحمل خاتم الموت.

قال زيدان بلهجة مذعورة:

_خاتم الموت؟ ماذا يعني هذا؟

هاتور:

_الخاتم هو من يضعف اللب هو اللعنة التي اجتاحت القلب... ولهذا
تحدث الهزات ولهذا يموت شعب الغمرانيين بالآلاف.

قاطعهما زيك :

_ لا افهم شيء؟؟

قالت:

_ من سمات خاتم الموت احتياجه إلى أن يرتوي بالدماء حتى يهدأ ووجوده في قلب غيايبا يعني انه السبب في كل شيء .

زيك:

_ ولهذا كان دم المختار هو الحل الوحيد. ..دم المختار يساوي ألف روح عندما يُسْفك على القلب يهدأ الخاتم ويخمد لقراءة ألف عام.

زار القلب فكان صدى زائيره كأن الجبال نفسها تنهار. الخاتم في يده بدأ يشع بضوء دموي، كأنه يستعد لابتلاع الأرواح الحاضرة. رفع يده المكلفة بالخاتم المشووم، وأطلق شعاعاً أحمر ارتجت معه الأرض. فجأة بدأت الجثث المتناثرة على أطراف القبة تتحرك وكأنها عادت للحياة تلك الجثث كانت للمنات المختارين الذين ضحو بأنفسهم على القلب ارتفعت الأجساد المتآكلة، عيونهم الخالية من الروح، تحمل طاعة عمياء للوحش.

صاحت هاتور وهي تحاول صدهم:

_ إنه يوقف الأرواح التي تغذى على دماها! لن يرحم .

صاح زاك بغضب:

_ هؤلاء أرواح الغمرانيين الذين ضحوا من أجلنا كيف يمكننا أن نحاربهم؟.

زيك رد:

_ علينا أن نحررهم لا أن نحاربهم هم سجناء لهذا الوحش ومصيرنا أن ننقذهم.

رفعت هاتور يديها فأطلقت طاقه من النور في جميع الاتجاهات فشكلت حاجزاً مؤقتاً اوقف تقدم الموتى:

_ هذا لن يدوم طويلاً، علينا أن نتكاتف الآن.

مصطفى تداني من الوحش :

_ إنه يريدنا أن نتشتت، لكننا لن نعطيه ما يريد... ثم قفز عاليًا، وسدد ضربة هائلة من البرق إلى قلب الوحش لكنها ارتدت، وأطاحت به إلى الخلف.

ضحك الوحش بصوتٍ مروع:

_ لا يمكنك تدميري، فالآلاف الأرواح تحارب معي.

زيدان الذي كان يختبئ خلف الحاجز، وجه سهمًا باتجاه إحدى الجثث الزاحفة السهم اخترق صدرها، لكنه لم يسقطها. نظر في دهشة، ثم صاح:

_ لا يمكننا قتلهم بالطريقة العادية! إنهم محميون بسحره.

قالت هاتور، وهي تطلق دوائر من النور لصد هجمات الوحش:

_ نحتاج إلى تفكيرك تعويذة الخاتم. زيك، زاك، أنتما الوحيدان القادران على ذلك!

تبادل زيك وزاك نظرة سريعة، ثم أوما برأسهما. زيك قال بصوت حازم: _ مصطفى، شتت انتباهه! زيدان حاول منع الموتى من الوصول إلينا. نحن سنكسر الخاتم..

المعركة تبدأ في أعنف صورها.

مصطفى ينطلق نحو الوحش، يهاجمه بسيف البرق بضربات متلاحقة. البرق يتناثر في كل اتجاه، يخلق عواصف صغيرة تقطع طريق الموتى الزاحفين.

زيدان، من مكانه المرتفع، يطلق سهامه بدقة، يوجهها نحو أرجل الموتى لإبطائهم، بينما يحاول الحفاظ على هدوئه وسط الفوضى.

_ باسم النور والقوة، أحرركم!" صرخت هاتور، ودوامات الضوء التي أطلقتها كانت تزيل الظلام عن بعض الجثث، تعيد لهم بقايا وعيهم للحظات قبل أن يسقطوا بلا حراك.

أمازيك وزاك، فقد اقتربا من الوحش. وقف الاثنان أمامه، يرفعان أيديهما معاً، وخطوطهما الذهبية تتوهج بشدة. صرخ زاك:

_ نحن لسنا فقط المختارين، نحن من سيفسد خطتك..

الوحش، في حركة مباغته، رفع يده، وأطلق موجة من الظلام اجتاحت القبة بأكملها.

الظلام أسقط الجميع أرضاً، إلازيك وزاك، اللذين ظلّا واقفين، مشعين بالنور. زيك قال: "هذا هو وقت النهاية، يا أخي."

زاك أوما برأسه:

_ دماء المختارين لن تذهب سدى مجدداً.

اتحدت طاقتهما، وتحول نورهما إلى ربح هائل من الطاقة النقية. تقدم الوحش نحوهم، فرفع زيك وزاك الرمح معاً ثم أطلقاه نحو الوحش.

_ أيتها الأرواح السجينة، تحرري صرخ زيك.

الرمح اخترق الخاتم مباشرة، وحدث انفجار هائل من النور. الوحش صرخ بألم، وبدأ جسده يتحلل إلى ظلال تتلاشى. الجثث المتناثرة سقطت أرضاً، وعادت القبة إلى صمت مخيف.

ابتسم زاك وزيك وهما يلتقطان أنفاسهما بعد المعركة الطاحنة. نظر زاك إلى مصطفى وقال بابتسامة مرهقة:

_ لولا شجاعتك، لكننا الآن مجرد دماء يتغذى بها الخاتم."

ابتسم مصطفى، لكنه قال بلهجة ساخرة وهو يهز رأسه:

_ أنقذتكم من قال هذا؟؟ بل أنقذت نفسي من والدتكما فلو عدت بدونكما، لصنعت منا جميعاً حساء... والحقيقة؟ والدتكما أكثر رعباً من الوحش الذي حاربناه.

للحظة ساد الصمت ثم انفجر الجميع بالضحك حتى أن زيدان، الذي كان يمسح الغبار عن وجهه قال ضاحكاً:

_ أوافق مصطفى الرأي. لقد رأيت غضبها مرة... هذا الوحش يبدو لطيفاً بالمقارنة.

زيك :

_ ربما تكون على حق. والدتنا لا تعرف المزاح عندما يتعلق الأمر بنا. لكننا لن ننسى وقفكم معنا، مهما كان السبب.

كانت هاتور تراقبهم من بعيد بصمت. عيناها كانتا ملينتين بالغموض، ووجهها يحمل مزيجًا من الحذر والتفكير العميق.

بينما انشغل الجميع بمزاحهم وضحكاتهم، تحركت نحو بقايا الخاتم المكسور التي كانت متناثرة على الأرض. وقفت فوقها للحظة، تراقبها بتمعن وكأنها ترى فيها أكثر مما يراه الآخرون.

رفعت يديها برفق، وهمست بتعويدة خافتة:

_ انبعث نور خافت من أطراف أصابعها، وجمعت شظايا الخاتم معًا في دوامة من السحر. في لحظة، اختفى كل شيء داخل قطعة صغيرة من الضوء، ثم أغلقت يدها عليه .

نظرت حولها لتتأكد أن أحدًا لم ينتبه. بابتسامة صغيرة، همست لنفسها:

_ بقايا القوة لا تُترك للقدر قد نحتاجها يومًا.

عادت إلى المجموعة بنفس الهدوء الذي تحركت به، وكأن شيئًا لم يكن.

عاد السلام إلى قلب غياهيبياء، واختفى الظلام الذي كان يخيم على المكان. برقت الكريستالات بتألق لم تشهده من قبل، وأعاد القلب قوته التي كانت مهددة بالزوال. ازدادت الأحجار الكريمة تألقًا، وانتشرت

الحياة في كل أرجاء المدينة. حتى المرضى الذين كانوا يئنون منذ سنوات طويلة، شُفوا وكان قوى غياهبيا ذاتها قد غسلت آلامهم.

حين عادوا إلى المدينة، وجدوا استقبلاً حافلاً بانتظارهم. شعب غياهبيا، الذي عاش في خوف طويل، اصطف في الشوارع يهتف ويرفع الرايات. العيون كانت تدمع فرحاً، والأصوات تعلو بنداءات الشكر.

خرجت أم زيك وزاك من بين الحشود، ركضت نحو ولديها واحتضنتهما بقوة وكأنها وقالت بصوت مرتجف، لكنه مليء بالفخر:

لقد فعلتماها... أنقذتما غياهبيا دون أن ا فقدكما. كنت أخشى أن يُكرر القدر مأساتي، لكنكما أثبتما أنكما أقوى من كل لعنات العالم.

ابتسم زيك، ونظر إلى والدته بحب، وقال:

الفضل لا يعود لنا وحدنا يا أمي، لقد كان مصطفى هو من أنقذنا عندما كنا على وشك السقوط. هو ورفاقه كانوا القوة التي احتجناها.

تقدمت من مصطفى وأصدقائه وقالت: ... أنتم لم تنقذوا غياهبيا فقط، بل أنقذتم أبنائي. لن أنسى هذا الجميل ما حييت. أنتم الآن جزء من عائلتنا، وجزء من غياهبيا إلى الأبد.

الشعب الذي كان يستمع إلى كلماتها انفجر بالهتاف:

_ يعيش البشر... يعيش البشر... كانوا يهتفون بقوة وشغف، وكأنهم يعيدون بناء جسور الثقة بين العوالم.

تقدم القائد زارون، ذلك الرجل الذي كان يُعرف بحزمه الشديد، نحو زيك وذاك. وقف أمامهما بثبات، ثم ابتسم بفخر نادر الحدوث وقال:

_ أبطالي وأسداي... كنت أعلم أن هناك قوة عظيمة في داخلكما، لكنني لم أكن أعلم أنكما ستكونان المختارين. لقد أثبتما أن الدماء الذهبية تحمل أكثر من مجرد إرث، بل تحمل الأمل. أنتما فخر غياهييا.

انحنى كلاهما قليلاً كتحية احترام.. قال زاك بهدوء:

_ لم نكن لنفعل هذا وحدنا، لقد كنا جميعاً يداً واحدة، وكل منا كان مختاراً بطريقته الخاصة.

ايضاً استعاد كالميسين عقله حتى بدا وكأن غياهييا استعادت أحد أعمدة حكمتها المفقودة. اقترب من والدة وهمس :

_ رأيت الآن ما حدث حين تركت الأمر للقدر.

ابتسمت بارتياح، وقالت وهي تتفحص وجهه:

_ كالميسين... هل تتذكرني؟

_ نعم، لقد استعدتُ عقلي بظهور المختارين. هم من جلبوا التوازن الذي كنت أحتاجه لأتحرر من عبء الفوضى.

_ مرحباً بعودتك يا صديقي القديم.

اجتمع الجميع في قصر الملك أزغاريس، الذي كان ينتظرهم بترقبٍ وشغف. وقف وخطب في الحضور:

_ لقد فعلتم ما لم يجرؤ أحد على فعله... المختاران زيك وزاك أثبتا أنهما يستحقان أكثر من الاحترام ومن الآن أمنحهما لقب أسياذ قلب غياهبيا وسيكونان الوصيان على القلب.

أما ابنة تهان ورفقائها، فإن شكر غياهبيا بأسرها لن يفيدهم حقهم. لهم منا جوائز عظيمة، وعرافان خالد.

مصطفى:

_ شكركم يكفيننا، لكننا لا نحتاج شيئاً سوى إذن للعبور إلى العالم السابع.

فوجئ الجميع بصراحته، لكن كاليسين تدخل:

_ العالم السابع ليس مجرد مكان يمكنكم الوصول إليه بسهولة. المختاران يحملان في داخلهما جزءاً من قلب غياهبيا؛ خطوطهما الذهبية ليست مجرد زينة، بل هي الرابط الذي يمكنه فتح بوابة العالم السابع. فهما مفتاح العبور.

التفت زيك وزاك إلى بعضهما، نظراتهما تحمل مزيجًا من المفاجأة والحذر. أغمضا أعينهما، يحاولان استشعار الرابط الذي تحدث عنه كاليسين. كان الأمر كما لو أن صدىً خافتًا يناديهما من أعماق الأرض. مَدَا أيديهما، وبدأت هالات من الضوء الذهبي تنبعث من جسديهما، مشكّلة طاقة غريبة تحركت في أرجاء القصر.

قال زيك بصوت مهيب:

_ نشعر به... إنه في داخلنا، القلب يرشدنا.

أضاف زاك: _ علينا اتباع التعليمات التي تصل إلينا.

قام الاثنان برسم حركات معقدة في الهواء بأيديهما، ما أثار هالة من السحر حولهما. فجأة، ظهرت أمامهما بوابة صغيرة، بدا كأنها تمتد إلى قلب غياهبها. انطلق منها صندوق صغير مزين بالنقوش القديمة، وكأن القلب ذاته قد أرسله تقدم مصطفى وأخذ الصندوق، لكنه قال بهدوء: _ هذا ليس لي.

ثم سلم الصندوق لهاتور، التي فتحتة بحذر.. داخل الصندوق وجدت ورقة قديمة ومفتاحًا صغيرًا يتلألأ أمسكت بالمفتاح ووضعت إصبعها عليه، ثم قرأت بصوت عالٍ الكلمات المكتوبة على الورقة:

"سرتحمل..."

كانت الكلمة تحمل طاقة غامضة هزّت القاعة بأكملها. الضوء المحيط بالمفتاح ازداد توهجًا، وبدأ المفتاح يتحرك من تلقاء نفسه، كما لو كان مدفوعًا بقوة خفية. استدار المفتاح في الهواء ببطء، حتى وجد ثقبًا في جدار القاعة واندفع نحوه. في تلك اللحظة، انفتح الباب بصوت هائل، كاشفًا عن بوابة متألئة تمتد نحو العالم السابع.

الفصل الثلاثون: مملكة العوالم

خطا الثلاثة إلى العالم السابع فاستقبلتهم عظمة لا يمكن وصفها بسهولة الأرض كانت تلمع بلون ذهبي، و السماء فوقهم امتدت بصفاء أزرق غامق، تتخللها خيوط ذهبية متوهجة ترتبط بجبلين شاهقين في الأفق، كأنهما يحضنان العالم بينهما. بين هذين الجبلي ، كان هناك عنكبوت ينسج شبكته العجيبة. الخيوط لم تكن فقط ممرات، بل كانت أشبه بطرق شفافة مضيئة، تتفرع في كل اتجاه نحو ملايين البوابات التي تطفو في الهواء، كل واحدة تنبض بطاقة مختلفة، تؤدي إلى عالم خاص بها.

المنازل في هذا العالم كانت تحفًا معمارية مذهلة، مزيجًا من عبقرية البشر وسحر الجن بعضها كان يبدو كقلاع زجاجية شفافة، تعكس الضوء بألوان قوس قزح، وأخرى كانت معلقة على خيوط العنكبوت، وكأنها أعشاش سماوية هناك أبراج مرتفعة بُنيت من حجارة بلورية،

تعكس السماء كأنها جزء منها، وبيوت صغيرة محفورة داخل الجبال، أبوابها مزينة بنقوش قديمة تخبر قصص العوالم المختلفة.

أما شعب العوالم، فكانوا كائنات متعددة الأشكال . الجن كانوا الأطول والأكثر أناقة بعيون تتوهج وأجنحة خفيفة كالضوء تظهر وتختفي. بينهم كائنات أشبه بالبشر، لكن بسمات تختلف، كجلد مضيء أو هالات سحرية تحيط بهم. كانت هناك مخلوقات طائرة تشبه الطيور، لكنها بحجم البشر وذات ريش معدني يعكس الضوء في جميع الاتجاهات.

في الأفق، كانت أسراب من الطيور العجيبة تحلق بحرية. بعضها كان بأحجام هائلة، بأجنحة شفافة كزجاج ملون، وأخرى صغيرة، تشبه الفراشات لكنها تصدر أحياناً موسيقية أثناء طيرانها. الطيور لم تكن فقط للزينة؛ بعضها كان مُرسلاً ينقل الرسائل بين العوالم، وأخرى تُرشد المسافرين عبر خيوط العنكبوت.

شوارع المملكة نفسها كانت ساحرة فيها أسواق ضخمة تعجّ بشعوب العوالم المختلفة، تعرض بضائع سحرية مثل مشروبات تعيد الشباب، وأحجار تعزز القوة، وأقمشة تتغير ألوانها حسب المشاعر.

هاتور أشارت إلى كل هذا وقالت بفخر:

_ هذا هو عالم مملكة العوالم. كل شيء هنا يحمل أثرًا من العصور الأولى، حيث اجتمعت الكائنات العاقلة لبناء حضارة تجمع بين السحر

والعلم. البشر كانوا شركاء رئيسيين، لكنهم الآن جزء من الماضي، ولم يعد أحد يزورنا إلا نادرًا.

مصطفى وهو يحرق في العنكبوت الذي يتحرك بخفة عبر خيوطه العظيمة قال:

_ هذا العنكبوت الجبار ما دوره؟

اجابت هاتور :

_ هذا العنكبوت يدعى أركانيس اسمه مشتق من كلمة أركانا التي تعني السحر الغامض والمخفي وهو قلب هذه الشبكة. خيوطه ليست مجرد جسور، بل هي النبض الذي يصل بين العوالم. البشر كانوا يتنقلون هنا بحرية قديمًا بفضل خيوطه، لكن بعد أن حُفظ سر جبلي المعرفة، أصبحت الخيوط تنتظر من يستحقها أركانيس أيضًا حارس، إذا عُث بالخيط، يُطلق قواه لحماية النظام.

وأضافت بنبرة مليئة بالهيبه:

_ البوابات المفتوحة الآن قليلة، والبقية مغلقة بسحر عظيم. من يحل لغز الجبلين يستطيع التحكم بكل بوابة ويفتح طرق جديدة بين العوالم. إنه سر يفوق كل الخيال...

فجأة ظهر شخص من العدم أمامهم بلامح صارمة ونظرة حادة، يلف جسده عباءة سوداء .

نظرت هاتور إليه بدهشة ممزوجة بالراحة، وقالت بنبرة تحمل احترامًا عميقًا:

__ كيف حالك يا هارن؟

نظر زيدان إلى الرجل بتوجس، ثم قال بعد لحظة تأمل:

أليس هارن هو الذي سمعتكِ تتحدثين معه في تلك الليلة؟

هاتور:

__ نعم، هارن هو أحد أفضل حراس مملكتي، وأكثرهم ولاءً لي.

انحنى هارن باحترام :

__ أشكركِ يا مولاتي، لكن هذا ليس وقت المدح جئت برسالة عاجلة.

اتسعت عينا هاتور وهي تسأله بقلق:

__ ماذا حدث؟

قال هارن بسرعة، وكأنه يخشى أن يضيع الوقت:

_ مولاتي شرميزة أدخلت الشياطين إلى المملكة فسيطروا على القصر الملكي واحتجزوا الملك في السجن المظلم. لقد أظهرت وجهها الحقيقي... ولم يكن كما توقعنا.

أكمل هارن بصوت خافت لكنه يحمل ثقل المصيبة:

_ الأمور في المملكة ما زالت تبدو طبيعية للعيان... الشعب لا يعلم شيئاً عما يحدث في القصر لأن شرميزه تتظاهر بالولاء وتحافظ على النظام ظاهرياً... كما أنها تخطط لقتل الملك قريباً، وحينها ستعلن نفسها الحاكمة الوحيدة.

توترت ملامح هاتور، وعيناها التمعتا بغضب مكبوت، لكنها تماسكت وقالت بحزم:

_ هذه ليست مجرد خيانة، إنها حرب على كل ما تمثله المملكة. إن لم نتحرك سريعاً، سنصبح السيطرة مستحيلة.

تدخل زيدان وهو يحدق في هارن:

_ لكن لماذا لم تكشف شرميزه عن نفسها حتى الآن؟

رد هارن:

_ لأنها تعلم أن الشعب لن يقبل بها بسهولة. فتحاول كسب الوقت لإحكام قبضتها، وللتخلص من أي تهديد محتمل، خصوصًا منك يا مولاتي، ومن أي دعم قد تجدينه.

قال مصطفى بصرامة، وهو يشد قبضته على سيفه:

_ إذا كانت تُخطط لإبادة كل من يعارضها، فعليًا أن نسبقها بخطوة. ونصل إلى الملك.

نظرت هاتور إلى الأفق، وكأنها تفكر بعمق، ثم قالت:

_ إنها معركة خفية قبل أن تكون علنية. علينا أن نحشد الحلفاء دون إثارة الشكوك، ونحرر الملك قبل أن يُكتشف أمرنا.

هارن بحزم:

_ أمرك يا مولاتي.

زيدان:

_ هل هذا يعني أننا سنتسلل كاللصوص؟ أم أن لديك خطة أكثر جرأة؟

هاتور :

_ في هذه المملكة.. حتى التسلل له طابع خاص.

اردف زيدان:

_ قد أكون تصرفت تصرفاً خاطئاً معكِ في الفترة الأخيرة. كان ذلك بسبب حزني على فقدان حمزة، والضياع الذي شعرت به لكن... أريدك أن تعرفي شيئاً واحداً أنا معكِ بقلبي وعقلي كاملين.

ابتسمت هاتور ابتسامة خفيفة، ملامحها تنطق بالتفهم، لكنها كانت تراه بعمق أكبر من كلماتها. تقدمت نحوه ببطء، وأمسكت يده برقة، وأجابته بصوت مليء بالهدوء والحنان:

_ الألم يجعلنا نفقد أنفسنا أحياناً ، لكن ما يهم هو أن ما بيننا لا يزال حياً، حتى في أصعب لحظاتها. و بما أنك هنا بجانبني أو من أن كل شيء ممكن.

_ لن أخذلكِ أبداً، و لن أترككِ في أي وقت حتى لو كان العالم كله ضدنا.

سألت هاتور، وهي تنظر إلى هارن بتفحص:

_ أين الحراس يا هارن؟ هل علم أحد غيرك بذلك؟

أجاب هارن بسرعة:

_ هناك 15 جندياً تحت قيادتي، وهم على علم بكل شيء، منتظرين

إشارتك للتحرك."

قالت هاتور بعزم:

_ سنحرر والدي من سجنه أولاً ثم سنتال أمي عقابها.

مصطفى :

_ أنا أشد بغضاً لهذه المرأة، لأنها أنجبت الشر الذي قتل الكثير من أهلي. أنتظر الانتقام.

قالت هاتور بحزم، وهي تظمن مصطفى:

_ لا تقلق، سنحرر والدي أولاً، وستال أمي ما تستحقه.

أعطى هارن حقيبة لهاتور، ففتحتها بحذر. أخذت منها حجرين معدنيين صغيرين، ثم وضعت أحدهما على ظهر مصطفى، والآخر على ظهر زيدان. مع لمسة خفيفة، بدأ الحجران يتحولان إلى أجنحة واسعة ومتقنة. ربطت الأزيمة حول بطنهما، مشيرةً إلى أنهما بحاجة للتحكم في الأجنحة:

_ ستحتاجان هذه الأجنحة للطيران هنا... كان البشر يستخدمونها عندما كانوا يعملون في هذه المملكة... هي مرتبطة بأعصابكما. حاولوا التركيز للتحكموا بها.

بدأ زيدان يركز، وحينها بدأت الأجنحة ترفرف قليلاً، لكنها كانت غير مستقرة. شعر وكأنه سيسقط في أي لحظة، ثم ظهر خلفه صوت هاتور، وهي تطير بجواره:

_ركز، تتحكم الأجنحة بالغضب والفرح وحتى الحزن اجعلها جزءًا منك.. أنت كذلك، مصطفى طير.

طار مصطفى خلفهم، يحاول أن يتوازن ويقوى في تحكمه بالأجنحة، بينما كان هارن يطير وراءهم، يراقب تحركاتهم.. الرياح كانت تعصف بهم والأجنحة ترفرف بسرعة قال مصطفى متسائلًا بنبرة فضولية:

_ما حكاية هذه العوالم وكل هذه الأبواب؟ لقد حكيت لنا القصة، ولكن أشعر أن هناك أمرًا لم تذكره.

اجابت هاتور :

_عالم الجن كان في البداية مفتوحًا دون عوالم ولكن حدثت حرب مدمرة دمرت كل شيء قسمت القبائل وأدت إلى فوضى شديدة. حتى جاء جدي العظيم ساليس الذي قال :

_نقسم عالم الجن ونصنع حدودًا بين كل قبيلة وأخري ومن هنا صنعنا العوالم

توقفت لحظة، ثم استكملت وهي تشير إلى الأفق الواسع:

_قام جدي بتوحيد جميع الجن باستخدام سحرهم وصنعوا العنكبوت أركانيس الذي نسج شبكة من الخيوط، التي وصلت إلى جميع العوالم. ومن خلال هذه الشبكة، أنشأوا مملكة العوالم، وكل عالم كان مخصصًا

لجنٍ معين حسب قدرته واختياره. وكل قبيلة سكنت عالمها الخاص بها. لكن الأقوى بينهم هو من حكم مملكة العوالم، وكان جدي هو الذي حمل هذا اللقب، مع عشيرته.

أضافت بحزن ممزوج بالغضب:

_ لهذا عندما شعر أبي بالضعف، بدأت قبائل الجن الأخرى تطمع في الحكم، وكل قبيلة تحاول أن تسيطر على مملكة العوالم. وفي محاولة لحماية مملكته تزوج من عشيرة الشياطين، ليقوي حكمه ويجمع قوته من خلال تحالفهم. لم يدرك أبي أن تحالفه مع الشياطين سيقوده إلى تدمير كل ما بناه جدي ولو عرف، لما اختار هذا الطريق أبدًا.

أشارت من الأعلى وقالت بصوت حازم:

_ ها هو السجن تأملت أسواره المظلمة ، ثم أضافت بسرعة:

_ هارن أمر الجند أوماً برأسه وأعطى إشارة سريعة إلى الجنود، فطاروا خلف هاتور في تنظيم محكم.

قالت هاتور بثقة :

_ استعدوا ... هبط الجميع في تزامن تام. وقف مصطفى في الهواء، جناحه يحلقان وكأنه جزء من الرياح نفسها، بينما رفع خاتمه مستدعيًا

سيف البرق الذي لمع في يديه. وعلى الأرض، كان زيدان يجهز سهامه، ينظر بتركيز إلى الأعداء الذين يقتربون منهم.

_اهجموا.. قالت هاتور من الأعلى، ثم اندفع الجميع إلى قلب المعركة. ضرب مصطفى بسيف البرق، فأنزل الشخصين اللذين كانا يراقبان البوابة في لحظة واحدة. بينما كان زيدان يطلق سهامه بسرعة هائلة، يقضي على كل من يقترب منهم. كان القتال في الخارج يشتعل بدموية، والجن يصدون الهجمات بشراسة، يحاولون حماية ظهورهم.

هاتور وهي تدافع عن نفسها قالت لزيدان:

_أمن ظهرنا مع باقي الجن... ثم استمرت في تحركها نحو عمق السجن، كل من يواجهها كان يسقط بين يديها. أظافرها القوية وسحرها يفتتان كل شيء يعترض طريقها، تقطع أعداءها إلى نصفين في لحظات.

استمرت المعركة الملحمية بكل قوتها حتى وصلوا إلى باب مغلق، محاط بسلاسل سحرية ضخمة وطلاسم مظلمة تمزج بين سحر الجن والشياطين. توقفت هاتور أمام الباب، تحاول جمع قوتها لفتح السلاسل، لكن الطلاسم كانت أقوى مما توقعته. حتى سيف البرق الذي كان في يد مصطفى لم يكن قادرًا على فك السحر.

قالت وهي تلتفت إلى مصطفى:

_ لا داعي للقلق، أنا عندي الحل.

أخرجت هاتور خاتم اليأس بسحرها، وتبعه بقايا خاتم الموت، الذي كان يحمل قوة مظلمة شديدة نظرت إليهما وهي تهمس بتعويذة غامضة، ثم قالت لمصطفى بنبرة قاطعة:

_ ناولني خاتمك ولا تسأل لماذا قبل أن ينفذ الوقت!!

تردد مصطفى للحظة، لكنه لم يلبث أن خلع خاتم الدمار وسلمه لها. وضعت بين يديها.. فحملت الثلاثة خواتم في راحة يدها اليمنى. بدأت تتمتع بتعويذة مليئة بالقوة والشهوة للدمار الخواتم بدأت تتفاعل، وتلتحم مع بعضها البعض في خاتم واحد.

ابتسمت وهي تمسك بالخاتم الجديد وقالت:

_ الآن يمكنني فتح الباب.

أشارت بالخاتم إلى الباب المغلق، فانفكت الطلاسم بسرعة مذهلة، وبدأ الباب الثقيل يتحرك ببطء، حتى فتح فجأة. لكن ما حدث بعد ذلك كان أبعد مما توقعه الجميع.

خرجت امرأة من السجن، جمالها كان غريبًا وساحرًا، لكن الشر كان يتألق في عينيها. قال مصطفى بدهشة وهو يحرق في تلك المرأة المجهولة:

_ أليس والدك بداخل؟ من هذه؟

ضحكت هاتور ضحكة مرعبة، أظهرت وجنتيها بنوع من السخرية
وقالت:

_ بل أمي شرميزة هي من كانت في الداخل.

اندھش مصطفى، وسأل في زهول: _ لكن كيف؟؟؟

قالت هاتور وهي تضحك ضحكه عاليه:

_ ايها الأحق الم تعلم بعد.

سأل مصطفى وكأنه لا يريد التصديق:

_ أعلم ماذا؟؟؟

أردفت هاتور:

_ أنا النداهة أيها الغبي . أنا من قتلت بثينة، أنا من قتلت ثلث قرينتك، أنا
من نشرت الفساد والرعب في كل مكان.

وتابعت، دون أن تلتفت إلى مصطفى، :

_ كنت انا من جعلتكم تذهبون للبحث عن المساعدة وطلبها من الحاكم.

أنا... كنت الشيخ محمد الذي اقترح على مجلس الشيوخ هذا الاقتراح

وقتل الشيخ عديل، كبير الشيوخ بعد مغادرتكم. وكل هذا كان جزءاً من خطتي حتى أخرج امي.

قال مصطفى بنبرة ملؤها الصدمة،

وعينه تتقدان بالغضب:

_ كيف استطعت أن تكوني وراء كل هذا؟ كيف خانتني عيوني
وصدقتك؟

_ هل نسيت أن النداهة تغير شكلها؟ تابعت بصوت مخيف.

_ أنا من فعلت كل هذا من أجل الحصول على الخواتم الثلاثة. ولولاكم،
لما استطعتُ فعل ذلك. تضحياتكم كلها كانت من أجلي، أنتم لم تكونوا إلا
أدوات في يدي.

قالت وهي تمد يديها نحو الخاتم بكل فخر: وبفضل هذا الخاتم، سأقتل
العنكبوت، وأهدم المملكة بأسرها.

ثم نظرت إلى والدتها، شرميزة، بنظرة دافئة لكنها مليئة بالشر، شقت
الطريق إلى قلبها.

_ أخيراً، اجتمعنا يا امي.

أجابتها شرميزة بصوت قاسي جاف:

_ هذا ليس وقت العواطف علينا قتل والدك أولاً.

لكن فجأة وفي لمحة خاطفة، تقدمت شرميزة إلى مصطفى الذي كان يقف متسماً بالغضب والدموع. قبل أن يستطيع الحركة، أطبقت يدها الجبارة على رقبته، وجذبتة نحوها بسرعة خاطفة. عينيه تكاد تخرج من محجريها وهو يحاول التنفس، لكن يديها كانت تحكم الخناق على عنقه بقوة لا يمكن مقاومتها بدأ جسمه يرتجف وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة. في تلك اللحظة كان الألم يعتصر قلبه أكثر من جسده. كان يعرف أن نهايته قد حانت.

_ شكراً يا بنيتي لولاكِ لما ذقت طعم القتل مرة أخرى... قالت شرميزة بصوت بارد بينما كانت ترفع مصطفى إلى الأعلى حتى بدا كما لو أن روحه قد غادرت جسده قطع هذا الانتصار المبكر سهم مفاجئ أصاب يد شرميزة، مما أجبرها على إسقاط مصطفى من قبضتها الحديدية. ارتطم جسده بالأرض يلهث في محاولة لالتقاط أنفاسه المقطوعة.

التفتت هاتور وشرميزة بسرعة نحو مصدر السهم، ليجدتا زيدان واقفاً عند المدخل، وجهه ماطخ بالغضب والخيانة، وعيناه تمتلئان بالدموع. رفع قوسه مجدداً، لكنه هذه المرة لم يستطع إطلاق سهم آخر، فقد شلته الصدمة.

صرخ بصوت مهتر ممتلى بالوجع:

_ كيف خنتيني كيف خنتي حبي؟! د أردف وهو يصرخ قولي لي كيف؟....

نظرت هاتور إليه ببرود متصنع، لكنها شعرت بضغظ كلماته وهي تخترق قناعها. حاولت الحفاظ على تماسكها، ثم قالت بصوت مشوب بالسخرية:

_ هل ظننت أن حبك لي كان حقيقياً؟ أنت لم تعشفتي يوماً، يا زيدان لقد كان سحر الحب الذي اطلقته عليك حين ناديتك بصوت جدتك ولم يكن لك خيار. فكل من يناديه صوتي يعشقتي.

انكسرت نبرة صوتها للحظة، لكن سرعان ما استعادت قسوتها، وأضافت:

_ لقد أعطيتني أكثر مما توقعت. قدمت لي الإخلاص دون مقابل، والآن أحتاجك لمشاهدة النهاية.

انكسر شيء داخل زيدان، وأدرك أن حبه لها لم يكن سوى خديعة. أدار عينيه نحو مصطفى، الذي بالكاد كان يقف على قدميه، يحاول السيطرة على ألمه:

_ مصطفى لن أتركهما يفلتان بفعلتهما.. أقسم..

شرميزة قاطعت المشهد:

_ آه، الدراما البشرية دائماً ممتعة، لكن لا وقت لدينا لهذا. يا بنيتي أنهي هذه المهزلة فلدينا عمل أكبر ننجزه!

أشارت هاتور بالخاتم نحو زيدان، فارتفع جسده فجأة كأنه مسحوب بقوة لا تُرى، ليُقذف بعنف على الجدار، ثم سقط على الأرض فاقداً للوعي. نظرت هاتور إليه بلا مبالاة، ثم التفتت إلى مصطفى، الذي لا يزال يلهث وقالت بسخرية مريرة:

_ حتى الآن لم تفهم. أنت لا تساوي شيئاً بدون هذا الخاتم.

ضحكتا الاثنان بصوت مرتفع وهما تتوجان نحو المخرج. زحف مصطفى على يديه وركبتيه، يتشبث بأخر خيوط قوته، تدانى من زيدان المسجى على الأرض وتمتم بصوت يملؤه الحقد والانتقام:

_ سأقتلكما. أقسم أنكما لن تهربا بما فعلتماه.

في الخارج، كانت الأحداث تأخذ منعطفاً أكثر سوداوية. هارن أظهر حقيقته أخيراً. هو وجنوده تحولوا أمام أعين الجميع إلى شياطين مرعبة. في لحظة خاطفة، بدأت صرخات الجن تملأ المكان، وهم يُبادون على يد الشياطين بلا رحمة.

تقدمت شرميزة بخطى واثقة نحو هارن، الذي انحنى أمامها باحترام شيطاني، وقالت بصوت مليء بالخبت:

_ هل الجميع جاهز؟

رد هارن بصوت أجش وهو يرفع رأسه:

_ نعم يا سيدتي. كل شيء تحت السيطرة. جيش الشياطين ينتظر عند البوابة. بمجرد فتح باب هذا العالم، سيكونون أحرارًا لإغراقه في الظلام.

ابتسمت شرميزة بسعادة خبيثة، ثم التفتت إلى هاتور وقالت:

_ اللحظة التي تمنيتها اقتربت بعد كل هذه السنوات، العالم سيصبح لنا.

الفصل الواحد والثلاثون: ما قبل النهاية

داخل قاعة الحكم المهيبة، جلس الملك تهان، بهيبته التي ملأت المكان.

حواجبه عريضة ثقيلة تظلل عينيه الكحيلتين، ولون بشرته القمحية بين الأبيض والأسمر أضفى عليه وقارًا مهيبًا. ذقنه السمراء التي خطها القليل من الشعيرات البيضاء أكملت ملامح رجل ناضج، قوي، وصلب. بنيته العضلية الضخمة وعروقه البارزة، وصوته الأجش العميق، جعلاه يبدو كأنه تمثال حي لشخص عظيم. كان يرتدي ثوبًا ملكيًا بديع الصنع، يزينه تاج مرصع بالجواهر اللامعة، رمزًا لعظمته وقوته.

ولكن السكنينة الملكية لم تدم طويلًا...

دخل أحد الحراس فجأة، وجهه شاحب وأنفاسه متقطعة، يهرع كأنه يفر من كارثة. انحنى الحارس أمام الملك وقال بصوت متهدج:

_ أنجدنا يا سمو الملك! الملكة هربت... لقد قتلت كل حراس الجن الذين كانوا في السجن! كل من قابلته في طريقها لقي حتفه...

وقف الملك تهان متصلبًا، كأن صاعقة ضربته. عيونه اشتعلت بالغضب، وصوته الأجنس ارتفع متسائلًا:

_ كيف... كيف هربت؟

تردد الحارس قليلاً، ثم قال بصوت مملوء بالخوف:

_ من حررها... ابنتك، هاتور. لقد عادت ومعها بعض الشياطين. إنهم الآن في طريقهم نحو العنكبوت!

صمت الملك للحظات... ثم قال بصوت حاد كالسيف:

_ لقد كتبوا على أنفسهم الموت... سيُخذ التاريخ أن هناك ملكًا قتل ابنته من أجل شعبه!

ثم التفت إلى أحد القريبين وأمر بصوت صارم:

_ أنذر قائد الجيش وليستعد الجميع. دقوا الأجراس، ولتسمع مملكة العوالم بما حدث. الموت للشياطين والموت لكل خائن.

وعلى الفور، دوت أصوات الأجراس في أرجاء المملكة، ناقلةً الخبر. لحظات فقط، وتحولت مملكة العوالم إلى خلية نحل، استعدادًا لمعركة ستُكتب في صفحات التاريخ بالدم والنار.

سُمع صوت الأجراس يدوي في الأفق إعلان عل الحرب. نظرت شرميزو نحو هاتور بقلق وقالت:

_تهان قد علم بوجودنا... يجب أن نخلق اسرع، لن يتركنا نكمل ما بدأناه.

هاتور بعينين تملؤهما الغطسة :

_لن يدوم الأمر طويلاً، الأجراس لن توقف مصيرًا رسمناه بدمائهم...ثم انطلقوا في السماء، ممزقين السحب متجهين نحو جبلي المعرفة، حيث يوجد العنكبوت.

كان الملك تهان يشق طريقه نحو السجن، حيث رائحة الدم والموت تغرق المكان، عند مدخل السجن، رأى مشهداً أشبه بالكابوس الجثث متناثرة، والدماء تغطي الأرض كأنه طوفان.

تقدم بخطواته إلى الداخل، حيث كان مصطفى يحاول إيقاظ زيدان من غيبوبته قبض الملك على مصطفى من ملايسه ورفعه بعنف، ثم ألقى به أرضاً، وصوته يزمجر كالرعد:

_بشريان في مملكتي؟! هذا قد يفسر كيف استطاعت هاتور الوصول هنا.

رفع مصطفى رأسه بصعوبة وقال، والغضب يشتعل في عينيه:

_هاتور؟ تلك المرأة الخائنة! لقد قتلت ابنتي وجعلت من قريتي قبرًا ممتدًا يأخذ أرواح من تقتلهم. لم تكتفِ بذلك، بل بحيلتها الخبيثة جاءت بنا إلى هنا. كنا نظن أننا نساند شعبنا، لكننا كنا ندعم الجحيم بعينه! هاتور... لا تستحق سوى الموت، هل تسمعي؟ الموت فقط...

اقترب الملك منه ببطء، ووضع يده على رأس مصطفى.

في لحظة واحدة، تدفقت الأحداث كالسيل إلى عقل تهان. رأى كل شيء: موت بثينة، سقوط القرويين واحدًا تلو الآخر، النيران التي التهمت كل شيء، والخداع الذي نسجته هاتور بخبث.

انسحبت يد الملك ببطء، وكأنه يحمل ثقل العالم على كاهله. عيناه، التي لم تعرف الدموع يومًا، أطلقت دمعة واحدة تساقطت كقطرة من بركان مسحها بسرعة، كأنها إهانة لمهابته، ثم وقف بصلاية وأمر بصوت عميق:

_قم على قدميك، أيها البشري.

توجه بعدها إلى زيدان ووضع يده على رأسه، فاستفاق وهو يلهث كأنه عاد من الموت نفسه.

نهض مترنحاً، ثم توجه نحو مصطفى واحتضنه بقوة، وعيناه مغرورقتان بالدموع. قال بصوت مختنق:

_. أحببتها أكثر من نفسي... حاولت الابتعاد عنها لأحميها. الجميع قال إنه لا يزوج الجنية ببشري، وكنت أخاف أن تراني أشيخ وأموت بينما تظل هي صغيرة، لا يمسه الزمن. وهبتها قلبي... لا لم أهبها قلبي؛ لقد أصبحت هي قلبي ذاته! أشعر أن دمائي تنزف من الداخل لقد خدعتني.

وجه مصطفى صفة إلى زيدان تبعتها أخرى، وصوته يعلو بغضب:

_ أفق يا زيدان... أفق إنها لم تحبك يوماً. ألا ترى؟ لقد أحببتها من النظرة الأولى، أليس كذلك؟ ألم تفكر أن الأمر لم يكن طبيعياً؟ لقد ألقنت عليك سحراً يا أخي.. أفق إنها لم تحب سوى نفسها.

انهار زيدان جالساً على الأرض، ويده تغطي وجهه. قال بصوت مكسور، كأن روحه تُسحب منه:

_ ولكنني لم أحب سواها... هي وحدها كانت عالمي.

نظر الملك إلى زيدان بعينين جامدتين، وكأنهما ميزان يقيس صدق الكلمات. تقدم نحوه، ووضع يده الثقيلة على قلبه. شعر زيدان بحرارة تنتشر في جسده، وكأن حمماً تذيب القيود التي كانت تقبض على روحه. أزاح الملك يده بعد لحظة، وقال :

_ لقد فككت السحر... الآن قل لي ماذا تشعر؟

مسح زيدان دموعه بسرعة، محاولاً أن يتمالك نفسه وقال بجمود:

_ أشعر أنني أريد قتلها.

لكن داخله كان يصرخ بألم مختلف... همس لنفسه:

_ يبدو أن قلبي أحبها حقاً... لم يكن السحر هو من جعلني أهميم بها لقد كان قلبي... قلبي وحده.

استقام في سكون لكن في عينيه كان الصراع مشتعلًا، بين الحب الذي غرس فيه جذوره، وبين الكره الذي تشكل في اعماقه.

مصطفى:

من انت؟؟

_ اجاب الملك :

_ أنا تهان والد هاتور. أعلم جيداً أنها أخبرتكم عني بعد أن رأيت ما في عقل مصطفى، علمت قصتكم تمامًا. أنتم السبب في أن هاتور وصلت إلى هنا اليوم، وحصلت على خاتم النكبة هي تنوي السيطرة على العنكبوت أركانيس، وبسيطرتها عليه ستكشف سر جبلي المعرفة. إنها تسعى لفتح بوابة لشياطين..

توقف مصطفى للحظة، ثم قال بعنف:

_ لقد سمعتها تقول إنها ستقتل العنكبوت.

أجاب الملك :

_ لن تقتل العنكبوت إلا بعد أن تفتح البوابة، لكي لا يقفلها ... ثم اشار لهم تعالوا خلفي ...

كانت المملكة تستعد لخوض معركة، وكل من كان قادرًا على حمل السلاح قد جهز نفسه. كان المشهد أسطوريًا، والجنود جاهزون لتلبية النداء.

نادى الملك إلى أحد الجنود، فأحضر له صندوقًا ضخمًا، فتح الصندوق أمام الملك. كان مليئًا بالأسلحة المختلفة. بدأ الملك بالتفتيش في الصندوق، وأخرج منه سيفًا، ثم نظر إليه بعينين تملؤهما القوة وقال:

خذ هذا يا مصطفى، ستحتاجه في المعركة أعلم أنه ليس كسيف البرق، ولكنه سيفي الخاص. ويحمل القوة المطلوبة لوقت مثل هذا.

ثم أخذ الملك قوسًا من الصندوق وأعطاه لزيدان. وقال:

هذا القوس فريد. يطلق سهامًا من العدم. كل ما عليك هو شد اوتاره، وستطلق سهام كالقنابل المنفجرة تجاه العدو.

دقت الأجراس من جديد كل دقة تنبئ بموت أو حياة، وفي الهواء كان صوت الرياح يتماوج مع أصوات نقرات الأحذية الثقيلة على الأرض، والجنود يتقدمون في صفوف مترابطة، عيونهم مشتتة بالعزيمة. كانت الخيول الطائرة تهتز تحتهم، عيونها ملتبهة بالعنفوان، وأجنحتها تنفض استعدادًا للطيران.

على الأرض، اصطف الجنود في تشكيلات لا يمكن اختراقها، يعتمرون خوذة حديدية، وأذرعهم تحمل أسلحة والأذرع الأخرى مشدودة على أخصنتهم التي كانت تطير في الهواء بكل فخر، أجنحتها ترفرف كما لو كانت جزءًا من الرياح نفسها.

الملك تهان ثبت مقدمة صفوفه يرتدي درعًا من الفضة السوداء عندما تحركت شفقيه ليعلم بداية المعركة، اهتزت الأرض من تحته وكأن المملكة بأسرها تنتظر لحظة كهذه.

على يمينه، كان مصطفى، وجهه شاحب ولكن عينيه مشتعلة بالغضب، وقلبه يضخ قوة لا تضاهى. وعلى يساره، كان زيدان، يراقب الأفق بعينين حذرتين. كانت قبضته مشدودة على قوسه الذي يلمع في ضوء النار.

قال الملك، بصوت أجش، ينبض بقوة :

_ نحن الذين سنكتب التاريخ. اليوم نثبت لمن سيأتي بعدنا أننا لم نكن خائفين. اليوم، نبني جسراً بين الحياة والموت، لن نتراجع، ولن نسمح بأن يعبث أحد بمملكتنا. اجعلوا النيران تلهب الأرض تحت أقدام العدو!

وبينما كانت الكلمة الأخيرة تنطلق من فم الملك، كانت الصفوف تتأهب، والجنود يرفعون أسلحتهم في تناغم متقن، يتنفسون كأنهم قلب واحد. ثم ارتفعت الخيول في السماء، تجري بأسرع من الرياح، ناثرة أمامها الشرر والنيران، والجنود يندفعون وراءهم كطوفان لا يقهر.

اردف الملك، وهو يرفع صوته ليصل إلى جميع القلوب:

_ اليوم أقول لكم لا تتركوا شيطاناً يتنفس داخل مملكتي.

وصلت هاتور إلى جبلي المعرفة، حيث كان العكبوت أركانيس قد صنع عشه بين الجبلين العتيقين. الجبلان، اللذان يُعرفان بـجبلي المعرفة، بين هذين الجبلين، كانت خيوط العكبوت تمتد من جبل إلى آخر،

تتشابك وتنسج كشبكة ضخمة، تُحيط بالهواء وتتحرك كأوتار قوسٍ عملاق.. .

طارت هاتور بسرعة نحو العنكبوت، وكان صوتها يملأ الهواء بسلطانها. قالت بصوتٍ عميق وملئ بالقوة:

_ افتح لي بوابة الشياطين!

أجاب العنكبوت أركانيس بصوته الخشن والعميق، :

_ كيف تجرأت أن تطلبين مني هذا؟ من يجروُ على أن يأمرني؟ أنا أقوى مخلوق في عالم الجن، وأنا الحامي لهذا العش.

ابتسمت هاتور ابتسامة باردة، ثم رفعت خاتم النكبة عالياً، حتى أضاء المكان بضوءٍ غريب.

_ لن تمانعني بعد الآن. سأقول لك ما يجب أن تسمعه.

نظر العنكبوت إلى الخاتم، وعيناه تصبجان عميقتين في الضوء، وكأنه يشعر بشيء غريب يسيطر على عقله.

_ سأسمع ما تقولين...

_ أنا سيدتك.

أجاب اركانيس بعقل مغيب:

_ أنتِ سيدتي.

_ أنا الحاكمة الآن.. قالت هاتور بثقة، ثم أضافت، :

_ قل لي سر جبلي المعرفة، وفتح لي بوابة الشياطين.

تراجع العنكبوت، صوته يتغير تدريجيًا وهو يرد:

_ سر جبلي المعرفة يكمن في بيضي... والبوابة هي عشي... امرته
بتراجع فلم يتردد فتقدمت هي نحو العش أخذت بيضة من بيض
العنكبوت ، وقذفها في العش وقالت :

_ افتح بوابة عالم الشياطين!

في لحظة، بدأ العش ينبض بالحياة. العيون الكبيرة للعنكبوت أصبحت
بيضاء كالثلج، وأرسل طاقة رهيبه من جسده إلى البيضة. ثم انفجرت
البوابة أمام عيني هاتور، وأخذت تفتح شيئًا فشيئًا، حتى ظهر جيش
مهيّب، يشبه جحافل من الشياطين. أجسادهم ضخمة جدًا، مع جلود
قاسية تشبه الخشب المحترق، وأعينهم حمراء كالنار. كان شكلهم يشبه
أسراب النمل الضخم، الذي يتحرك بسرعة هائلة ويغطي الأرض بأسره.
رؤوسهم تغطيها قرون حادة، وجلودهم مشوهة، وعندما كانوا
يتحركون، كانت أصواتهم تعوي في الهواء كالرعد.

يمتطون وحوشًا غريبة، بعضها يطير في السماء مثل قوى الظلام، بينما تسير الوحوش الأخرى على الأرض، وكل خطوة كانت تهز التربة تحتها وكأن الأرض نفسها سوف تنشق عنهم. كان منظرهم مرعبًا، يذكر بخيال كوابيس لا يمكن تخيلها، أعدادهم لا حصر لها، يتحركون وكأنهم سرب واحد متلاحم، يشقون السماء والأرض في وقت واحد.

نظر الملك إلى البوابة التي فتحت أمامه وصرخ:

_ اهجوم لا تدعوا المزيد يخرج..

أخذ خطوة واحدة نحو المعركة، وبكل حركة استحضر قوى عاتية من السحر. أغمض عينيه للحظة، ثم فجر جسده بطاقة هائلة. من بين يديه، خرجت أذرع إضافية، فأمسك بأربع سيوف ضخمة، سيفين في كل يد، كل سيف كأنه شعلة نار. كانت حركته سريعة كالعاصفة، ينحر الشياطين من الأمام والخلف، يسقطون أمامه كالأشجار المتساقطة، في كل ضربة كانت رؤوسهم تتناثر إلى الأرض، ودماءهم تسبح في الهواء، ترسم خطوطًا دموية في السماء.

ثم، وفي لحظة غضب، أخذ نفسًا عميقًا، وزفر زفرةً مليئةً بالقوة، ليفجر طاقة سوداء كثيفة من فمه. كانت النار السوداء تتساقط مثل زخات من المطر، ثم تنفجر في وجوه الشياطين، تحيلهم إلى رماد في لمح البصر. يتساقطون بلا توقف، وكل ضربة كانت تقطعهم كالسكاكين عبر اللحوم

الطازجة. حتى الذين حاولوا الهروب لم يسلموا، إذ كانت النار السوداء تلاحقهم حيثما ذهبوا، تقضي عليهم بلا هوادة.

من جانب آخر، كان زيدان يقف كالصخر، قوسه السحري في يده. سهامه تطير في الهواء بسرعة البرق، ينفجر كل سهم لحظة خروجه، وتحول الوحوش أمامه إلى أشلاء، أشلاء تتناثر هنا وهناك. لم يكن يعبأ بتعب، ولا يهमे ما يحدث حوله، كل ما كان يهमे هو أن يواصل القتال، أن يرسل السهام بلا توقف، تتوالى الانفجارات التي تفكك الشياطين كالعواصف.

أما مصطفى، فهو يقاتل بلا هوادة، سيفه يتراقص في يده، يمسك به بكل قوة، وكأنه أسد مفترس بين الضباع. يطير بجناحيه الممدودين، يقطع رقاب الشياطين بلا رحمة. يهبط بسرعة على الأرض، يفرغ سيفه في أجسادهم، ثم يعود للطيران مجدداً. كانت دماء الأعداء تتناثر في كل مكان، تغطي الأرض وتحيط به، لكنه كان لا يهتم سوى بإتمام مهمته. كان ينقض على الشياطين من الأعلى، يقطع رؤوسهم ويلتهمون الأرض التي تحت قدميه.

وجنود الجن لم يكن حالهم أفضل، كانوا يتدفقون في الميدان، يلقون كل ما في جعبتهم من سحر وقوة، يلوحون بالسيوف، ويطلقون الطاقات القاتلة في وجه الشياطين، لكن رغم كل هذه المحاولات، كان عدد

الشياطين يزداد. كانت أعدادهم تتضاعف، وهم يتدفقون من البوابة دون توقف. كانت السيوف تقطع، والنيران تتفجر، والسحر ينفجر في كل مكان، لكن الجيش بدأ يضعف.

وفي تلك اللحظة، استدار الملك في السماء، عيناه تتسمران على الأرض التي تنزف، على الجن الذين بدأوا يتراجعون، وقال بصوت عميق وغازب:

_ لا أحد يتراجع استمروا في القتال.

صرخ مصطفى بصوت مرتفع:

_ سيستمر الشياطين في الخروج من البوابة، علينا القضاء على هاتور... هاتور...

فجأة، طار زيدان في السماء، أطلق سهامه المتفجرة نحو هاتور كما لو كانت زخات من مطر ناري، الغبار والشرر ملأ الأجواء، ولم تكدرى هاتور أمامها. لكنه لم يتوقف، بل استمر في إطلاق السهام بأقصى سرعة.

ابتسمت ابتسامة ساخرة، وقالت بنبرة متسمة بالثقة:

_ هكذا تعامل حبيبتيك يا زيدان ألم تتعلم بعد كيفية التعامل مع النساء؟

فجأة، أخذت هاتور تتغير بشكل مفاجئ، عيونها أصبحت سوداء كالليل، وأظافرها طالت بشكل غير طبيعي حتى أصبحت حادة كالسكاكين. تحول شكلها بالكامل، وتغيرت إلى الكائن المرعب الذي تحدث عنه حامد، النداهة التي تثير الرعب في القلوب. كانت تشع بقوة مظلمة، وعندما نظرت إليهم، كان الفزع يملأ أعينهم.

قال مصطفى بصوت منخفض:

_ هذا هو وجهها الحقيقي. ثم بدون أن يعطيها الفرصة للرد، طار نحوها بسرعة كالبرق، سيفه مشهوراً في يده. عازماً على الوصول إليها قبل أن يقترب منها زيدان، فاندفع نحوها في محاولة لقتلها. ولكن عند التصادم، صدت هاتور سيفه، حيث اصطدم بشراسة مع أظافرها الحادة،

ابتسمت هاتور بتحدٍ، ثم قالت وهي تقف بكل سكون:

_ هذا كل ما لديك؟

ثم فتحت فمها بشكل غريب، كأنها شعرت بنعاس، وعندما لامست يدها الهواء، أرسلت تيار سحري غريب إلى جناحي مصطفى. في لحظة واحدة، تكسرا جناحاه كما لو أنهما قطعة خشب يابس، وسقط في الهواء بلا حول ولا قوة.

انطلق زيدان بجناحيه، يندفع عبر الهواء رغم النيران والسهام التي تعصف في كل اتجاه، وقبل أن يصل مصطفى إلى الأرض أمسك به بكل قوته. أنزله بحذر وسط غابة المعركة، وركع بجانبه يلتقط أنفاسه.

قال زيدان بلهجة ملؤها القلق والغضب: "لن أدعك تسقط هكذا، أنت أقوى من ذلك يا مصطفى. سنوقفها معاً."

مصطفى:

_ لا تقلق علي... اذهب إنها هدفك الآن... سأكون بخير.

رفع رأسه نحو هاتور التي كانت تطلق ضحكاتهما الساخرة من بعيد، ثم طار نحوها بسرعة البرق. وبدأ يُطلق السهام المتفجرة لكنه لم يستطع اختراق درعها السحري.

. نظر إليها بحسرة وصرخ بصوت مليء بالمرارة:

_ خائنة، كاذبة، مضللة، قاتلة، أنت لستِ امراة من عالم الجن، بل أنتِ من عالم الشياطين.

ردت بصوت بارد:

_ لا تكن أحمقاً، يا زيدان. ليس هناك ما يسمى بالحب في هذا العالم. حتى أنتم أيها البشر لا تعرفون ما هو الحب.

أضافت بتحدّ، :

_ انظروا إليكم، كيف يقتل الابن أباه من أجل ميراث، وتترك الأم أبناءها من أجل عشيق، وابن يضرب أمه، والحروب لا تتوقف بينكم، ولا تجدون سوى القتل والتدمير. هذا هو حبكم؟ الشياطين والجن أولى بهذه الأرض. أنتم مجرد حثالة، ولا تستحقون الحياة.

كانت كلماتها قاسية، تتغلغل في قلب زيدان كالكساكين، لكن رغم الغضب الذي كان يملأه، رد عليها بقوة:

_ نحن حثالة ولا نستحق العيش، ولكن ماذا عنك؟ ماذا عن أمثالك؟ أنت تشبهين من تحقرينهم، بل تخطيئهم بكثير.

ضحكت هاتور ضحكة قاسية، ثم قالت بابتسامة باردة:

_ حتى وإن كان فأننا أعيش لآلاف السنين، اما أنتم تضيعون أعماركم في الخراب والنسيان. تموتون في الستين والسبعين والعشرين، ونادرًا من يصل إلى المئة. ومع ذلك، أنتم تعصون من سمح لكم أن تسكنوا جنّته وعفا عنكم لتسكنوا أرضه. أنتم الحثالة، ويجب أن تجتثوا من هذه الأرض. لهذا، سأسيطر على جميع عوالم الجن والشياطين، وسأخذ الأرض. سأقتل كل بشري.

وسط فوضى المعركة وصراخ الجن والشياطين، كان الملك تهان يقف بشموخ وسط الدمار. أمامه شرميزه، بسيفها المتوهج وسحرها المتراقص، تقترب منه كصياد ينقض على فريسته. ابتسم تهان ابتسامة مأكرة وهو يرفع سيفه المشتعل قائلاً بصوت أجش:

_ مرحباً يا عزيزتي... اشتقتُ إليك.

ردت شرميزه بابتسامة مفعمة بالخبت وهي تهجم عليه بسيفها:

_ ليس أكثر مني، يا نبض قلبي. ألا ترى أن الوقت قد حان لتنتهي هذه المغامرة وتترك لي العرش؟ سأجعلك تعيش، فأنا لا أريد لقصتنا أن تنتهي بهذه السرعة.

صد تهان ضربتها بخفة، ودفعها بعيداً بقوة وهو يقول ساخراً:

_ لكن لما لا تفكرين أنتِ في الاستسلام؟ ربما أترك رأسكِ على عنقك، وأمنحك فرصة للحياة.

ضحكت شرميزه وهي توجه له ضربة خاطفة، قائلة:

_ أنتِ عنيد كما كنت دائماً، وهذا أحد الأسباب التي جعلتني أقع في حبك.

اشتعلت عينا تهان بنار التحدي وهو يصد الضربة ويلتف بسيفه ليهاجمها:

_ وأنتِ قاسية كالجحيم، والشر يسري في عروقك كالنار. لكن أعترف، ربما هذا هو السبب الذي جعلني أحبك أيضاً.

أطلقت موجة سحرية نحوه أطاحت به للحظات. اقتربت منه بابتسامة نصر وقالت:

_ سأفتقد هذه اللحظات، لكن لا تقلق، سأذكرك جيداً بعد موتك.

ابتسم وهو يمسح الدم عن وجهه وقال بهدوء :

_ لا تُسرفي في الأحلام، يا فؤادي.

تصاعدت المعركة بينهما، شرميزه تستخدم سحرها لتحيطه بهالة من النار والرياح، وهو يصدها بضربات سيفه النارية. فجأة، استغلت شرميزه لحظة ضعف وهجمت عليه بقوة، سيفها يقترب من قلبه.

لكنه لم يكن ليتراجع بسهولة. بنفس عميق ونفثة من نار سوداء، أطلق هجومًا مباغتًا نحوها، ما جعلها تتراجع بخفة. قفزت مجددًا عليه كالنمرة، لكنه استدار ووجه لها ضربة ساحقة بسيفه المشتعل، فقطع رأسها بضربة واحدة.

سقط جسدها على الأرض، بينما رأسها تدرج بعيداً اقترب منها وقال بنبرة ساخرة وهو ينظر إلى رأسها المقطوع:

_ ارقدي بسلام يا حبيبتي... لن أجد من يلاعبي لعبة قتال الأرنب بقسوتك.

رفعت هاتور يدها المزينة بخاتم النكبة إلى السماء، ونادت بصوت مزلز:

_ يا خاتم النكبة، انعم عليّ بقوتك العظمى دعني أريهم من هي الحاكمة الحقيقية لعوالم الجن والبشر.

انطلق الضوء من الخاتم إلى السماء، كأنه برق يخترق الظلام، ثم عاد كعاصفة هوجاء ليغمر جسدها. فجأه اصبغت أشد قوة وأعظم هيبة. عيناها اشتعلتا كجمرتين، وجسدها بدأ يتغير بشكل مخيف. في البداية، تحولت إلى تنين ضخم، جناحاه يظلان السماء، وناره الحارقة تحرق الجن بلا هوادة، وكلما سقط أحد أمامها، كانت تضحك بصوت يمزق القلوب.

ثم، بصرخة مدوية، تحولت إلى نمر، فرشاقة جسده وقوة مخالفه كانت تفتك بكل من يقف في طريقها. لم يكن ذلك كافيًا لها؛ فجسدها بدأ يتغير مرة أخرى، متحولًا إلى "الزيركوت"، أحد أشرس مخلوقات الجن، بقرون ملتوية وجلد صلب كالصخر. وأخيرًا، أخذت شكل وحش هائل، لا يمكن وصفه إلا بالموت ذاته، ملامحه كابوسية، وأنيابه تلتهم الجن بلا رحمة.

في تلك اللحظات، كانت المعركة تميل لصالح الشياطين. الجن يتساقطون كأوراق الخريف، وأعداد الشياطين تتكاثر كسرايب النمل، تغمر الساحة وتقترب من إحكام سيطرتها الكاملة.

لكن وسط هذه الفوضى، كان مصطفى ينتقل بين جثث رفاقه، جناحاه المكسوران لا يزالان يثقلاه. خلع الحزام الذي يربط الأجنحة من ظهره، وألقى به على الأرض، ثم أمسك بسيفه وسار متثاقلاً، يتحامل على نفسه، وخطواته تجره كأنه يحمل العالم على كتفيه.

كلما اعترضه شيطان، كان يوجه له ضربة خاطفة واحدة تقتله على الفور، لكنه كان يفقد المزيد من قوته مع كل ضربة. كانت الدماء تغطي وجهه ويديه، لكنه استمر في التقدم بعزيمة لا تلين.

وأخيراً، وصل إلى العنكبوت أركانيس، الذي كان يقف وسط خيوطه الممتدة بين جبلي المعرفة. اقترب من أذنه العملاقة، وقال بهمس مؤثر في أذن العنكبوت أركانيس:

_ أعلم أنك تسمعي، استيقظ لا تجعل هاتور تسيطر عليك، أنت أقوى من أن تُستغل ايها الحارس العظيم إن العالم الذي تحميه سيتحول إلى خراب، وقوتك لن تكون إلا لعنة إذا ساعدتها في هذا الجنون. إنها دمّرت قريتي، ولن تتردد في تدمير عالمك أيضاً. واجبك هو الحماية، لا التخاذل. إن كنت تتخلى الآن عن دورك، فلن تكون سوى حشرة ضعيفة

تافهة، أنت من لا شيء وستنتهي إلى لا شيء. استيقظ، أركانيس! تذكر من أنت.

بدأ العنكبوت يهز رأسه كأنه يحاول استعادة وعيه، لكن سيطرة هاتور كانت أقوى؛ فقد استعاد خضوعه لها.

تصاعدت حدة المعركة إذ كانت هاتور قد تحولت إلى وحش الـ"زيركوت"، جسدها الهائل يشتعل بالطاقة الداكنة، مخالبتها تقطع الهواء، وهي تطارد والدها هتان بلا رحمة. قفزت عليه بضراوة، صرخت وهي تضحك بجنون:

_ أعطني عنافًا يا أبي هل هذا كثير عليّ؟

انطلق هتان بجناحيه محاولاً الابتعاد عنها، مستعيناً بكل ما تبقى من قوته وسحره. لكن هاتور، بتلك القوة الجديدة، كانت أسرع وأكثر عنفًا، تحلق وراءه دون أن تمنحه فرصة لالتقاط أنفاسه.

قال هتان بصوت يفيض بالألم:

_ لماذا تفعلين هذا بأبيك؟ لظالما كنت أحبك...

ضحكت هاتور بصوت متهدج وهي تقترب منه:

:أحببت نفسك فقط، يا أبي العزيز. إن كنت تحبني، لما نفيتني؟ لما جعلتني وحيدة؟

قال وهو يحاول الابتعاد عنها بصعوبة:

_لأنك تجبرتِ يا قلب أبيكِ. رجاءً، حاولي أن تستعيدي عقلك، أن تتذكّري من تكونين قبل أن تفوت الفرصة.

قالت بجمود:

_ لكني أريد قتالك، يا أبي سأغزو عوالم الجن، ومنها إلى أرض البشر. سأسيطر على كل شيء وأجعلكم جميعاً عبيداً لإرادتي!

بضربة قوية من مخالبيها، أطاحت به من السماء ليسقط كالشهاب، مرتطمًا بالأرض بقوة حتى صنع حفرة عميقة وسط . حلقت بسرعة نحو الحفرة فوجدته يئن من أثر السقوط.

رفعت يدها، مُشكّلة سيفاً من الطاقة المظلمة في قبضتها، ثم وقفت على صدره وضغطت بقدمها على بطنه. نظرت إليه بابتسامة شيطانية، رفعت السيف عالياً وقالت ببرود:

_حان الوقت لتنتهي قصتك، يا أبي.

ولكن قبل أن تنفذ طعناتها القاتلة، اندفع العنكبوت أركانيس من الخلف، ونسج خيوطه السحرية حولها بسرعة مذهلة. لقت الخيوط جسدها وسحبها بعيداً عن الملك. بدأ العنكبوت يمتص طاقتها من خلال شبكته السحرية، فيما بدأت هاتور تصرخ بجنون:

_ لا توقف لا يمكنك فعل هذا بي

مع كل ثانية تمر، تقلص حجمها شيئاً فشيئاً، وعادت إلى شكلها الطبيعي. صغرت يداها، وارتخت قبضتها، فسقط خاتم النكبة من يدها على الأرض. استدارت مذعورة لتتنظر خلفها، فرأت العنكبوت أركانيس وقد استعاد كامل قوته ووعيه. أغلق بوابة عالم الشياطين بخيوطه القوية، ثم بدأ ينسج شبكته في كل اتجاه، يصطاد الشياطين بخيوطه حشرات صغيرة، ويلتهمهم الواحد تلو الآخر، وكأنه ضفدع جائع يلتهم الذباب.

حينها حاولت الهرب، ركضت باتجاه الشبكة الممتدة بين جبلي المعرفة، تسابق الزمن للوصول إلى مخرج. لكن مصطفى، وقد أشار إلى زيدان، تصرفاً معاً بسرعة. حمل زيدان مصطفى في الهواء، يطيران بخفة خلفها ليمنعاها من الفرار.

عندما وصلت هاتور إلى الشبكة، مدت يدها المرتعشة وأمسكت بإحدى بيضات العنكبوت. بأخر قوة متبقية لديها، ضربت البيضة على الشبكة، محاولة فتح مخرج جديد.

وفي اللحظة نفسها، وصل زيدان إليها من الخلف، وأطلق صرخة عالية:

_ أرض العاقير!

نُشِطت البوابة ، و قبل أن تتمكن هاتور من العبور، دفعها زيدان بقوة داخلها. . دون تردد، قفز كل من مصطفى وزيدان خلفها.

نُقل مصطفى وزيدان مع هاتور عبر البوابة إلى أرض البشر، وتحديداً إلى قرية العاقير. كان الليل حالك السواد، والصمت يعم أرجاء القرية، حيث يغط الجميع في نوم عميق. في ذلك السكون، اخترق صوتهما الهادئ، فصرخ مصطفى، موجهاً كلامه إلى هاتور:

_ لن تستطيعي الهرب الدم بالدم، ومن زهقت أرواحهم هنا، ستزهق روحك أيضاً على هذه الأرض.

استدارت ببطء، وهي تضحك بسخرية، ثم صرخت بصوت يملأه الغرور:

_ لا أحد منكم أو من البشر يستطيع أن يوقفني هل تسمعون؟ لن يقدر عليّ أحد، حتى هنا.

حاولت أن تستدعي قوتها أن تحلق في السماء أو تطلق لعنتها المعتادة، ولكن بلا جدوى. لقد جردها العنكبوت أركانيس من كل قوتها. نظرت بارتباك إلى يديها الفارغتين، ثم إلى زيدان، الذي وقف أمامها بثبات ورفع سيفه قائلاً بصرامة:

_ لا تحاولي استسلمي، يا حبيبتي.

قال مصطفى، وهو يتراجع خطوتين:

_ لا تدعها تهرب، سأعود سريعاً.

حاولت التحرك فتقدم زيدان ببطء نحوها، رافعاً الخنجر الذي اشتراه من أرض غياهبيا في وجهها:

_ تحركي أي حركة وسأقتلك.

حاولت اللعب على عاطفته، فقالت بنبرة حزينة:

_ أنا أحببتك يا زيدان. هل نسيت أنا هاتور، تلك التي ملأت قلبك دفناً ألا تتذكر؟

تردد زيدان وتراخت يده قليلاً، وكان قلبه استجاب لها. رفعت هاتور رأسها بابتسامة خبيثة، محاولة استغلال لحظة ضعفه ولكن في اللحظة التي شعرت فيها بأنها على وشك النجاح، استعاد حذره ورفع سيفه مجدداً، صوته يملؤه الغضب الممزوج بالحزن:

_ لا لم أنسَ حبك، لكنني أيضاً لم أنسَ الدماء التي أريقت بسببك. لم أنسَ ليبد، أو ليث، أو حمزة. لم أنسَ أهل هذه القرية، ولن أنسى أبداً ما فعلته بنا.

فجأة أضاءت السماء بوميض النيران، حين أقبل مصطفى ومعه أهل القرية، يحملون مشاعل خشبية ملتهبة، وأسلحة متفرقة خناجر،

سكاكين، مناجل وفؤوس. كانوا يتقدمون في طرقات القرية كأطياف خرجت من أعماق الظلام، والدخان يتصاعد من حولهم كستار أسود يعلن ساعة الحساب.

صرخ مصطفى من بعيد:

_ لن ننتقم وحدنا... من أذيتهم هنا لكل منهم حق في دمك.

عندها، اندفع زيدان وغرس خنجره في صدرها:

_ هذه للبيد.

طعنها مرة أخرى، وعيناه تمتلئان بالدموع:

_ وهذه لليث.

ثم الثالثة، والندم يخنق أنفاسه:

_ وهذه لحمزة.

وفي الرابعة، صرخ قلبه قبل خنجره:

_ وهذه لكل من قتلتهم.

حتى إذا لم يبق له سوى أنينه، هوى بخنجره للمرة الخامسة، يصرخ

ممزقاً صمته الداخلي:

_ وهذه لقلبي... الذي حطمته.

تهافت هاتور والدم ينزف من فمها. رفعت عينيها المثقلتين وقالت بصوت بكاد يُسمع:

_ لم أخدعك... بل أحببتك.. لو أردت قتلك... لفعلت كما فعلت بالآخرين...

لكن كلماتها لم تكتمل؛ فقد اندفع أهل القرية نحوها، كل واحد منهم يحمل جرحه في قبضته، انهالوا عليها بأسلحتهم، مزقت ضرباتهم صرخاتها حتى ارتجت الأرض من شدتها.

ثم تراجعوا جميعاً معاً، وكأنهم جسد واحد، وألقوا المشاعل عليها. سرعان ما أحاط اللهب بجسدها المترنج، صعد الدخان ويعلى صوت احتراقها حتى تلاشى مع صدى صراخها الأخير.

وهكذا انتهت قصة هاتور... لم يكن موتها مجرد سقوط جسد في النار، بل كان إسدالاً لستارٍ على فصلٍ طويل من الصراع بين البشر وقوى الظلام. ومع غروبها، أدرك الناس أن الحرب ليست مع الشياطين وحدهم، بل مع الخوف الذي يستوطن القلوب، ومع الوهم الذي يصنع قيوداً من الداخل قبل الخارج.

عاد الفجر يحمل نورًا مترددًا، كأنه يختبر إن كان يستحق أن يشرق بعد الدماء. عادت الأرض إلى خصوبتها، وتفتحت الزهور من جديد، لكن الناس تعلموا أن الجمال لا يولد إلا من رحم الألم، وأن كل زهرة هي شاهد على دمٍ سبقها.

زيدان عاش حياته مع الأرملة التي تزوجها، ورزق بثلاثة أبناء سمّاهم بأسماء أحبته الراحلين، ليبد، ليث، حمزة. كانوا رمزًا للخلود، للدم الذي لا يضيع، للحب الذي يتجدد في وجوه الأبناء وإن ذبل في قلوب الآباء. لكنه ظل يحمل داخله فراغًا صامتًا، ندبةً لا تندمل، لأنه علم أن بعض الجراح ليست لتشفى، بل لتذكرنا دومًا بما فقدناه.

أما مصطفى، فقد هدأ قلبه حين أخذ بثأر ابنته، لكن الحكمة التي خرج بها كانت أعظم من الراحة. صار شيخ القرية، يحترمه الجميع، لأنه انتصر بالسيف، بل لأنه أدرك أن العدل لا يُولد من الدم وحده، بل من الصبر، ومن قوة الروح حين تواجه الظلام.

أما القصة، فقد تجاوزت حدودها لتصبح درسًا يروى جيلًا بعد جيل: أن الدماء قد تصنع النصر، لكن الذاكرة وحدها تصنع الخلود. وأن الإنسان، مهما تعاقبت عليه قوى الشر، يبقى قادرًا أن يزرع الحياة من جديد، شريطة أن يتعلم أن القوة الحقيقية ليست في الطعنات، بل في البقاء، في أن تنهض رغم الحزن، وتبني رغم الفقد، وتحب رغم الانكسار.

الخاتمة

أنا وائل العدلي... وما رويته ليست قصتي وحدي، بل قصة قريتي التي تناقلتها الألسن جيلاً بعد جيل؛ قصة الأسطورة التي أرعبت الجميع:
النداهة

كانت مجرد خرافة، لكنها كبرت حتى صارت أقوى من الحقيقة نفسها. فالخوف إذا ترسّخ في القلوب، صار أثقل من أي واقع. هكذا عاشت قريتنا؛ رجال يخشون الليل، نساء يتوجسن من العتمة، وأطفال ينامون على وصايا أمهاتهم: إياك أن ترد على صوتٍ يناديك.

وكنت مثلهم... أصدق ما يُقال، وأرتجف كلما صفرت الريح، كأنها تناديني بالاسم. لكنني اليوم لم أجمعكم لأروي خرافة، بل لأكشف الحقيقة.

قال كريم، صديقي الأقرب، وهو يرمقني باستغراب:

_أحضرتنا إلى هنا فقط لتقص علينا هذه القصة؟

أجبتُه بثبات:

_ لا يا كريم... بل جئت لأخبركم بما يجب أن نفعله كي نحرر عقول القرويين من هذا الوهم.

فقال نادر، صديقي الثاني، بصوت ممتزج بالفضول:

_ هل تقصد الورقة التي كان والدك يحتفظ بها دائماً؟ تلك التي أخبرك أنها تحتوي على كل شيء؟

أومات قائلاً:

_ نعم... لنبحث عنها.

دخلنا غرفة والدي، والذكريات تحيط بي من كل زاوية. قلبنا الدولاب، وفتشنا في المرتبة، ورفعنا الصندوق الخشبية القديمة. حتى عثرنا أخيراً على صندوقٍ قديم في ركن معتم.

فتحته ببطء... فوجدت بداخله بدلة والدي التي اعتاد ارتداؤها في أيامه الأخيرة. كنت أعلم أن الورقة هناك، مخبأة في جيوبها. أدخلت يدي وأخرجتها... فإذا بورقة مطوية، شاحبة من أثر السنين جلست على الأرض، قلبي يخفق كأنني أمسكت روح أبي بين يدي

رسالة عدلي ..

إلى ابني العزيز.....

إن كنت تقرأ هذه الورقة الآن، فقد سبقتك إلى الدار الباقية. أحببتك ما استطعت، وكل ما فعلته كان لأجلك لتعيش بسلام لا تحمك الخرافة ولا يقيدك الخوف. كنت أقول لك دائماً لا تُصدّق كل ما يُقال. واليوم أترك لك ما هو أثقل من الوصية الحقيقة وإن كانت قاسية.

الحقيقة أن النداهة ليست مجرد قصة تُحكى، بل هي واقع مرير عايشته أجيالنا ستجد ورقة أخرى مكتوبة بخط يد جدك زيدان، الذي عاش حبه للنداهة ودفع ثمنه.. جد جدك كان الحبيب الأول لها، وهي لم تنس ذلك أبداً.

انت تعلم اسمك الكامل، الذي هو وائل العدلي عبد العزيز حمزة زيدان، إنه ليس مجرد اسم. هو إرث. إرث لعائلة واجهت المجهول وتحملت لعنات أسطورية فإن جدك زيدان هو من تدور حوله قصة النداهة والآن أتركك مع الرسالة الأخرى، لتحمل ما لم أستطع مواجهته. احذر يا ولدي. احذر من القادم.

فتشت الجيب مره اخرى، فوجدت ورقة ثانيه مهترنة

رسالة زيدان:

أنا زيدان، الرجل الذي تحدى القدر وعشق الجنية.

أكتب هذه الكلمات وأنا أعرف أن كل حرف فيها سيصل إلى نسلي في يومٍ ما. هذه الورقة ليست مجرد تحذير، بل شهادة على ما حدث.

في الليلة التي قُتلت فيها النداهة، لم تكن ليلة عادية. لقد وعدتني، وهي تحتضر، بأنها ستعود. لم تكن مجرد كلمات عابرة، بل لعنة نطقها وهي تغرق في النار والدماء. قالت لي: 'سأعود من الجحيم، ليس لأخذك فقط، بل لأخذ كل من يحمل اسمك وكل من يدوس أرضك!'

لا أعرف إن كانت ستعود بعد عام، بعد عشرة، او بعد مائة عام او اكثر. لكنها ستعود. لم أستطع الهرب من حبي لها، ولم أستطع أن أوقفها حينها. لكنها الآن أصبحت شبحًا يجول في الأرجاء، يبحث عن الانتقام.

أكتب هذه الرسالة لأحفادي، لكل من سيقراها في المستقبل. لا تخافوا، بل استعدوا. المواجهة قادمة. حين تعود، لن تكون مجرد أسطورة تُروى، بل حقيقة ستحرق الأرض. احذروا وكونوا مستعدين المرأة التي من عالم الجن قادمة..

...جدكم العزيز...

«زيدان العبسي»

«النهاية»